
الهلال
السحر والسحرة
الملحق الأدبي للهلال
جبران خليل جبران
١٥

الهلال

ذو الحجة ١٣٩٤
يناير ١٩٧٥

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال — اسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ — العدد الاول — السنة الثالثة والثمانون — أول يناير ١٩٧٥ — ١٨ ذو الحجة ١٣٩٤

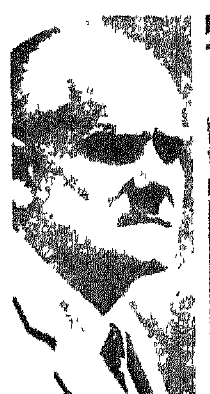
الاشتركات

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليما .

قيمة الاشتراك السنوى : (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٥٠ قرشا صاغا . فى سائر انحاء العالم ٦ دولارات او ٢٫٥ جك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال . فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بشيك مصرفى والاسعار الموضحة بالبريد العادى — وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب — القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »




د. احمد الحوفي — د. سيد نوفل — البرتو مورافيا

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الهلال

فى كل شىء جميل ، شىء من السحر ! ..

... فى الكلمة الملهمة ، فى الوجه الوضىء ، وفى بديع صنع الخالق الاعظم : سمائه ومائه ، والشمس ، والغيب ، والغسق ، والليل ، والقمر !

والسحر بهذا المعنى ، موجود قبل وجود السحر بمعنى ما يصنع السحرة من تهاويل الخوارق والخفايا والغيبيات ...

على ان سحر الكلمة كان دائما وسيبقى ، هو الاعلى والابقى ، و ... ((ان من البيان لسحرا)) ...

أما سحر السحرة ، وهو ظاهرة مؤثرة واكبت مسيرة الانسان القديم ووجهت حياة الناس — فقد تراجع وانحسر امام تقدم العلم وروح العصر ... بيد انه خلف وراءه تاريخا طويلا حافلا ومثيرا ...

فى رحاب هذا التاريخ الحافل والمثير ، نطوف مع قراء ((الهلال)) فى رحلة ممتعة ، ترفع الاستار عن الخفايا والاسرار فى عالم السحر والسحرة ، ونتزود بذخائر من العبرة ، والمعرفة وعصير تجارب الناس والحياة فى الماضى البعيد والقريب ...

والآن ، وبين أيدى الاعزاء قراء « الهلال » هذا العدد الخاص — فاننا نتاهب لمرحلة جديدة يستقبلها « الهلال » مع عيد ميلاده الثالث والثمانين ...

ومن اكرم البشريات ان يجىء عيد « الهلال » ونحن نحتفى بملتقى الاعياد : الاضحى ، والميلاد ، والهجرة ... ونعيش اياما عربية مجيدة المواقف ، ظافرة للعروبة والاسلام بنصر الله ...

● صالح جودت ●

د. سيد
نوفل

إنّ من البيان لَسِحْرًا

ليس من شك أن اللغة العربية هي أرقى اللغات السامية ، وأنها بلغت من التقدم والرقي مالم تبلغه أي من زميلتيها السوريانية والعبرانية ... وليس من شك كذلك أن اللغة العربية هي أقدم اللغات الحية ، التي يتحدث بها الناس في أرجاء المعمورة ، وتفي بمطالب الحياة في حركتها وتجددها الدائبين ، وبمصطلحات العلوم والفنون في آفاقها المتسعة على الزمان .

واذا كانت السوريانية قد بادت ، فان العبرانية قد تخلفت عن الحياة مثلها ، وبادت قرونا طويلة ... ومع الجهد الصهيوني السياسي المتصل منذ نهاية القرن التاسع عشر لاحياء العبرية بعد مماتها ، ومع ادخال الكثير من التطويرات التي باعدت بين الجديدة والقديمة ، فانها لا يمكن أن ترقى الى مصاف اللغات الجديرة بالحياة والبقاء ، ولا تزال اللغة الانجليزية تفرض نفسها على قادة اسرائيل والمقيمين فيها ...

والبيان العربي ، في حضارته ورقيه ، أعرق ألوان البيان الأخرى جميعا التي تنظم فنونها الأمم والشعوب المتقدمة في الشرق والغرب ، والتي لا يعدو عمرها قرونا قليلة ...

ومن الأقوال المعروفة لمؤرخي الآداب والعلوم والفنون أن مدنية الفنون قد اكتملت عند الصينيين ، ومدنية العلوم قد اكتملت عند اليونانيين ، وأن المصريين القدماء جمعوا بين الامتيازين ، على حين اكتملت مدنية اللغة والبيان في اللسان العربي على نحو فريد منذ دهر طويل ..

تعريف بالبيان



والقصد من البيان هنا ما يدل عليه معناه العام ، وليس بالمعنى الاصطلاحي الذي تعقد على أيدي السكاكي وأضرابه بالاستغراق في

إن من البيان لسحرا

البحث الفلسفي الرياضي عن ألوان التشبيه والمجاز والكناية وما اليها ...

وقد سئل جعفر بن يحيى عن البيان ، فقال : « أن يكون الاسم يحيط بمعناك ، ويجلي عن مغزاك ، وتخرجه من الشركة ، ولا تستعين عليه بالفكرة . والذي لا بد منه أن يكون سليما من التكلف ، بعيدا من الصنعة ، بريئا من التعقيد ، غنيا عن التأويل » .

وأوجز الاصمعي ، فعرف البليغ المبين بانه « من طبق المفصل ، وأغناك عن المفسر » .

وعرف الجاحظ البيان تعريفا عاما ، فقال : « انه اسم جامع لكل شيء كشف قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير ، حتى يفضي السامع الى حقيقته ويلم بما فيه » .

وشرح هذا وعلل له بأن مدار الامر وغاية القائل والسامع انما هو الفهم والافهام ، فبأي شيء بلغت الافهام وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان .

وعرفه في هذا الموضع نفسه تعريفا آخر ، فقال « انه الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي ، وان البيان بهذا المعنى هو الذي دعا اليه الله ، ونطق به القرآن ، وبذلك تفاخرت العرب ، وتفاضلت على أصناف العجم » ...

ومهد لهذا التعريف بذكره ان المعاني مستورة مكنونة وموجودة في معنى معدومة ، لا يعرف الانسان ما في ضمير أخيه الانسان منها ، وحياتها في ذكر الناس لها واخبارهم عنها واستعمالهم اياها ، وبهذا تقرب من الفهم وتظهر وتؤلف . وأقدار المعاني وظهورها متصلة بأقدار الدلالات ووضوحها والاشارات وصوابها والايراد وحسنه ...

وبعد أن يورد هذا وذاك ، يذكر أصناف الدلالات من لفظ واشارة وعقد وخط وحال اذ جميعها تدل وجميعها تبين .

ويعقب الجاحظ على تعريف جعفر بن يحيى بقوله: «وهذا هو تأويل قول الاصمعي : « البليغ هو من طبق المفصل واغناك عن المفسر » .

وفي جميع هذه التعاريف تسري نزعة الى تمام الافهام وحسن التجلية للمعاني ، كما أن حديث الجاحظ لا ريب عن المعاني وموتها وحياتها ، وحظ الالفاظ بخاصة والدلالات بعامة في البيان عنها ـ فيه تفكير وعمق وفتنة .

سلطان البيان فى الجاهلية :

وكان للبيان فى الجاهلية أعلى سلطان ... قبل اتصال العرب بجيرانهم من الفرس والروم وفاضلوهم ، وبسحره فتن الناس حتى كان الشاعر هو المقدم فى قومه والذائد عن حياضها ، ومن ثم يعتبر ظهوره مفخرة ... وتوهموا فى ابداعه وتخيلوا حتى اعتبروا قوله وحيا من وراء الطبيعة يلقى به اليه رئى أو شيطان .

وكانت لأقوال الخطباء والكهان البليغة الموجزة قوة توجه الناس فى حياتهم الخاصة ، وتوجه القبائل فى علاقات بعضها ببعض . وكانت الاشعار هى حافز العربى فى الحرب والسلم على السواء ، وكانت المفاضلة بين ألوان البيان شغلهم الشاغل ...

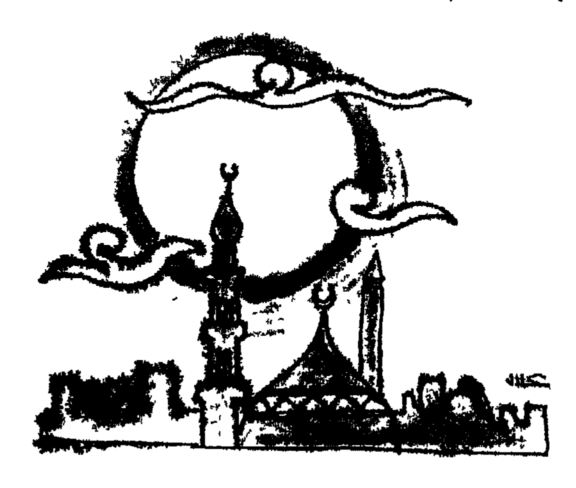
ويروى أن النابغة كانت تضرب له قبة من أدم بسوق عكاظ ، فيأتيه الشعراء وينشدون أمامه الشعر ليحكم بينهم . ويظهر أنهم كانوا يتفاخرون بما فى شعرهم من تشبيه ومجاز . فالخنساء تنشده قولها :

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

ويعجب النابغة به ، فيغيظ هذا الاعجاب حسانا ، فيثور ويتحدى النابغة وأباه والخنساء أن يأتوا بمثل قوله :

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

لكن النابغة لا يعجبه هذا التصوير فيقول له : اقللت جفانك وأسيافك - يعنى أن الجفنات لأدنى العدد والكثير جفان ، وكذلك أسياف لأدنى العدد والكثير سيوف ، وقلت : « يلمعن بالضحى » ولو قلت « يبرقن بالدجى » لكان أبلغ فى المديح ، لأن الضيف فى الليل أكثر ، وقلت « يقطرن من نجدة دما » فدللت على قلة القتل ، ولو قلت يجرين لكان أكثر لانصباب الدم . ثم يتيه النابغة عليه بحسن بيانه فى قوله :



خطاطيف حجن في حبال متينة تمد بها أيد إليك نوازع

ويقول ابن رشيق في أول حديثه عن المبالغة: (والناس فيها مختلفون منهم من يؤثرها ويقول بتفضيلها ، ويراها الغاية القصوى في الجودة ، وذلك مشهور من مذهب نابغة بني ذبيان ، وهو القائل : اشعر الناس من استجيد كذبه واضحك من رديئه)"

وهناك شيء آخر في الجاهلية يتصل بسلطان البيان . ذلك هو تجويد الشعر وتنقيحه ، وما قد يدل عليه من المعرفة بمقاييس بلاغية يطبقها الشاعر على قوله ويخضعه لها . فقد عرف زهير بن أبي سلمى بتهذيب الشعر وتهميته فهذه الكبار بالحوليات . يؤلف كلا منها في شهر ثم يتوفر عليها عاما بالتنقيح وقد ذكره الجاحظ في معرض القول عمن يتحرون المطابقة بين الكلام ومقتضاه ".

وسار على قاعدته جماعة من بعده ، كالحطيئة الذي يقول : خير الشعر الحولي المنقح ، والبعيث الشاعر الخطيب القائل « اني والله ما أرسل الكلام قضيبا خشيبا ، وما أريد أن أخطب يوم الحفل الا بالبائن المحكك » .

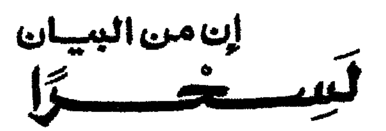
ويظهر أن الحطيئة قد أسرف في التنقيح . ولهذا عابه الاصمعي بقوله : « الحطيئة عبد لشعره » فعابه حين وجد شعره كله متخيرا منتخبا مستويا لمكان الصنعة والتكلف فيه . فقد تحدث الجاحظ عن المجودين الجاهليين ، فذكر انهم كانوا يصنعون ذلك « اتهاما للعقل، وتتبعا على النفس ، ووضعا للعقل حاكما في الرأي وللرأي عيارا على الشعر ، واشفاقا على الادب »".

وتحدث صاحب الصناعتين عن النابغة ، وكيف كان شعره ضعيفا متكلفا ، ثم برىء بفضل اقامته من يثرب وعلمها ونقل عنه قوله :

« دخلت في يثرب فوجدت في شعري ضعفا ، فخرجت منها وأنا اشعر العرب » وروى عن خطباء الجاهلية وأبنائها شدة اعتزازهم بالبيان وتفضيله على كل ما عداه من مقومات الانسان . وفي هذا قال ابن ضمرة : « انما المرء بأصغريه : بقلبه ولسانه ، ان صال صال بجنان، وان قال قال ببيان »".

في دعوة الاسلام

وأتى الاسلام ، فكان عاملا قويا في اعزاز البيان ودعم سلطانه ...



وكان القــــرآن معجزة الرسول حجة بلاغية ، تحدى العرب بل الانس والجن أن يأتوا بمثـــله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا · وحين أفحم المشركون زعموا أنه ســـحر وليس وحيا ··· ولعل الموازنة بين أسلوبه وأسلوب غيره قد أســترعت التنبه الى الميـــزات اللفظية والمعنوية ، والتأمل في طرائق البيان ·

وقد أكثر القرآن من ضرب المثل وألوان التشبيه والمجاز والكنــاية والبـــديع ، حتى كاد المتقـــدمون والمتأخرون يجـــدون لكل نوع بلاغي يهتدون اليه مثالا فيه ·

وكان تفهمه مدعاة الى ظهـــور البحث البلاغي ، فألفت في العصور الاولى كتب كثيرة في معاني القرآن ومجازه ونظمه واعجازه · فواصل ابن عطاء والكســـائي والاخفش والرؤاسي ويونس بن حبيب والمبرد وقطرب النحوي والفراء وأبو عبيدة وابن الانباري والزجاج وخلف ـ كل هؤلاء الفوا في معاني القرآن ·

وأبو عبيدة الف في مجاز القرآن، وللجاحظ كتاب نظم القرآن ، وكتاب المسائل في القرآن ولبشر بن المعتمر كتاب في متشابه القرآن ، ولمحمـــد ابن يزيد الواسطي كتاب اعجـــاز القرآن في نظمه وتأليفـــه ، ولابن الاخشيد كتـــاب نظم القرآن ، ولابن الراوندي كتـــاب في رد الطعن على نظم القرآن ·

وكانت آيات القرآن موضوع درس الجاحظ في كتابه عن الايجـــــاز والاستعارة الموصوف بقوله : « ولي كتاب جمعت فيه آيا من القـــرآن ، لتعرف بها ما بين الايجاز والحذف وبين الـــزوائد والفضـــــول والاستعارات » ·

وكان المجاز في القرآن مدعـــاة للجدل الطويل بين المثبتين والنافين، حتى الف مؤرخ السدوسي كتاب الرد على من نفى المجاز في القـــرآن · وقد عرض الجاحظ لهذا الجدل في مواضع عدة من كتبه ، كالذي ذكره من زعم ابن حائك ، وناس من جهال الصوفية ممن ينكرون المجـــاز في القـــرآن ويفسرون بظـــاهر اللفظ ـ أن النحل أنبياء ، لقوله عز وجل : (وأوحى ربك الى النحـــل)، وأن الحوار يبين أنبياء لقـــوله تعالى : (واذ أوحيت الى الحواريين)· ثم يسخر منهم فيقول : « بل يجب أن تكون النحل كلها أنبياء ، لقوله عـز وجل على المخـرج العام : « وأوحى ربك الى النحل) ولم يخص الملـوك والامهـــــات واليعاسيب ، بل أطلق القول اطلاقا · وعزا الجـــاحظ هذا الى عدم العلم « بوجوه اللغه وفقه بعضها من بعض »· وعـــرض لقوله تعالى « يخـرج من بطونها شراب » فقال : « فالعسل ليس بشراب،وانما يحول بالماء شرابا أو بالماء نبيذا »، ثم قال : « وهذا الباب هو مفخـــر العرب في لغتهم ، وبه قال وبأسبابه اتسعت »·

إن من البيان لسحرا

وهكذا ترى القرآن قد أثار البحث في المجاز العربي وفهم أسراره ، وانهم كانوا يرونه مفخرة للعرب لا يشاركهم فيها أحد سواهم .

وظلت البلاغة متصلة بالقرآن على هذا النحو ، حتى اذا كان القرن الرابع رأينا أبا هلال العسكري يقرر ان علم البلاغة هو الوسيلة لمعرفة أعجاز القرآن ، ويقول : « ... وقد علمنا أن الانسان اذا أغفل علم البلاغة . لم يقع علمه بأعجاز القرآن ، من جهة ما خصه الله به من حسن التاليف وبراعة التركيب ، وما شحنه به من الايجاز البديع والاختصار اللطيف ... »

وكانت في الاسلام مجالس أدبية تشبه المجالس الجاهلية ويستأثر فيها حديث البيان بأوفر نصيب .

ومن المجالس الاسلامية الطريفة مجالس النساء كمجلس عائشة بنت طلحة ، ومجلس سكينة بنت الحسين . فيروى أن عائشة كانت تفد على هشام ، فيأتي مشايخ بني أمية الى داره ويسمرون عنده ، فلا يتذاكرون شيئا من أخبار العرب وأشعارها وأيامها الا أفاضت معهم فيه .

وكانت سكينة برزة تجالس جلة قريش ، ويجتمع اليها الشعراء والمغنون . وقد عرفت بذوقها الفني والادبي ونقد الشعر والغناء ، وكان رواة الشعر يتحاكمون اليها ، وكانت تجيز الشعراء على ماتراه حسنا من قولهم .

وكانت مجالس الخلفاء والولاة كعبة ، يحج اليها الشعراء والعلماء فيعرضون أشعارهم ، ويتناظرون في أرائهم ومعارفهم . وكانت هذه المجالس موضعا لاثارة كثير من المسائل الادبية والفنية ، وللنظر في ألوان الادب وما فيها من جمال التصوير .

ومن مواطن الادب مربد البصرة ومسجد الكوفة . فكان جرير والفرزدق يذهبان الى المربد للتهاجي . وكان للراعي والفرزدق واتباعهما حلقة بأعلى المربد يجلسون فيها ، ويعرضون على الناس انتاجهم الفني .

وكانت مساجد الكوفة والبصرة ميدانا لنشاط المحدثين واللغويين والنحاة والنقاد والمتكلمين والقصاص ، يتذاكرون فيها ويتجادلون ، ويدلي كل بما عنده لاصحابه ، فيتولون كلامه بالنقد والتجريح . ولهذا كان الخطباء والمحدثون يتحرون سلامة التعبير ، وحسن الاداء ، والبعد عن عيوب البيان .

سحر البيان

وروى صاحب « البيان والتبيين» أن البيان يعنى الغلابة فى التعبير ، والايقاع فى الحبائل ، واقتدار صاحبه على نصرة رأيه بالحق والباطل ٠

واستشهد على ذلك بقول مالك بن ديثار أنه سمع الحجاج يخطب ، ذاكرا ما صنع به أهل العراق وما صنع بهم ، فيقع فى نفسه أنهم يظلمونه ، وأنه صادق فيما يقوله لقوة حجته وروعة بيانه ٠٠٠ ثم يقول الجاحظ : فالذين كرهوا البيان ، انما كرهوا مثل هذه المذاهب »٠

وفى ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« انما انا بشر مثلكم ٠ وانكم تختصمون الى ٠ ولعل بعضكم أن يكون الحن (١) بحجته من بعض ، فاقضى له بنحو ما اسمع فمن قضيت له بحق اخيه ، فانما اقطع له قطعة من النار ٠٠٠ »

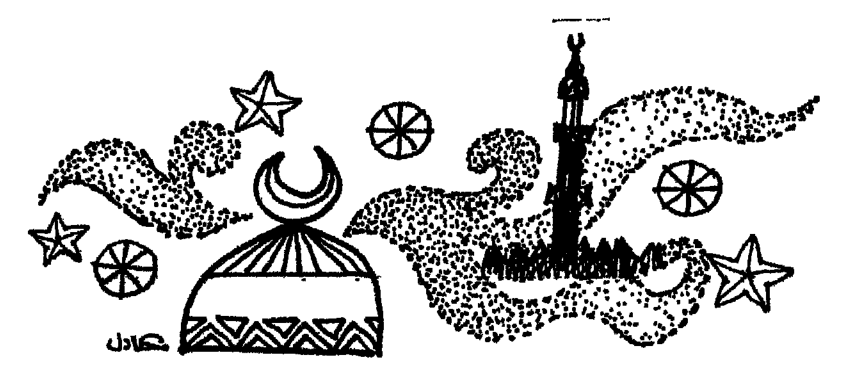
كما روى قول الاعرابى :

برئت الى الرحمن من كل صاحب   اصاحبه الا حماس بن ثامل
وظنى به بين السماطين انه   سينجو بحق او سينجو بباطل

كما روى قول كلثوم بن عمر العتابى ، من علماء القرنين الثانى والثالث للهجرة : « فاذا اردت اللسان الذى يفوق الالسنه ويفوق كل خطيب ، فاظهار ما غمض من الحق ، وتصوير الباطل فى صورة الحق »٠

وروى أن غيلان بن خرشة الضبى مر مع عبد الله بن عامر بنهر أم عبد الله الذى يشق النصرة ٠ فقال عبد الله بن عامر : ما أصلح هذا النهر لاهل هذا المصر ! فقال غيلان : أجل والله ، أيها الامير — يتعلم فيه العوم صبيانهم ويكون لسقياهم ، ومسيل مياههم ، ويأتيهم بميرتهم ٠

ثم مر غيلان يساير زيادا على ذلك النهر — وقد كان عادى ابن عامر — فقال له : ما أضر هذا النهر لأهل هذا المصر فقال



غيلان : أجل ـ والله ، أيها الأمير ـ تلدى مئة دورهم ، ويفـــرق فيه صبيانهم ، ومن أجله يكثر بعوضهم، فكره الناس مثل هذا البيان ٠

ويعلق على هذا ابن رشـيق ، فيقـول : « والذى أراه أنا أن هذا النوع من البيـان غير معيب بأنه نفاق لانه لم يجعل الباطل حقاً ، على الحقيقة ، ولا الحق باطلا ، وانمـا وصف محاسن كل شيء مرة ثم وصف مساويه مرة أخــرى ٠ كما فعل عمرو بن الاهتم بين يدى رسـول الله صلى الله عليه وسلم وقد سأله عن الـزبرقان بن بدر فأثنى خيرا ، فقال : مانع لحـوزته ، مطاع فى أنديته (ويروى فى أدانته) فلم يرض الزبرقان بذلك ، وقال : أما أنه قد علم أكثر مما قال ، ولكن حسـدنى لشرفى (وفى رواية أخرى حسدنى مكانى منك يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم ،) ٠ فأثنى عليه عمرو شرا وقال : أما لئن قال ما قـال ، لقد علمته ضيق الصدر زمر المروءة، أحمق الاب ، لئيم الخـال ، حديث الغنى ٠ ثم قال : والله يارسـول الله ، ما كـذبت عليه فى الاولى ، ولقد صدقت فى الاخـرة ٠ ولكن أرضانى، فقلت بالرضا ، واسـخطنى فقلت بالسخط ٠ فقال رسـول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيـان لسحـرا ٠

٠٠ قال أبو عبيد القـاسم بن سلام : وكان المعنى والله أعلـم أنه يبلغ من بيانه أنه يمدح الانسان ، فيصدق فيه حتى يصرف القلوب الى قوله ، ثم يذمه فيصـدق فيه حتى يصرف القلوب الى قوله الاخـر ٠ فكأنه سحـر السامعين بذلك ٠ وقال صـلى الله عليه وسلم للعلاء بن الحصين ، وقد سأله : هل تروى من الشعر شيئا ؟ فأنشده :

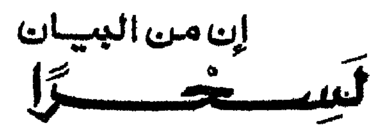
حى ذوى الاضـغان تسب عقولهم تحيتك الحسنى ، وقد يرقع النعل
فان دحسوا بالكره فاعف تكـرما وان حبسوا (١) عندالحديث فلا تسل
فان الذى يؤذيك منه سـماعه وان الذى قالـوا وراءك لم يقل

فقال صلى الله عليه وسلم :

«ان من الشعر لحكما أو حكمة، على اختلاف الرواية ٠

وهذا اللون من البيـان ، الذى يشبه السحر فى جريانه مجـرى التمويه والخداع والاحتجاج للحق والباطل ، قد عنى به أدباء العـرب واسـتخدموه دلالة على تمكنهم فى البيان والفكـر ٠٠

(١) وفى رواية : وان خنسوا عنك



ومن ابرز الامثلة على ذلك كتاب المحاسن والاضداد للبيهقي ، وكتاب المحاسن والمساويء للجاحظ ..

وكانت براعة الجاحظ في هذا اللون من سحر البيان لا يشق لها غبار . فهو يكتب رسالة بارعة خلابة عن ذم الخمر ، ثم يقول له صاحبه ما طلبت ذمها ولكن طلبت مدحها فيكتب له رسالة اخرى في مدح الخمر ومحاسنها لا تقل روعة وخلابة عن سابقتها . ومثل ذلك حديثه عن القيان محاسنهم ومساوئهم ، وعن المعلمين والوزراء والتجار والبخلاء وغيرهم .

وهكذا اتسعت فنون البيان لتشمل هذا الضرب من ضروب المهارة في العرض والمقدرة على التمويه والخداع ...

وبعد ، فان البيان قد استولى على الافراد والمجتمعات ، ووجه سحره الحياة العربية الخاصة والعامة قرونا طوالا ...

فالخلفاء والملوك والامراء ظلوا منذ القدم حتى العصور الحديثة ، وبأقدار متفاوتة ، يقربون الكتاب والخطباء والشعراء ويرونهم ضرورة لممارسة شئون السياسة والحكم ، ويتجاوزون في سبيل بيانهم، والرغبة في الظفر بتأييدهم ، عن جميع مساوئهم ونقائصهم ...

وقد نطالع في العصور الاسلامية الاولى من اغدق على شاعر اعجبه مائة الف درهم ، بل الف الف درهم أو مليونا ... ومن يطالع كتاب الاغاني ، وغيره من موسوعات الادب العربي ، يعجب كيف كانت للبيان الكلمة العليا في شئون السياسة والحكم ، وكيف كان أصحابه هم الولاة والكتاب والوزراء ومن بيدهم الثواب والعقاب ...

ولقد ظل البيان صاحب الكلمة العليا في السياسة حتى مرحلة الحرب الباردة التي امتدت الى منتصف الستينات لهذا القرن .

ومع ذلك فلا يزال للبيان كلمته ومكانته في شئون السياسة الوطنية والقومية والدولية لهذه الايام .

وما حرب الاعلام ووسائله من الصحافة والاذاعة المسموعة والمتطورة ، ووكالات الانباء في ارجاء العالم ومنابر الامم المتحدة والمحافل الدولية ـ وما هذه كلها سوى ادوات لالوان البيان وسحره، يحاول كل منها ان يعلي كلمته . ويبلغ الهدف الذي يسعى لبلوغه .

الطيبات

« ذقت الطيبات كلها ، فلم اجد اطيب من العافية ...

« وذقت المرارات كلها ، فلم اجد امر من الحاجة الى الناس ..

« ... وقد حملت الصخر والحديد ، فلم اجد اثقل من الدين

« ... الا فاعلم ان الدهر يومان : يوم لك ، ويوم عليك ...

فان كان لك فلا تبطر ، وان كان عليك فاصبر ـ فكلاهما ينحسر ..

(علي بن ابي طالب

د. أحمد
الشرباصي

حديث

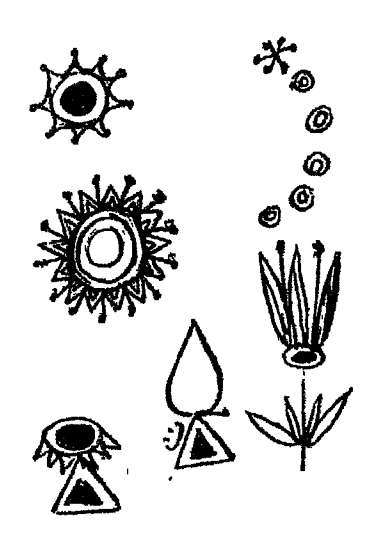


كلمة « السحر » لفظة تكاد تسحرنا بكثرة معانيها وتلون مغازيها : فقد تطلق على دقة العمل ، وقد تطلق على قوة التأثير . فقد قالوا ان الطبيعة ساحرة وتحدثوا عن سحر العيون وسحر الجمال ، وسموا الفطنة سحرا لانه يلطف تأثيره ، وقال سيد البلغاء رسول الله عليه الصلاة والسلام : « ان من البيان لسحرا » اى منه ما يصرف قلوب السامعين اليه ، وان كان غير حق ، وقيل : معناه ان من البيان ما يكتسب به صاحبه من الاثم مايكتسبه الساحر بسحره ، فيكون بمعرض الذم ، وقيل : يجوز ان يكون فى معرض المدح ، لانه يستمال به القلوب ، ويترضى به الساخط ، ويستنزل به الصعب .

يقال سحره أى صرفه عن وجهه وخدعه ، ومن ذلك قوله تعالى فى سورة الاعراف : « وقالوا مهما تأتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين » . وقوله فى سورة المؤمنون « قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون؟ سيقولون لله قل فانى تسحرون » ؟ اى فكيف تصرفون عن الحق وتخدعون؟

واصل السحر هو صرف الشيء عن وجهه أى صرفه عن حقيقته الى غيرها وكان الساحر لما أرى الناس الباطل فى صورة الحق وخيل الشيء على غير حقيقته ، فقد سحر الشيء عن وجهه ، أى صرفه .

والسحر عند العلماء عمل يتقرب فيه صاحبه الى الشيطان ، ويستعين بالشيطان فيه ، لاخراج الباطل فى صورة الحق ، بدقة صنع ولطف مأخذ ، وقد ورد ذكر « السحر »



في القرآن الكريم كثيرا ، بمعنى الخداع والتخيل ، ومن ذلك قول الله تعالى في سورة الانعام : « ولو نزلنا عليك في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين » أى تخييل لا حقيقة ، وخداع للبصر والحواس

ويقول القرآن في سورة يونس : « فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين » . وفي سورة هود : « ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين » .

ولان السحر يقوم على التمويه والتضليل قال القرآن في سورة طه : « ولا يفلح الساحر حيث اتى » ويعلق احد المفسرين بقوله : ان الساحر لا يفلح انى ذهب ، وفي اى طريق سار ، لانه يتبع تخييلا ويصنع تخييلا ولا يعتمد على حقيقة ثابتة باقية ، شانه شأن كل مبطل امام القائم على الحق المعتمد على الصدق .

ويعرف مفسرو القرآن السحر بانه قول او فعل يترتب عليه امر خارق للعادة ، ويعتمد على وسائل من الرقى والعزائم وما اشبهها . ولقد تحدث الرازى المفسر المشهور عن انواع السحر ، فذكر منه سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية ، وسحر يستعين اصحابه بالارواح الارضية - ويقصد بها الجن ، وسحر التخيلات والاخذ بالعيون ، لان المشعبذ الحاذق يظهر عمل شيء يشغل اذهان الناظرين به ، ويأخذ عيونهم اليه ، حتى اذا استغرقهم الشغل بذلك الشيء والتحديق نحوه ، عمل شيئا اخر بسرعة شديدة فيبقى ذلك العمل خفيا ، لتفاوت الشيئين : اشتغالهم بالامر الاول ، وسرعة الاتيان بهذا العمل الثاني ، « وحينئذ يظهر لهم شيء اخر غير ما انتظروه ، فيتعجبون منه جدا ، ولو انه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر الى ضد ما يريد أن يعمله ، ولم تتحرك النفوس والاوهام الى غير ما يريد اخراجه ، لفطن الناظرون لكل ما يفعله ، فهذا هو المراد من قولهم ان المشعبذ يأخذ بالعيون لانه بالحقيقة يأخذ بالعيون الى غير الجهة التي يحتال فيها ، وكلما كان اخذه للعيون والخواطر ، وجذبه لهما الى سوى مقصوده اقوى ، كان احذق في عمله » .

وكلما كانت الاحوال التي تفيد حس البصر نوعا من انواع الخلل اشد ، كان هذا العمل احسن ، مثل ان يجلس المشعبذ في موضع مضيء جدا ، فان الضوء الشديد يفيد البصر كلالا واختلالا ، وكذا الظلمة الشديدة ، وكذلك الالوان المشرقة القوية تفيد البصر كلالا واختلالا ، والالوان المظلمة قلما تقف القوة الباصرة على احوالها » .

ويضيف الامام الرازى ما يسميه سحر الاعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الالات المركبة على النسب الهندسية ، الخاصة ، وهناك سحر

حديث السحر

الاستعانة بخواص الادوية، كاستعمال بعض الادوية المزيلة للعقل ، أو التي تسبب تبلد الذهن ، وهناك سحر « تعليق القلب » ، بأن يوهم الساحر مسحوره بأنه يعرف « الاسم الاعظم» فيعتقد المسحور الضعيف العقل بذلك، ويتعلق قلبه به ، فيتحكم فيه الساحر، ويوجهه الى ما يشاء ، وهناك سحر السعي بالنميمة والوقيعة بوجوه لطيفة خفية •

واذا كان الامام الاصفهاني يجعل أنواع السحر ثلاثة في كتابه « مفردات القرآن » ، وهي أولا الخداع والتخيلات ، وثانيا استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب اليه وثالثا ما كان بقوة تغير الصور والطبائع ، ولا حقيقة لذلك عند المحققين ، اذا كانت أنواع السحر عند الاصفهاني ثلاثة – فان المفسر الجليل ابن كثير يجعلها ثمانية ، وهي :

١ – سحر الكذابين الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة السيارة ، ويعتقدون أنها مدبرة العالم ، وانها تأتي بالخير والشر •

٢ – سحر أصحاب الاوهام والنفوس القوية ، لان الوهم هو الذى يؤثر فى الانسان ، فيجعله يعتقد انه يمكنه أن يمشي على الجسر الموضوع على وجه الارض ، ولا يمكنه المشي عليه اذا كان ممدودا على نهر أو نحوه ، والنفوس خلقت مطيعة للاوهام •

٣ – سحر الاستعانة بالارواح الارضية ، وهم الجن ، ومنهم كفار ومؤمنون ، واتصال النفوس الناطقة بهم أسهل من اتصالها بالارواح السماوية ، لما بينهما من المناسبة والقرب ، وهذا النوع هو المسمى بالعزائم وعمل التسخير •

٤ – سحر الشعبذة والاخذ بالعيون، واذهال الناظرين ، مع الاعتماد على السرعة الشديدة ، ومن هذا النوع ما ذكره القرآن في قوله : « فلما القوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم » وقوله : « يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى »

٥ – سحر الاعمال العجيبة القائمة على استخدام خواص المواد • واستغلال تركيب الآلات الخاصة بنسب هندسية خاصة ، ومن هذا القبيل ما ذكره المفسرون فى قصة سحرة فرعون ، حيث عمدوا الى حبالهم وعصيهم ، فحشوها زئبقا • وجعلوا من أسفلها حرارة خاصة ، فصارت تتلوى بسبب ما فيها من ذلك الزئبق، فيخيل الى الرائي أنها تتحرك وتسعى باختيارها •

٦ – سحر الاستعانة بخواص الادوية فى الاطعمة والدهون الخاصة

٧ – سحر تعليق القلب ، حيث يدعي الساحر المخادع أن الجن يطيعونه وينقادون له فى اكثر الامور عن طريق معرفة « الاسم الاعظم » فاذا اتفق ان السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز ، تعلق قلبه بذلك وحصل فى قلبه نوع من الرعب والمخافة ، فاذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة ، فيتمكن الساحر حينئذ ان يفعل ما يشاء •

٨ – سحر السعاية والنميمة ، عن طريق التحريش بين الناس ، ويتوقف هذا النوع على مدى ذكاء القائم به• وتخلص من هذه التقسيمات والتفريعات الى أن أصل السحر هو التمويه بالحيل والتخاييل ، بأن يفعل الساحر أشياء يخيل للمسحور انها بخلاف ما هى به ، كالذى يرى السحاب من بعيد ، فيخيل اليه انه

ماء ، وكراكب القاطرة السريعة يخيل اليه أن ما يقابله من الاشجار والجبال يسير بسرعة .

ففي السحر اذن معنى الخداع والخفاء ، والاستمالة والتمويه بالكذب ، وهو اما حيلة وشعوذة ، واما صناعة علمية خفية يعرفهابعض الناس ، واما تأثير نفس انسانية في نفس أخرى ، يقول « تفسير المنار » : « وقد اعتاد الذين اتخذوا التأثيرات النفسية صناعة ووسيلة للمعاش أن يستعينوا بكلام مبهم وأسماء غريبة اشتهر عند الناس أنها من أسماء الشياطين وملوك الجان ، وأنهم يحضرون اذا دعوا بها ، ويكونون مسخرين للداعي ،ولمثل هذا الكلام تأثير في اثارة الوهم عرف بالتجربة ، وسببه اعتقادهم الواهم ان الشياطين يستجيبون لقارئه ويطيعون أمره ، ومنهم من يعتقد أن فيه خاصية وانما تلك العقيدة الفاسدة تفعل في النفس الواهمة ما يغني منتحلالسحر عن توجيه همته وتأثير ارادته ، وهذا هو السبب في اعتقاد الدهماء أن السحر عمل يستعان عليه بالشياطين وأرواح الكواكب » .

ويرى فريق من السلف أن السحر لا أصل له ، ويرى البعض أنه وسوسة وأمراض ، ويرى بعض آخر أنه حق وله حقيقة ، يخلق الله عنده ما يشاء ، ومنه ما يكون بخفة اليدين ومنه ما يكون كلاما محفوظا ، ورقى من أسماء الله تعالى ، وقد يكون من عهود الشياطين ، ومنه ما يكون أدوية وأدخنة وغير ذلك .

ومذهب أهل السنة أن السحر ثابت وله حقيقة ، ومذهب المعتزلة بخلاف ذلك ، وهو أن السحر لا حقيقة له، بل هو ايهام لكون الشيء على غير ما هو به ، واستدلوا بقول القرآن : « يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى » حيث لم يقل : تسعى حقيقة ، بل قال: « يخيل اليه » وبقوله : « سحروا أعين الناس واسترهبوهم » .

ويميل « تفسير المنار » — وهو تفسير عصري عقلي يمثل مدرسة الاستاذ الامام محمد عبده — الى تكذيب السحر ، وانه شيء منتحل ، يستخدمه أصحابه ليفتنوا العامة ، ويضلوهم عن طلب الاشياء بأسبابها الظاهرة ومناهجها المشروعة، وهؤلاء الدجالون ما زالوا يتلون أقساما وعزائم ، ويخطون خطوطا وطلسمات ويسمون ذلك خاتم سليمان وعهود سليمان ، ويزعمون أنها تحفظ حاملها من اعتداء الجن ومس العفاريت .

وترى هذه المدرسة العقلية في تفسير القرآن الحكيم أن السحرأعمال غريبة من التلبيس والحيل ، تخفى حقيقتها علىالجماهير لجهلهمبأسبابها فمتى عرف سبب شيء منها بطل اطلاق اسم السحر عليه .

ويستوى في هذا أنواع السحر الثلاثة : ما يعمل بالاسباب الطبيعية من خواص المادة المعروفة للعالم بها، المجهولة عند المسحورين ، كاستعمال الزئبق فيتحريك الحبال والعصى الذى روى أن سحرة فرعون قد استخدموه في سحرهم .

أو ما يقوم على الشعوذة القائمة على البراعة وخفة اليدين في اخفاء بعض الاشياء واظهار بعض آخر .

أو ما يقومعلى تأثير النفوس ذوات الارادة القوية في النفوس الضعيفة صاحبة الامزجة العصبية القابلة للاوهام والانفعالات

وفي كتاب « في ظلال القرآن » أن القوى المجهولة في الكون كثيرة ،وقد نحس بها ، أو نشاهد بعض آثارها ، ولكننا لا نستطيع تجلية حقائقها أو طرائقها أو كنهها .. فالتنويم المغناطيسي مثلا ، والتخاطب علىأبعاد ومسافات طويلة (التليباثي) ،وأحلام التنبؤ التي تقع فيما بعد كما رئيت ، من هذا الوادى . والسحر من قبيل

حديث السحر

هذه الامور ، وتعليم الشياطين للناس من قبيل هذه الامور ، وقد تكون صورة من صور القدرة على الايحاء والتاثير ، اما في الحواس والافكار، واما في الاشياء والاجسام، ولا مانع ان يكون مثل هذا التاثير وسيلة للتفريق بين المرء وزوجه ، وبين الصديق وصديقه ، فالانفعالات تنشا من التاثيرات ، وان كانت الوسائل والاثار ، والاسباب والمسببات ، لا معنى لها الا باذن الله

وعلى الرغم من اختلاف الائمة في حقيقة السحر فراهم يجمعون على ان السحر لا يؤثر بذاته في نتائج او عواقب ، وانما يخلق الله تعالى الاشياء المتعلقة بالسحر عند وجوده، كما يخلق الشبع عند الاكل ، والري عند شرب الماء .

وكما تكلم السلف عن حقيقة السحر تكلموا عن حكمه .

يقول الامام القرطبي في تفسيره : من السحر ما يكون كفرا من فاعله ، مثل ما يدعون من تغيير صور الناس واخراجهم في هيئة بهيمة ،وقطع مسافة شهر في ليلة ، والطيران في الهواء فكل من فعل هذا ليوهم الناس انه محق فذلك كفر منه » .

وجمهور العلماء يرى قتل الساحر، لانه كالمدعي للنبوة ، وكالكافر بالانبياء:

يرى الامام مالك والائمة ابن حنبل والشافعي وابو حنيفة وغيرهم ، أن المسلم اذا سحر بنفسه ، بكلام يكون كفرا يقتل ولا يستتاب ولا تقبل توبته لان الله تعالى سمى السحر كفرا ، كما يقول عن الملكين المعلمين للسحر :

« وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر » .

واستدلوا على ذلك بحديث ـ ضعفوه ـ يقول : « حد الساحر: ضربة بالسيف » .

ويقول ابن المنذر . « واذا أقر الرجل أنه سحر بكلام يكون كفرا وجب قتله ان لم يتب ، وكذلك لو ثبتت به عليه بينة ، ووصف البينة كلاما يكون كفرا » .

وان كان الكلام الذي ذكر أنه سحر به ليس بكفر لم يجز قتله . فان كان أحدث في المسحور جناية توجب القصاص اقتص منه ان كان عمد ذلك ، وان كان مما لا قصاص فيه ففيه دية ذلك » .

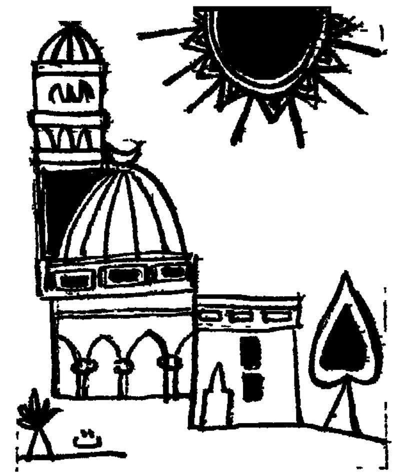
ويروى أنه كان عند الوليد بن عقبة ساحر يلعب بين يديه ، فكان يضرب راس الرجل ثم يصيح به فيرد اليه راسه ، فقال الناس : سبحان الله ، يحيي الموتى .

ورآه رجل من صالحي المهاجرين، فلما كان الغد جاء الساحر مشتملا على سيفه ، واخذ يلعب لعبه ذلك ، فرفع المهاجر سيفه ، وضرب به عنق الساحر ، وقال عنه : « ان كان صادقا فليحي نفسه » . وتلا قول الله تعالى : « اتاتون السحر وأنتم تبصرون » ؟ ! .

وحين يدور حديث السحر في القرآن ، يرد سؤال له اهميته في هذا المجال

أصحيح ما يزعمه بعض المفسرين أن لبيد بن الاعصم اليهودي سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن الله جل جلاله شفاه من هذا السحر ؟

انهم يوردون هذه القصة عند قول القرآن الكريم في سورة الفلق: « ومن شر النفاثات في العقد » ، وبعض المحققين يطعنون في ذلك



الخبر ، ويرون أن تمكن ذلك الشخص من سحر الرسول لا يليق بمكانة الرسول وهو المعصوم المؤيد من ربه سبحانه ، وعلى رأس هؤلاء المنكرين لقصة سحر الرسول الاستاذ الامام محمد عبده ، وله فى ذلك الموضوع بحث يفيض بالحرارة والغيرة على مكانة الرسول عليه الصلاة والسلام ومما جاء فيه :

« قد رووا ههنا أحاديث فى أن النبى صلى الله عليه وسلم سحره لبيد بن الاعصم ، واثر سحره فيه ، حتى كان يخيل له انه يفعل الشيء وهو لا يفعله ، او يأتى شيئا وهو لا يأتيه ، وان الله انبأه بذلك ، واخرجت مواد السحر من بئر ، وعوفى صلى الله عليه وسلم مما كان نزل به من ذلك ، ونزلت هذه السورة (سورة الفلق) .

ولا يخفى أن تأثير السحر فىنفسه عليه الصلاة والسلام حتى يصل به الامر الى أن يظن أنه يفعل شيئا وهو لا يفعله ، ليس من قبيل تأثير الامراض فى الابدان ، ولا من قبيل عروض السهو والنسيان فى بعض الامور العادية ، بل هو ماس بالعقل آخذ بالروح ، وهو مما يصدق قول المشركين فيه « ان تتبعون الا رجلا مسحورا » .

وليس المسحور عندهم الا من خولط فى عقله ، وخيل له أن شيئا يقع وهو لا يقع ، فيخيل اليه أنه يوحى اليه ولا يوحى اليه .

وقد قال كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ما هي النبوة ، ولا ما يجب لها : ان الخبر بتأثير السحر فى النفس الشريفة قد صح ، فيلزم الاعتقاد به وعدم التصديق به من بدع المبتدعين لانه ضرب من انكار السحر ، وقد جاء القرآن بصحة السحر .

فانظر كيف ينقلب الدين الصحيح والحق الصريح فى نظر المقلد بدعة ! نعوذ بالله ، يحتج بالقرآن على ثبوت السحر ، ويعرض عن القرآن فى نفيه السحر عنه صلى الله عليه وسلم ، وعده من افتراء المشركين عليه ، ويؤول فى هذه ولا يؤول فى تلك ، مع أن الذى قصده المشركون ظاهر ، لانهم كانوا يقولون : ان الشيطان يلابسه عليه السلام وملابسة الشيطان تعرف بالسحر عندهم وضرب من ضروبه وهو بعينه اثر السحر الذى نسب الى لبيد، فانه قد خالط عقله وادراكه فى زعمهم .

والذى يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به، وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، فهو الذى يجب الاعتقاد بما يثبته ، وعدم الاعتقاد بما ينفيه ، وقد جاء بنفى السحر عنه عليه السلام ، حيث نسب القول باثبات حصول السحر له الى المشركين أعدائه ، ووبخهم على زعمهم هذا ، فاذن هو ليس بمسحور قطعا .

وأما الحديث ـ على فرض صحته فهو آحاد ، والآحاد لا يؤخذ بها فى باب العقائد ، وعصمة النبى من تأثير السحر فى عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ فى نفيها عنه الا باليقين ، ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن والمظنون. على أن الحديث الذى يصل الينا

حديث السحر

من طريق الآحاد انما يحصل الظن عند من صح عنده ، أما من قامت له الادلة على انه غير صحيح ، فلا تقوم به عليه حجة ، وعلى أى حال قلنا — بل علينا ان نفوض الامر فى الحديث ولا نحكمه فى عقيدتنا ، ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل ، فانه اذا خولط النبىّ فى عقله — كما زعموا — جاز عليه أن يظن انه بلغ شيئا وهو لم يبلغه ، أو أن شيئا نزل عليه وهو لم ينزل عليه • والامر هنا ظاهر لا يحتاج الى بيان •

ثم ان نفى السحر عنه لا يستلزم نفى السحر مطلقا ، فربما جاز أن يصيب السحر غيره بالجنون نفسه• ولكن من المحال أن يصيبه، لان الله عصمه منه »•

واذا كان السحر حقيقة عند من يقول من الائمة بوجوده ، فما الحكم فى علاج المسحور من السحر ؟

اجاز بعض العلماء ان يقوم الانسان بعلاج المسحور ، عن طريق مايسمونه « النشرة » ، وهى ضرب من الرقية يعالج به من كان يظن ان به مسا من الجن • ويقرر الامام ابن كثير فى تفسيره للقرآن العظيم ان انفع ما يستعمل لاذهاب السحر هو ما انزل الله تبارك وتعالى على رسوله فى اذهاب ذلك ، وهما المعوذتان : اى سورة الفلق : « قل اعوذ برب الفلق، من شر ما خلق ، ومن شر غاسق اذا وقب ، ومن شر النفاثات فى العقد ، ومن شر حاسد اذا حسد » •

وسورة الناس : « قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، اله الناس ، من شر الوسواس الخناس ، الذى يوسوس فى صدور الناس ، من الجنة والناس »

ويذكر الحديث النبوى الشريف : « لم يتعوذ المتعوذ بمثلهما » •

وكذلك قراءة آية الكرسى ، فانها طاردة للشيطان •

هذا وقد فرق مفسرو القرآن الكريم بين السحر والمعجزة ، بما يلي :

١ — السحر يمكن ان يقع من الساحر ومن غيره ، والمعجزة مقصورة على الرسل عليهم الصلاة والسلام •

٢ — المعجزة لا يمكن الله احدا ان يأتى بمثلها أو يعارضها ، بخلاف السحر •

٣ — السحر لا يكون معه ادعاء النبوة، والمعجزة تكون مقترنة بادعاء الرسول انه رسول من عند الله •

٤ — المعجزة حق يجريه الله على يدى رسول ، والسحر تمويه وخداع غالبا •

ولقد ذكر القرآن الكريم موقفين من مواقف السحر ، أولهما يتعلق بالسحر فى عهد سليمان ، ويتعلق بقصة هاروت وماروت ، والموقف الاخر يتعلق بسحرة فرعون فى قصة موسى عليه السلام •

الموقف الاول جاء فى شأنه قول الله تعالى فى سورة البقرة : «واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ، وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الاخرة من خلاق ، ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون » •

يخبر الله تعالى بأن من سيئات اليهود انهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وأعرضوا عنه ، واتبعوا السحر واتبعوا كتابا فيه صنعة « آصف » كاتب النبى سليمان ، واتبعوا سحر هاروت وماروت ،وهما كانا يعلمان الناس السحر اختبارا وابتلاء ، ووصفوا سليمان بانه ساحر وليس نبيا ، فكذبهم الله فى ذلك ، وأبان أن الشياطين هم الذين افتروا على سليمان وموهوا على الناس بالتلبيس والخداع فكانوا من الكافرين .

وكان هاروت وماروت يقولان للناس : « انما نحن فتنة فلا تكفر » وكانا يعلمان الناس السحر تعليم من يحذر منه لا تعليم من يدعو اليه ويقولان للناس : لا تفعلوا كذا وكذا ولا تحتالوا بكذا ، لتفرقوا بين المرء وزوجه

ويرى الامام محمد عبده أن قوله تعالى « فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه» لا مانع ان يكون المراد منه تلك الطرق الخبيثة التى تصرف الزوج عن زوجته ، والزوجة عن زوجها ، ولا يبعد أن يكون مثل هذه الطرق مايتعلمه الناس ويطلبون له الاساتذة ، ونحن نرى ان كتبا الفت ودروسا تلقى لتعليم اساليب التفريق بين الناس ، لمن يريد أن يكون من عمال السياسة فى بعض الحكومات .

وقد يكون ذكر المرء وزوجه من قبيل التمثيل ، واظهار الامر فى اقبح صورة : اى بلغ من امر ما يتعلمونه من ضروب الحيل وطرق الفساد ، أن يتمكنوا به من التفريق بين المرء وزوجه ، وسياق الآية لا يأباه ،وذكر الشياطين لا يمنعنا من ذلك :بعد أن سمى الله خبثاء الانس المنافقين بالشياطين . قال : « واذا خلوا الى شياطينهم » . وقال « شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض » .

وينفى القرآن الكريم أن يقع شىء فى هذا الكون الا بإذن الله ، فيقول فى الآية السابقة : « وما هم بضارين به من احد الا بإذن الله » .

والموقف الثانى الذى عرضه القرآن عن السحر هو موقف سحرة فرعون مع موسى عليه السلام ، وقد تحدث القرآن عن هذا الموقف فى سورة الاعراف ويونس وطه والشعراء والقصص ، وغيرها ، ويحسبنا أن نذكر الآيات التى وردت فى سورة الاعراف عن هذا الموقف فهى تقول : « وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين ، قال نعم وانكم لمن المقربين ، قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين، قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ، واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هى تلقف ما يأفكون ، فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون »

وقوله « استرهبوهم » اى حاولوا ارهاب الناس ، والقاء الخوف فى قلوبهم ، بما فعلوه من تخييل ، وبما موهوا عليهم ، حتى خيل الى الناس أن عصيهم وحبالهم تسعى ، وانما الامر فى الحقيقة تلبيس واحتيال .

ولعل من ادق ما يصور موقف القرآن الحكيم من السحر والسحرة، ما جاء فى سورة طه على لسان موسى وهو ينصح السحرة: «فقال لهم موسى لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى » . وقول القرآن بعد ذلك : « انما صنعوا كيد ساحر ، ولا يفلح الساحر حيث اتى» وقوله فى سورة يونس عن السحرة مع موسى : « فلما القوا قال موسى : ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ، ان الله لا يصلح عمل المفسدين ، ويحق الله الحق بكلماته ، ولو كره المجرمون » .

د. أحمد الحوفي

ألوان من استكناه

الغيب

في العصر الجاهلي

يتفشى في الامم البدائية وفي الشعوب الجاهلية ربط المسببات بغير أسبابها الطبيعية ، فيعتمد الناس في جلب النفع وتدفع الضرر وفي محاولة معرفة المستقبل على وسائل كثيرة لا تعتمد على يقين او على اساس ثابت يقره العلم أو يزكيه العقل .

وقد دان العرب في العصر الجاهلي بوسائل شتى لاستكناه الغيب المحجب .. منها :

(١) العرافة والكهانة

١ ـ اختص بعض الدارسين العرافة بأنها التكهن بما خفي من أحداث الماضي ، واختص الكهانة بأنها التكهن بما عسى أن يحدث في المستقبل ، ولكن هذا التخصيص ليس له ما يبرره ويعززه ، لان العرافة والكهانة بمعنى واحد ، الا أن العراف كان أقل شأنا من الكاهن ، وكان الناس يقصدونه لمعالجة بعض امراضهم ، أما الكاهن فكانوا يفزعون اليه لتعرف الحوادث ، ويعتمدون عليه في الفصل بينهم اذا ما تفاخروا وتنافروا .

٢ ـ وقد اشتهر بالعرافة رياح بن عجلة باليمامة والابلق السعدى بنجد ، وهما اللذان عناهما عروة بن حزام حبيب عفراء في قوله :

جعلت لعراف اليمامة حكمه	وعراف نجد ان هما شفياني
فقالا : نعم نشفي من الداء كله	وقاما مع العواد يبتدران
فما تركا من رقية يعلمانها	ولا سلوة الا وقد سقياني (١)
فقالا : شفاك الله والله ما لنا	بما ضمنت منك الضلوع يدان

---

(١) السلوة ما يزعمون انه يشفي من الحب

٣ ـ ومن مشهوري الكهان في العصر الجاهلي شق بن أنمار النزاري وسطيح ابن مازن الغساني وسواد بن قارب الدوسي .

وقد ذكر الرواة من تكهن سواد بن قارب أن خمسة من عقلاء قبيلة طيء، أحدهم الشاعر عارف، قصدوا الى سواد ليختبروا معرفته ، واخفى كل واحد منهم شيئا ليسأله عنه ، فلما دخلوا عليه سأله كل منهم عما أخفاه ، فأجابه عنه ودله عليه كأنه هو الذي أخفاه بيديه ، ودار الحوار طويلا مسجوعا، فغادروه بعد أن قالوا: صدقت ياسواد، وأنت أعلم من تحمل الارض ، وقال شاعرهم عارف أبياتا منها :

الا لله علم لا يجارى	الى الغايات في جنبي سواد
أتيناه نسائله امتحانا	ونحسب أن سيعمد بالعناد
فأبدى عن خفي مخبآت	فأضحى سرها للناس باد
كأن خبيئنا لما انتحينا	بعينيه يصرخ أو ينادى
لقد حزت الكهانة عن سطيح	وشق والمرقل من اياد

(٢) الزجر والعيافة

١ ـ كان من عاداتهم اذا ما خرجوا لسفر أو لشأن ذى قيمة أن يتفاءلوا أو يتشاءموا بأسماء الطير التي يرونها ، وبطيرانها يمنا أو شمالا . وكان الذى يعتمد على الطيور في هذا يسمى العائف .

وقد شاع في عرب الجاهلية زجر الطير والوحش واثارتها ، فما تيامن منها سموه سانحا ، وما تياسر سموه بارحا ، وما استقبلهم فهو الناطح ، وما جاء من خلفهم فهو القعيد .

لكنهم اختلفوا في الاصطلاح من حيث اليمين واليسار ، لان الزجر خرافة ووهم تابع للمصادفة البحتة ، فمن زجر طيرا وتصادف أن طلبته قضيت تفاءل بالاتجاه الذى رآه ، ومن لم يقض اربه تشاءم بهذا الاتجاه نفسه .



٢ ـ على انهم بدأوا بالطير ثم انتقلوا الى غيره من الحيوان ، ثم جاوزوا الحيوان الى ما يحدث في الجماد من كسر أو صدع ٠

وليس في الارض شيء يتشاءمون به انكد من الغراب ، ولا ابشع اخبارا ، ولا أشنع آثارا ، فلماذا خصوه بهذا؟

لعل السبب أمور راجعة الى لونه ، والى عمله ، والى اسمه ٠

فهو أسود أو أبقع ، وهو يؤم الاماكن الخربة ويتقمم مواضع الخيام عند الرحيل ، وهو ينقر قروح الابل نقرا يكشف عن العظم ، وهو والغربة والاغتراب والغريب من مادة واحدة ٠

لهذا كنوا عنه بالاعور ، مع أنه مشهور عندهم بصفاء العين ودقة الابصار ٠

، يدل على تشاؤم الشعراء بنعيبه قول عنترة أن الغراب انذره بفراق أحبابه، وهو غراب كريه المنظر ، منسول الريش ،مولع بتفريق الاحبة ، كأن فكيه مقص يقطع الاواصر :

ظعن الذين فراقهم اتوقع وجرى ببينهم الغراب الأبقع
حرق الجناح كأن لحيي رأسه جلمان بالاخبار هش مولع
فزجرته الا يفرخ عشه أبدا ويصبح خائفا يتفجع (١)
ان الذين نعيت لي بفراقهم هم اسهروا ليلى التمام فأوجعوا

وكذلك توجس النابغة الذبياني في قوله :

زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك تنعاب الغراب الاسود

وبقي التشاؤم بالغراب الى ما بعد الاسلام ، وما زال بعض الناس يتشاءمون به وبالبومة الى اليوم ، قال عمر بن أبي ربيعة :

نعب الغراب ببين ذات الدملج ليت الغراب ببينها لم يشحج (٢)

وقال جرير :

ليت الغراب غداة ينعب دائبا كان الغراب مقطع الاوداج

٣ ـ وهم تشاءموا بالجراد لان فيه معنى الجرد، وتشاءموا ببعض الحيوان كالثور المكسور القرن أو المقطوع الذنب أو الظبي الذي يجيء من الخلف وتشاءموا ببعض الكلاب ، ذكر الطبري وياقوت الحموي ان السيدة عائشة

---

(١) حرق الجناح : منقطع الريش منسول ـ اللحيان : جانبا وجهه
الجلم : المقص الكبير
(٢) يشحج : يصوت



الغيب

سارت الى البصرة لتشترك في موقعة الجمل ، فلما مرت على ماء الحوأب نبحتها كلابه ، فقالت هي ومن معها : أى ماء هـــذا : ؟ فقيل لها : ماء الحوأب ، فصرخت السـيدة باعلى صـــوتها ، ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته ، ثم قالت : أنا والله صاحبة كـلاب الحوأب ، ردوني ... قالت ذلك ثلاثا ، وأناخت بعيـــرها ، وأناخوا حولها ، فغــالطوها وقالوا لها أنه ليس ماء الحوأب ، حتى كان الغد مجيئها عبد الله بن الزبير فقال: النجا النجا ، فقد أدرككم علي بن أبي طالب ، فارتحلوا • ويبدو من هذا أن العرب كانوا يتشاءمون بكلاب الحوأب ان نبحتهم ، ويتفاءلون بها ان لم تنبحهم وظل وهمهم هذا الى ظهور الاسلام •

٤ ـ ولم يقف تشاؤمهم عند هذا ، بل انه تعدى الى بعض الاحداث ، فاذا انكفأ من امرأة اناء وصب ما فيه تشاءمت و

دافق خير •

ولقد تفاءلوا بالطير التي تطيـر كما سبق ، الى أبعد حد ، لانهم زعموا انه كان يهدي سليم، الماء في أعمـاق الارض ، وزعمـوا أن الله تعـ على رأسه مثوبة له على بره بأمه ، لانها لما ماتت فهذه القنزعة عوضته عن تلك الوهدة ويروون قصد الجاهلي الكبير « امية بن أبي الصلت »

٦ ـ لكن الزجـــر لم يكن قانونا يدين به جميع الع ولا يستند الى منطق العقل والحوادث، ولهذا ندد به كث وسفهوا المتشـــائمين بخاصة ، لان التشاؤم يدعو أما التفـــاؤل ـ على أنه وهم أيضا ـ فاذ والاقدام •

يقول المرقم

لا يمنعنك من بغـــا	ء الطير تعقيـــد التمائم
لا والتشـــاؤم بالعطا	س ولا التيمن بالمقاسـم
ولقد غـــدوت وكنت لا	أغدو على واق وحـــائم
فاذا الاشــــائم كالايا	من والإيامن كالاشائم (١)

كذلك نصـــح أفنون التغلبي من يعتزم الرحلة ألا يثنيه زاجر الطير ، والا يعوقه الغراب ولا الوعول الآتية من الخلف :

يا أيها المزمع وشك النـــوى	لا يثنك الحازى ولا الشـاحج
ولا وعول تجشـــت كدســا	خارجهـــا من غمرة والج (٢)

وافتخر ربيعة بن مقـــروم باعتماده على الله ، فلا يثنيه طير ولا غراب ، وقد خص السانح بالذكر لانه على مذهب أهل العالية فى تشـاؤمهم بالسانح :

أصبح ربي في الامر يرشـــدني	اذا نويت المســـير والطلبا
لا سانح من ســوانح الطير يثنيني	ولا نـاعـــب اذا نعبـــا

---

(١) البغاء : طلب ـ العطاس : كان بعضهم يتشاءم به ـ المقاسم : من تقاسمك ـ الواقى : طائر ضخم الرأس الحاتم : الغراب

(٢) الحازى : زاجر الطير . الشاحج: الغراب . تجشت : ثارت . كدس : تجيء من الخلف . غمرة : جماعة ظباء او وعول



الغيب

ويشاركه لبيد في أن مفاتيح الغيب بيد الله وحده :

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصا ولا زاجرات الطير ما الله فاعل

ويكاد من الطبيعي أن يكون شعراء الاسلام أكثر تنديداً بالزجر والزاجرين لأنه يفت من عزائم ، ويحول عن الأعمال ، ويكل علم الغيب الى غير الله تعالى علام الغيوب . ومن الطف ما قيل أبيات لأبي الشيص يبرىء فيها الغراب من الطيرة ، ويقول اذا كان الناس يتطيرون منه لأن اسمه متصل بكلمة الغربة فأولى بهم أن يتطيروا بالابل لأنها مطايا الفرقة والغربة :

النّاس يلحون غراب البين لما جهلوا
وما على ظهر غراب البين تطوى الرحل

ولا اذا صاح غراب في الديار احتملوا
ما فرق الاحباب بعد الله الا الابل

وما غراب البين الا ناقة أو جمل

ويتفق معه في هذا الكميت في قوله :

ولا أنا ممن يزجر الطير همه أصاح غراب أم تعرض ثعلب
ولا السانحات البارحات عشية أمر سليم القرن أم مر أعضب

ويطن ضابىء بن الحارث أن الانسان قد يتوجس شراً من أمر لاضير فيه ، وأن الرجل الذي لا يوطن نفسه على تحمل الرزايا انما هو رجل ضعيف العزيمة :

وما عاجلات الطير تدني من الفتى نجاحاً ولا عن ريثهن يخيب
ورب أمور لا تضيرك ضيرة وللقلب من مخشاتهن وجيب
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب

(٣) تمائم للوقاية من الحسد والجن

اعتقد كثير منهم أن التمائم تحفظ حاملها من الحسد ومن الجن ، ومن تمائمهم :

١ – تعليق كعب الارنب ، اذ كانوا يعلقون على أجسامهم كعب الارنب ، معتقدين أنه وقاية من السحر ، وأن الجن تنفر من الارنب لأنها تحيض ، جاء في أبيات لامرىء القيس قوله لهند :

ليجعل في ساقه كعبها   حذار المنية أن يعطبا

٢ ـ تعليق سن الثعلب وسن الهرة وحيض السمرة أي ما يسيل من شجرة الطلح كدم الغزال ، قالت امرأة تصف ولدا :

كانت عليه سنة من هرة   وثعلب والحيض حيض السمرة

٣ ـ كذلك زعموا أن تعليق اقذار نجسة وقاية من العين والجن ، وانشدوا للممزق العبدي :

ولو بت في بيت سد خصاصه   حوالي من ابناء بكرة مجلس
ولو كان عندي حازيان وكاهن   وعلق انجاسا على المنجس
اذن لاتتني حيث بت منيتي   يخب بها هاد الى معرس (١)

لكن البيئة لم تخل من عقلاء يستخفون بهذا الزعم ، فقد علقت امرأة على ولدها نجسا فلم يحفظه من الموت ، فقالت :

نجسته لا ينفع التنجيس   والموت لا تفوته النفوس

وقال المرقم :

لا يمنعك من بغا   ء الطير تعقيد التمائم

وقال آخر :

ولا ينفع التعشير ان حم واقع   ولا ودع يغني ولا كعب ارنب (٢)

٤ ـ وكانوا يحصنون الابل من الحسد اذا بلغت الفا بأن يفقأوا عين الفحل ، فان زادت على الالف فقأوا العين الاخرى ، قال شاعرهم

فكان شكر القوم عند المنن   كي الصحيحات وفقء الاعين

وقال آخر :

وهب لنا وانت ذو امتنان   تفقأ فيها اعين البعران

وهكذا يتشقق الحديث ويتفرع المقال ، فحسبنا هذه اللمحات .

---

(١) الحازي : الخبير بالامور والمراد الطبيب الحاذق . معرس : غائب

(٢) التعشير : التهيق مثل الحمار عشرا زعموا انه وقاية من الجن والوباء

من مأثوراتهم

● قد يكون الحب هو العذاب ، ولكن الحرمان من الحب هو الموت ! ..
(شكسبير)

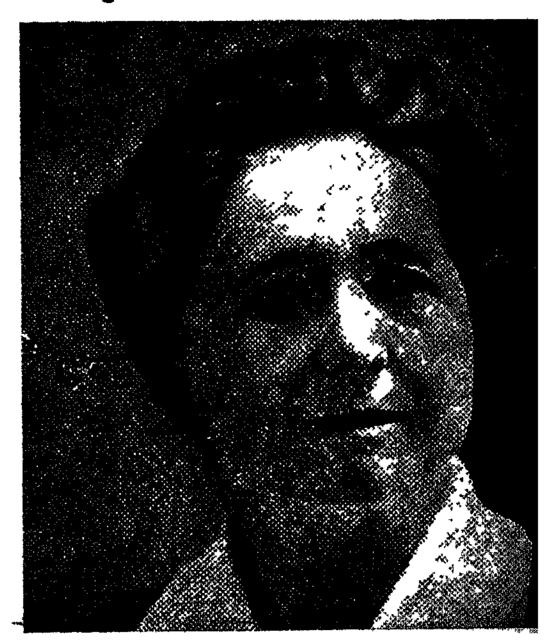
● كلما زاد ايمانك بذكائك ، كلما سهل على المرأة ان تخدعك ـ
(بايرون)

● الوطنية تطلب دائما ، ولا ترجو ابدا !
(جمال الدين الافغاني)

علي أدهم

مع السحرة الجوكية

ألكسندرا دافيد : لقاء مع اللاما



يروى لنا الرحالة المغربى المغامر الجرىء ابن بطوطه الذى قام برحلاته بين سنه ١٣٢٥ ميلادية وسنه ١٣٥٥ ، أنه حينما وصل الى الاسكندرية قادما من طنجة لقي بعض علمائها ، وكان فيمن لقيهم العالم الزاهد الورع برهان الدين الأعرج أحد كبار الزهاد ، ويقول ابن بطوطة « دخلت عليه يوما فقال لى « اراك تحب السياحة والجولان فى البلاد ، فقلت له « نعم انى احب ذلك » ولم يكن حينئذ خطر ببالى التوغل فى البلاد القاصية من الهند والصين ، فقال لابد لك ان شاء الله من زيارة أخى فريد الدين بالهند وأخى برهان الدين بالصين فاذا بلغتهم فأبلغهم منى السلام » ويسترسل ابن بطوطة فيقول « فعجبت من قوله وألقى فى روعى التوجه الى تلك البلاد ، ولم أزل أجول حتى لقيت الذين ذكرهم ، وأبلغتهم سلامه »

ونستخلص من هذه الرواية ان ابن بطوطة ترك الاسكندرية وغادر مصر قاصدا القيام بفريضة الحج الى مكة ، وقد عقد العزم على زيارة الهند والصين كما اوحى اليه الزاهد المتعبد برهان الدين الاعرج المدفون بالاسكندرية فى ضريح معروف وهو يعد من الأولياء المشهورين .

ولما كان ابن بطوطة يتجول فى الهند زار مدينة صغيرة اسمها برون (بفتح الباء وسكون الراء وفتح الواو) وعلم من أهلها ان السباع كثيرا ما تدخل اليها ليلا وابوابها مغلقة فتفترس الناس حتى قتل من اهلها الكثير ، ويقول ابن بطوطة ان بعض اهل المدينة اخبروه ان الذى يفعل ذلك ليس بسبع وانما هو آدمى من السحرة المعروفين بالجوكية يتصور فى صورة سبع ، « ولما اخبرت بذلك انكرته ، واخبرنى به

جماعة ».

وتحدث بعد ذلك عن السحرة الجوكية فقال « وهؤلاء الطائفةتظهر منها عجائب منها أن احدهم يقيم الأشهر لا يأكل ولا يشرب ، وكثير منهم تحفر لهم حفر تحت الارض وتبني عليه فلا يترك له الا موضع يدخل منه الهواء ويقيم بها الشهور وسمعت أن بعضهم يقيم كذلك سنة، ورأيت بمدينة متجرور رجلا من المسلمين ممن يتعلم منهم قد رفعت له طبلة واقام بأعلاها لا يأكل ولا يشرب مدة خمسة وعشرين يوما ، وتركته كذلك . فلا ادرى كم اقام بعدى ، والناس يذكرون انهم يركبون حبوبا يأكلون الحبة منها لأيام معلومة أو أشهر فلا يحتاج فى تلك المدة الى طعام ولا شراب ويخبرون بأمور مغيبة ، والسلطان يعظمهم ويجالسهم ، ومنهم من يقتصر اكله على البقل ومنهم من لا يأكل اللحم ، وهم الاكثرون ، والظاهر من حالهم انهم عودوا انفسهم الرياضة ولا حاجة لهم فى الدنيا وزينتها ، ومنهم من ينظر الى الانسان فيقع ميتا من نظرته ، وتقول العامة انه اذا قتل بالنظر وشق عن صدر الميت وجد دون قلب ويقولون أكل قلبه ، واكثر ما يكون هذا فى النساء والمرأة التى تفعل ذلك يقال لها كفتار » .

ويروى لنا بعض مشاهداته لاعمال السحرة الجوكية فيقول « بعث الى السلطان يوما وانا عنده بالحضرة فدخلت عليه وهو فى خلوة وعنده بعض خواصه ورجلان من هؤلاء الجوكية ، وهم يلتحفون بالملاحف ، ويغطون رءوسهم لانهم ينتفونها بالرماد كما ينتف الناس آباطهم ، فامرنى بالجلوس فجلست ، فقال لهما ان هذا العزيز من بلاد بعيدة فأرياه ما لم يره ، فقالا « نعم » فتربع احدهما ثم ارتفع عن الارض حتى صار فى الهواء فوقنا متربعا فعجبت منه وادركنى الوهم فسقطت على الارض فأمر السلطان ان أسقى دواء عنده ، فأفقت وقعدت وهو على حاله متربع،فاخذ صاحبه نعلا له من شكارة كانت معه فضرب بها الارض كالمغتاظ فصعدت الى ان علت فوق عنق المتربع وجعلت تضرب فى عنقه وهو ينزل قليلا حتى جلس معنا ، فقال لى السلطان ان المتربع هو تلميذ صاحب النعل ، ثم قال له « لولا انى أخاف على عقلك لأمرتهم ان يأتوا بأعظم مما رأيت ».

ويروى لنا ابن بطوطه انه لما نزل بجزيرة صغرى بالهند أسمها جزيرة سندابور وتجاوزها الى جزيرة أخرى صغيرة قريبة منها وجد بها جوكيا مستندا الى حائط بدخانة وهى بيت الاصنام ، وهو فيما بين صنمين منها وعليه أثر المجاهدة ، ويقول ابن بطوطة « فكلمناه فلم يتكلم ، ونظرنا هل معه طعام فلم نر معه طعاما ، وفى حين نظرنا صاح صيحة عظيمة فسقطت عند صياحه جوزة من جوز النارجيل بين يديه ودفعها لنا ، فعجبنا من ذلك ودفعنا له دنانير ودراهم فلم يقبلها، واتيناه بزاد فرده ، وكانت بين يديه عباءة من صوف الجمال مطروحة فقلبتها بيدى فدفعها لى ».

وتحدثنا السيدة الكسندرا دافيد نيل - وهى سيدة من اصل مختلط من الفرنسيين والنرويجيين فى كتابيها « رحلتى الى لهاسا » و « مع المتصوفة والسحرة فى التبت » عن الكثير من مشاهداتها لاعمال السحرة والمتصوفة فى بلاد التبت ، وقد درست فى جامعة السوربون بباريس وقامت برحلات فى اوربا وشمال افريقية ولكنها

مع السحرة اليوكية

اكثرت من التجوال في آسيا وبخاصة في بلاد التبت ، وقد مكنتها دراستها لهذه المنطقة من مخالطة الكثير من الهنود المتصوفين والنساك المتعبدين والسحرة وزيارة المعابد والاديرة والصوامع والمناسك والكهوف المنعزلة ، وعاشت مع روادها كواحدة من المقيمين بها ، والمعلومات التي تتضمنها في كتابيها المذكورين وفي غيرهما من مؤلفاتها العديدة تعد من المراجع الهامة الموثوق بها •

ويقول العلامة البروفسور دارسونفال في تقديمه لكتابها عن « المتصوفة والسحرة في التبت » «هذه المكتشفة الجريئة المعروفة لبلاد التبت تجمع في نفسها الصفات الجسدية والاخلاقية والعقلية المطلوبة في من يتصدى لملاحظة مثل هذا الموضوع واختباره ، وهي تعرف لغة بلاد التبت وتتحدث بها وتكتب بها ، وقد قضت بها اربعة اعوام ، واعتنقت الديانة البوذية واستطاعت بذلك ان تظفر بثقة اللامات » (وهم الكهنة البوذيون)•

ولكن السيدة المذكورة ظلت مع ذلك متأثرة بآراء ديكارت ، وكلودبرنار وغيرهما من الفلاسفة المتشككين ، وقد اهلها ذلك لملاحظة اعمال السحرة والمتصوفة ملاحظة موضوعية ، وان ترد الكثير من تلك المشاهدات المستغربة والافاعيل السحرية الى التجارب النفسية والممارسات الوجدانية الجديرة بالبحث والدراسة ، وقد لا نتبين حقيقة النظريات والمبادىء التي تقوم عليها تلك المشاهدات والممارسات ، ولكن مهما يكن من شأنها فانها خليقة بالدرس سواء من الناحية النفسية او الناحية العضوية الطبيعية أو من الناحية الفكرية الخالصة ، أضف الى ذلك اهميتها في تعرف الكثير من المعتقدات المستولية على عقول الكثير من البشر وأخيلتهم سواء في الامم المتخلفة حضاريا أو الامم التي اخذت بنصيب موفور من الحضارة والترقي والتقدم •

وتتحدث السيدة الكسندرا عن الدالاي لاما ـ وهو كبير الكهنة في لهاسا ـ فتقول انه حينما اقتحمت الحملة البريطانية عاصمته في التبت برغم وجود مشاهير السحرة والعرافين ادرك ان هؤلاء الاجانب الهمج المستوحشين قد أصبحوا السادة في المألوف المادي للحياة بحق ما أوتوا من القوة ، واكدت له المخترعات والكشوف التي شاهدها في خلال رحلة له في الهند قدرة هؤلاء القوم على السيطرة على عوامل الطبيعة المادية ، ولكن هذا لم ينل من اعتقاده بتفوق عقلية طائفته على الجنس الابيض ، وتقول انه كان في ذلك يشترك مع الاسيويين جميعا من سيلان الى منغوليا •

وحينما عرف الدالاي لاما انها تعرف العقيدة البوذية ادهشه ذلك واكبره وعجب كيف تمكنت سيدة من الغرب أن تكون لها دراية بهذه العقيدة ، وبدا له ذلك في صورة امر غير متوقع ، وحينما تأكد من ذلك ووثق به سألها في ادب عن استاذها الذي هداها الى الوقوف على اسرار المذهب البوذي لانه كان يفترض انها لا يمكن أن تعرف شيئا من هذا القبيل الا في ضوء ارشاد كاهن بوذي اسيوي ، ولم يكن من

السهل اقناعه ان الكتب البوذية المقدسة قد نقلت الى اللغة الفرنسية قبل ان تولد وقال لها « اذا كان قد اتيح للقليل من الاجانب ان يتعلموا لغتنا ويقرأوا كتبنا المقدسة فانه لابد ان يكون معناها قد خفي عليهم ».

واغتنمت هى هذه الفرصة لتقول لهم « اننى كنت اشتبه فى ان بعض العقائد السائدة فى التبت قد اسيء فهمها ولذلك سعيت للمثول بين يديك لاستنير » .

وكان لهذا الكلام وقع حسن فى نفسه ، فرد على الاسئلة التى وجهتها اليه واعطاها بعد ذلك بيانا مكتوبا مطولا لشرح موضوعات منوعة من العقيدة البوذية .

وتختلف الطريقة التى يحيى بها الدالاى لاما اتباعه حسب مراتبهم الاجتماعية وهو يحيى اصحاب المقام الرفيع بأن يضع يديه على رأسهم وفى حالات اخرى يضع يدا واحدة أو اصبعين او يكتفى بوضع اصبع واحدة ، وهو يمنح بركته بأن يلمس الراسبلسة خفيفةباشرطة ملونة ملتصقة بعود قصير ، وهذه اللمسة لها اهميتها فى التعاليم اللامية لانها تنقل الى المريدين بعض القوى المباركة الخارقة المنبعثة من اللاما .

ويصطف عدد كبير من الناس فى كالمبونج ليلمسهم الدالاى لاما ، ويستغرق هذا الحفل ساعات ويأتى فيه وفود من نيبال والبنغال من اتباع العقائد الهندوسية .

ولحظت السيدة الكسندرا مرة رجلا جالسا على الارض حول راسه عمامة وقد انتبذ جانبا وهو فى هيئة النساك الهندوسيين ، ولكن ملامحه كانت مختلفة عن ملامحهم ، وكان يرتدى ثيابا خلقة ، وقد وضع هذا الافاق الجوابة الى جانبه خرجا صغيرا ، وبدا انه ينظر الى الجمع الحاشد نظرة تنم على السخرية والاستخفاف .

فسألت السيدة الكسندرا احد الادلاء عن هذا الدايوجين الهيمالاوى وماذا عسى ان يكون ، فذهب اليه وبادله الحديث ، وعاد اليها وقد بدت على وجهه علامات الجدية والاهتمام وقال لها « ان هذا اللاما من ناسكى بوتان المتجولين ، وهو يعيش هنا وهناك فى الكهوف، وقد توقف اياما هنا فى دير صغير ».

ففكرت السيدة الكسندرا فى ان تذهب الى الدير الصغير الذى يقيم به وتغريه بالحديث معها ، لانها ارادت أن تتبين سبب سخريته ، فهل كان ذلك من قبيلالاستهانة بأمر الدالاى لاما ومريديه ؟ واذا كان الأمر كذلك فما سببه ؟ وقد يكشف ذلك عن اشياء شائقة .

ووافق الدليل على ان يصحبها ، ولما دخلا عليه فى الحجرة التى تحوى التماثيل والصور المقدسة وجداه جالسا على وسادة ، وقد امتلأ فمه بالأرز الذى كان يتناوله . ورد على تحيتهما الموقرة بصوت خفيض يشى بعدم الارتياح .

وحاولت السيدة الكسندرا ان تكسر الثلج وتبدأ الحديث ، ولكن الرجل العجيب الشأن شرع فى الضحك وهمس بكلمات يسيرةأربكت الدليل ، فسألته السيدة الكسندرا عما قاله ، فاعتذر لها قائلا « ان لهؤلاء النساك فى بعض الاوقات كلاما خشنا ، ولست أدرى هل استطيع ترجمته ؟ »

فقالت له السيدة الكسندرا رجائى ان تحاول فقد جئت لادون ملاحظاتى عن كل ما يحدث ، فاجاب معذرة ، انه يقول « ما سبب حضور هذه البلهاء الى هنا ؟! » .

ولم يضايق ذلك السيدة الكسندرا

فقد كانت تعرف ان اكثر هؤلاء النساك يسبون من يقترب منهم ، وقالت للدليل « قل له اننى جئت لأساله عن سبب استخفافه بجماعة المريدين الذين جاءوا يلتمسون البركات من الدالاى لاما »

فتمتم قائلا وقد استشعر اهميته وجلالة شأنه « انهم حشرات تتحرك فى الإقذار !

وكانت هذه الكلمات الغامضة هى المنتظرة من أمثال هذا الرجل فى رأى السيدة الكسندرا التى اجابته قائلة « وانت ، اترى نفسك مطهرا من الادناس ؟ » ..

فضحك بصوت مسموع وقال « الذى يحاول الخروج من المأزق يتورط فيه اكثر فاكثر ، واني لأتقلب فى أعماقه مثل الخنزير ، واهضمها واحولها الى تراب ذهبى والى جدول من الماء النقى ، ان تكوين النجوم من روث الكلاب هو العمل العظيم » .

فقالت السيدة الكسندرا « هل هؤلاء المريدون ليسوا على حق فى محاولة الاستفادة من حضور الدالاى لاما .. والحصول على البركات ؟.. انهم قوم بسطاء ليس فى قدرتهم الطموح الى معرفة التعاليم الاسمى ».

فقاطعها الناسك قائلا « لكى يكون للبركات اثر فعال لابد ان يكون من يمنحها يملك القدرة التى يدعيها على منحها ، اترى هذا الحامى العالى القدر (الدالاى لاما) فى حاجة الى جنود لمحاربة الصينيين او غيرهم من الاعداء اذا كان يملك مثل هذه القوى ؟ .. الا يستطيع ان يطرد من البلاد كل من يريد ابعادهم ويحيط البيت بحاجز غير مرئى لا يستطيع أحد اختراقه ؟.. ان المعلم الذى اتبعه – وقد عاش فى التبت فى القرن الثامن – كان يملك مثل هذه القدرة ، وكانت البركات التى يجود بها تصل الى الذين يقدسونه برغم إنه كان يعيش فى بلاد بعيدة عنهم ، ولست سوى احد تلامذته المتواضعين ، ومع ذلك ... »

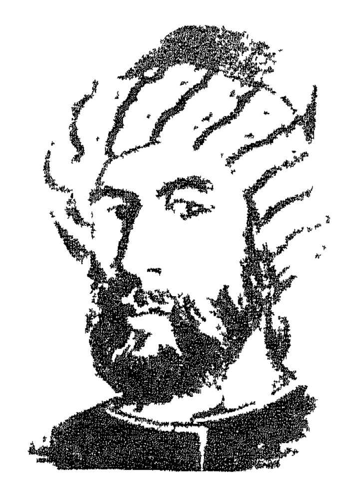
واتبع قوله « ومع ذلك بنظرة توحى الكثير من الاشياء ...

. وبدا على الدليل القلق والاضطراب ، فقد كان يحترم الدالاى لاما احتراما عميقا ويكره أى نقد يوجه اليه ، ولكنه فى الوقت نفسه شعر بالخوف من الرجل الذى يستطيع خلق النجوم من روث الكلاب !

ويظن اهل التبت ان مظاهر الطوارىء الجوية من عمل الشياطين والسحرة فالعواصف العارمة من أسلحتهم ، والرياح الشديدة الهبوب الثلجية تعوق قصاد الحج الى الاماكن المقدسة ، وبذلك يمنع الفضوليون وضعاف الايمان من الوصول الى الصوامع واماكن العبادة .

وتقول السيدة الكسندرا انها بعد اسابيع من قدومها اعترف لها الدليل انه بعد وصولها استشار الدليل العراف فى مسالة هجوم الامطار والثلوج على غير انتظار فى يوم وصولى الذى كان مشمسا صافى الاديم ، فقال العراف ان اللامات والالهة المحلية لم تكن معادية لى ، ولكننى برغم ذلك ساواجه مشكلات جمة اذا حاولت ان اعيش فى ارض الدين كما يسمى

مع السحرة الجوكية



ابن بطوطه: حديث عن السحره الجوكيه

أهل التبت بلادهم ، وقد تحقق ذلك !

وتقول السيدة الكسندرا ان البوذيين المحافظين يحرمون الشعائر الدينية ، ويعترف اللامات انهم لا يستطيعون ان يمنحوا الاستنارة الروحية وانها لا يمكن اكتسابها الا ببذل المجهود الشخصي الفكرى ، ولكن الاغلبية مع ذلك تعتقد ان بعض طرائق الطقوس والشعائر تشفي المريض وتوفر الرخاء المادى ، وتمكن من التغلب على الشر ، والانتصار على الاشرار ، وترشد ارواح الموتى في العالم الاخر .

وحينما ذهبت السيدة الكسندرا الى مدينة سيككيم توجهت في اليوم التالى لوصولها الى دير متواضع قائم على منحدر أحد الجبال ، ولم تجد شيئا شائقا في هذا المعبد ، وحينما همت بالانصراف لمحت أحد اللامات واقفا على مدخل الدير ، وكان في شكله والملابس التى يرتديها ما يستوقف النظر ، ونظر الى السيدة الكسندرا دون ان يتكلم وكانت اذ ذاك قليلة المعرفة بلغة التبت ، فلم تجرؤ على محادثته ، واكتفت بان حيته وخرجت ، ولكن الدليل الذى كان في صحبتها حينما رأى هذا اللاما ينزل على درج الرواق ركع امامه ثلاث مرات ، واثار ذلك دهشتها لانها لم تعهد فيه الاسراف في الاحترام او المغالاة في الاكبار والتبجيل ، ولم يسبق لها ان شاهدته يقدم مثل هذا التقدير لأحد ، فلما عاد اليها سألته عن هذا اللاما ، فأجابها أنه من عظماء اللامات وان أحد الكهنة أخبره وهو في السير ان هذا اللاما امضى سنوات في كهف بالجبل ، وان الشياطين والمردة تطيع أمره وانه يصنع المعجزات ، ويقال انه يستطيع ان يقتل الرجال وهو بعيد عنهم ، ويمكنه أن يطير في الهواء ..

واثار ذلك حب الاستطلاع عند السيدة الكسندرا حينما سمعت هذه الروايات وكانت قد سمعت الكثير من امثالها ، ووجدت هذه فرصة مناسبة للاستزادة من المعلومات ، ولكن كيف تستطيع محادثة اللاما ؟.. وكان الدليل المصاحب لها يجهل الاصطلاحات الفلسفية التبتية ولا يمكنه ذلك من ترجمة اسئلتها ، وضايقها ذلك واهمها ، فلم تنم نوما هادئا واتعبتها الاحلام المضطربة ، وسمعت أنغاما عرفت أنها نغمات دينية ، فمن كان هناك في الليل يعزف هذه الانغام الموسيقية ؟... وعقدت العزم على لقاء اللاما ، فارسلت اليه طالبة لقاءه في اليوم التالى ، وكانت الحجرة التى يقيم بها في الدير ملأى بالصور والرسوم ، واستعانت بالدليل الذى صحبها على توجيه اسئلة في موضوعات شتى الى اللاما ، وكان دليلها الشاب لا يستطيع ان يجد الالفاظ المعبرة عن المعانى التى

مع السحرة الجوكية

قصدتها ، وقد تحدثت في كتابها عن الكثير من مشاهداتها وما سمعته من الراهبات البونيات عن قدرة اللامات على شفاء الامراض وانزال الامطار وحماية الاراضي المزروعة ٠

ويمكن ان نستخلص من حديث ابن بطوطة عن السحرة الجوكية ومن مشاهدات الباحثة الكسندرا لماذا اتجه الباحثون في علم الانسان ـ الانثروبولوجي ـ والباحثون في العلوم السيكولوجية الى النظر في العلاقة بين نشأة السحر ونشأة الدين ، وللدين عند كبار المفكرين والعلماء والفلاسفة تعاريف تختلف في بعض تفاصيلها وتتفق في جوانب أخرى ، ويمكن القول انها بوجه عام تنقسم الى قسمين رئيسيين ، ففريق منهم يرى ان الدين هو الاعتراف بوجود لغز في الكون يضطرنا الى محاولة تفسيره أو أنه ناحية من التفكير تدعو الى الاعتقاد بوجود امكانيات تعلو على قدرة الانسان وتتجاوز طاقته ، وفريق أخر يرى أن الدين هو الشعور بالاعتماد على اله أو انه موقف الاكبار لتلك القوة المجهولة الذى نسميه التقوى والعبادة ٠

وقد قللت البحوث النفسية الحديثة من قيمة هذه التعريفات والرأى الذى له الغلبة ان جميع جوانب الشخصية الانسانيه تشترك في تكوين الدين فالارادة والشعور والعقل لازمة ، ولا يمكن فصل اى جانب منها في العناصر المكونة للدين ، ولكن هذا لا يدل بالضرورة على الفهم الصحيح للعلاقة الوظيفية لكل مظهر من مظاهر الحياة النفسية الثلاثة المذكورة ٠

وقد يعرف الانسان أن الدولة قائمة على القوة التشريعية والقوة التنفيذية والقوة القضائية ، وبرغم ذلك قد نخطىء اشد الخطأ في عدم فهم العلاقة الوظيفية بين كل جانب من هذه الجوانب والجانب الاخر ، فبعض الباحثين يرى للشعور المكان الاول في الدين وأنه مدار الوعي الديني ، وبعضهم يرى ان الدين محاولة لتفسير الاشياء جميعها سواء الاشياء المادية الطبيعية أو الاخلاقية ، ورأى باحثون آخرون ان الدين هو محاولة استرضاء قوى اعظم من قوى الانسان للاستعانة بها في سير الحياة البشرية

ويرى العلامة النفسى وليام جيمس انه يمكن ان نقول آن الحياة الدينية مكونة من الاعتقاد بأن هناك نظاما خفيا وان اسمى ما نطمح اليه من الخير هو ان نجعل حياتنا مطابقة لاحكام هذا النظام ، وان هذا هو الموقف الدينى للنفس ، وان موقف السخرية والاستخفاف عند فولتير وامثاله يلزم نبذه ومجافاته ، وان الدين يستلزم موقفا جديا نحو الحياة والانسانية ٠

وفي كل مجتمع من المجتمعات مجموعة من المعرفة التجريبية ، وفكرة أن الانسان البدائي تسيطر عليه اراء صوفية لا عقلية ، فكرة غير سليمة ، ففي تفكير الانسان المتحضر وتفكير الانسان البدائي عنصر من عناصر اللامعقول ، والفرق بين المتحضر والبدائي ليس كامنا في عمليات التفكير والاستنتاج المنطقي ، وانما هو في المقدمات والمعتقدات التي كونها كل منهما عن الدنيا ٠







ديكارت — وليم جيمس

والحياة تحوى باستمرار عنصر عدم القدرة على معرفة المغيب والمتوقع ، ومن ثم الهم الذى يخالج نفس الانسان ، وتبدو هذه الحالة بوجه خاص عند الانسان البدائى الذى ينقصه الكثير من الوسائل التكنولوجية الميسرة للانسان المتحضر ، والمرض والموت من الجوع والكوارث الطبيعية اكثر حدوثا وابعد عن صحة الفهم فى المجتمعات البدائية ، ومثل هذه المجتمعات قد تكون مجموعة من المعتقدات فيما تسميه العوامل غير الطبيعية التى تسترضى بالقربان والعبادة والتوسل ويمكن أن يقال ان وظيفة المعتقدات فى هذه الحالة هى تخليص الانسان من الجهل والهم ، وهذا علة بقاء المعتقدات المخالفة للعقل فى المجتمعات المتقدمة ، ففى الكثير من المجتمعات يعزى المرض او الكوارث الشخصية التى تصيب الناس الى غضب الارواح الشريرة أو الى اعمال السحر او الاخفاق فى مراعاة الشعائر والطقوس ، وكل علة من هذه العلل تقدم تفسيرات مقبولة وتصف العمل الذى نسلكه فى علاجها ، فقد تقدم ضحية لروح الاب انتقاما من عمل الساحر او للاعتذار عن التقصير فى القيام بالشعائر .

والانسان يمارس السحر لتحقيق بعض الاهداف ، ولوحظ أن العمل السحرى مكون فى المألوف من ثلاثة عناصر، الرقية او الالفاظ المستعملة، والآلات المستعملة مثل الادوية والعقاقير ، والشعيرة وهى ما يقوم به الساحر ، وقد تختلف الاهمية النسبية لكل عامل من هذه العوامل الثلاثة حسب حالة المجتمع الذى تمارس فيه ، ولابد لانجاز السحر من توفر العوامل الثلاثة .

والمعتقدات الدينية السحرية تقدم وسائل لفهم المجهول والمغيب من أمور الحياة واحوال الدنيا ، وبذلك تخف وطأة الهم والقلق ، وتزداد الثقة بالنفس والامل فى الحياة ، ومن الصعب فى المجتمعات البدائية فصل مجالات الدين عن مجالات السحر ، ولكن يمكن ان نميز الدين بالمعتقدات فوق الطبيعية التى تتضمن الاشارة الى كائنات روحية مهما يكن تصورها وتمييزها عن غيرها من الكائنات التى ليست كذلك .

وفى الواقع ان المعتقدات الدينية والاعتقاد بالسحر بينهما علاقات لا يمكن قطعها ، ولم تعرف بعد جماعة بشرية لم يكن لها نوع من الدين والعبادة ، وقد يصل مجتمع الى الاعتقاد باله سام وانه المحرك الاول للكون ، وقد يصل مجتمع اخر الى الايمان بالارواح والشياطين او ارواح الموتى السالفين ، وتستلزم ممارسة الدين اشتراك الجماعة ولذلك يعمل الدين على تقوية الروابط بين من يدينون بالعقيدة نفسها ، ومراعاة الدين قد تستلزم ان يكون العقل فى حالة حسنة وتستبعد المشاعر غير الاجتماعية ولذلك يحدث التوازن الاجتماعى .

والبحوث عن اصول الدين ونشأة السحر كثيرة ومتنوعة ولا تزال فى تطور مستمر كلما تكاثرت المعلومات واتسعت البحوث .



لم يكن غريبا حين تناول القرآن الكريم موضوع السحر والسحرة فى كثير من السور والآيات ، وحين جاءت فى صحيح البخارى قصة اليهودى الذى سحر النبي عليه الصلاة والسلام، أن يهتم علماء المسلمين ومفكرو الاسلام بموضوع السحر ، وأن يتناولوه فى مؤلفاتهم بالدراسة والتعليق

تناول العلماء والباحثون موضوع السحر والسحرة من زوايا مختلفة ، فالامام الغزالى فى كتابه (احياء علوم الدين) يؤمن بوجود السحر،ويعده من العلوم المذمومة ، لانه قسم العلوم الى محمودة ومذمومة · والعلم المذموم لا يذم لعينه ، وانما يذم لما فيه من ضرر للشخص نفسه او لغيره او لان الخائض فيه لا يستفيد فائدة علم ·

وشر انواع العلم المذموم هو ما يحمل الضرر فيوصله الى المرء او الى غيره ، كعلم السحر،والطلسمات والنجوم ·

اما ابن خلدون فقد جعل السحر من العلوم التى تحمل الضرر ولهذا حرمته الشريعة ،لان الشارع اباح لنا في الافعال ما يهمنا فى ديننا الذى فيه صلاح آخرتنا او فى معاشنا الذى فيه صلاح دنيانا · والسحر من هذه الناحية محظور لما فيه من الضرر الذى لا يرضاه الله لعباده ·

ويرى التهانوى صاحب كتاب (كشاف اصطلاحات الفنون) ومن علماء القرن الثانى عشر الهجرى ، ان علم السحر هو علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقتدر بها على افعال غريبة باشياء خفية · وانه لا نزاع فى تحريم عمله وتعلمه · وانه يعلم ليحذر ، إلا ليعمل وان بعض مفكرى الاسلام ذهبوا الى ان تعلم السحر فرض كفاية ، حتى يكون هناك فى الامة الاسلامية من يكشف

سحر ساحر اذا ظهر وادعى النبوة فهو علم لا للممارسة ، ولكن لكشف سحر السحرة المدعين وابطال دعاويهم فيما يتعلق بادعاء النبوة .

ولم يكتف مفكرنا ابن خلدون بانه جعل السحر من العلم المذموم ، بل جعل معالجته كفرا ، لان رياضة السحر كلها عنده انما تكون بالتوجه الى الافلاك والكواكب والعوالم العلوية والشياطين بانواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل ، وهى – لذلك – وجهة الى غير الله وسجود له ، والوجهة الى غير الله كفر . ومن هنا كان السحر كفرا فى رأيه .

ويدير ابن خلدون فى مقدمة الكلام على « السحر » من جهات كثيرة ، ويناقش الرأى فى كونه حقيقة أم تخييلا فهو واقع على كل حال ، وله أثره فى نفس الرائى وفى المسحور .

وابن خلدون شديد الاعتقاد بالاثر النفسى فى السحر ، وقد افاد رأيه هذا من كلام الفلاسفة ، فأن الماشى على حرف حائط أو على حبل منتصب اذا قوى عنده توهم السقوط سقط

احمد زكى : تسمية كتاب غاية الحكيم



بلا شك . ولهذا نجد أناسا يعودون أنفسهم الا يؤثر التوهم النفسى فيهم ، فنجدهم يمشون على حرف الحائط والحبل المنتصب ولا يخافون السقوط ، لانهم نفوا عن أنفسهم وهم السقوط .

والغرائب التى رآها الرحالة ابن بطوطة فى بلاد الهند من هذا القبيل كثيرة ، فقد شاهد بعينيه سحرة الهند الذين يتسلقون الجبال وهى قائمة منتصبة دون أن يسقطوا . وليس أدل من ذلك على صلة التوهم بالسحر وما اليه ...

ويقودنا الحديث عن عجائب السحرة فى الهند الى الحديث عن بعض المؤلفات العربية التى تناولت عجائب السحرة فى بلاد كثيرة . وقد ذكر ابن النديم صاحب كتاب « الفهرست » بعضا من هذه العجائب نقلها فى كتابه عمن يثق بفضله ، وقال فيها « وللصين حيل وسحر من طريقة أخرى . وللهند خاصة علم التوهم ، ولها فى ذلك كتب ، قد نقل بعضها الى العربى . وللترك علم من السحر . وقال لى من اثق بفضله انهم يعملون عجائب، من هزائم الجيوش ، وقتل الاعداء ، وعبور المياه ، وقطع المسافات البعيدة فى المدة القريبة ...

ومن السحرة فريق يعرفون فى بلاد المغرب «بالبعاجين» يأتون من الاعمال السحرية ما تندهش له العقول ، ويقال انهم يشيرون الى الكساء أو الجلد بأيديهم من بعيد فيتخرق ، ويشيرون فى الهواء الى بطون الغنم بالبعج فتنبعج – أى تنشق . وقد كان الواحد منهم الى عصر ابن خلدون يعرف باسم (البعاج) لان اكثر ما يرتكبونه من أعمال السحر كان بعج الانعام . وكانوا يفعلون ذلك ليرهبوا أصحاب الانعام فيعطوهم من فضلها، ويفعلون ذلك سرا لا علانية خوفا على أنفسهم من مؤاخذة الحكام لهم ومعاقبتهم .

الساحر

وقد لقى مؤرخنا ابن خلدون من هؤلاء البعاجين السحرة جماعة وشاهد بعينى رأسه أفعالهم وذكر ذلك فى المقدمة وهو يتحدث عن السحر والطلسمات . وحين ذكر ابن خلدون بعض عجائب السحر وأشار اليها بالسماع فانه ذكر أعمال البعاجين بالمشاهدة والمعاينة لانه رآها بنفسه فى المغرب .

وكانت تصحب أعمال السحرة أقوال وكلام مهموس فى السر ، ونفث من الريق بعد اجتماعه فى الفم ، وقد أشار ابن خلدون الى ذلك وهو يحدثنا عن السحرة المغاربة الذين يشيرون الى بطون الغنم فاذا بها منبعجة فأمعاؤها ساقطة من بطونها الى الارض ...

وقد أشار ابن النديم الى أن الساحر يتوصل الى ابنة ابليس بالعزائم ومتى فعل لها ما تريد وصل اليها وأخدمته من يريد من الشياطين وقضت حوائجه ، كما أشار الامام الغزالى فى « الاحياء » الى كلمات يتلفظ بها الساحر ، ويتوصل بسببها الى الاستعانة بالشياطين (ويحصل من مجموع ذلك ـ بحكم اجراء الله تعالى العادة ـ أحوال غريبة فى الشخص المسحور ...) (١)

ويمثل الغزالى قمة التفكير عند علماء المسلمين فى الايمان المطلق بالسحر والاعتقاد به على الرغم من أنه علم مذموم ، ويرى أن هناك فى الكون أمورا غريبة من قبيل السحر وأن هناك فى « الاعداد » خواص عجيبة مجربة ، كتلك الخواص التى تستعمل فى تجربة معالجة الحامل التى عسر عليها الطلق . ويشير الى ذلك المربع الذى يعرف بمربع (بدوح) وهو شكل فيه تسعة بيوت ـ أو خانات ـ يرقم فيها أرقام مخصوصة بحيث يكون مجموع ما فى جدول واحد خمسة عشر ، سواء قرأته بالطول أو العرض أو على التاريب . وقد تناول الغزالى هذا الموضوع وهو يتحدث عن « سر النبوة » فى كتابه (المنقذ من الضلال) (٢) .

وليس عجيبا أن يتكلم الغزالى عن السحر وهو فى معرض الحديث عن النبوة ، فان للنبى معجزات يبرهن بها للقوم على صدق رسالته . والمعجزات أعمال خوارق للعادة والطبيعة ، فما الفرق بينها وبين السحر . ومن هنا كان تناول الغزالى للقضية . على أن مفكرنا ابن خلدون قد تناول الموضوع بتفصيل وتدقيق أكثر حينما تكلم عن «السحر» فى المقدمة . لانه لما كانت المعجزة بامداد من روح الله فانه لا يعارضها شىء من السحر فان سحر فرعون وسحرته لم يستطع أن يقف أمام معجزة العصا التى تلقف ما يأفكون .

وبالطبع قد تعرض المتكلمون لموضوع الفرق بين المعجزة والسحر فى مؤلفاتهم . فالسحر يقع من كاذب ، والمعجزة لا تقع الا من صادق لانها تحمل معنى التحدى .

واذا كان المتكلمون من علماء المسلمين قد نظروا الى موضوع السحر والمعجزة من وجهة نظر الصدق والكذب ، والتحدى وعدمه ، فان حكماء المسلمين قد نظروا الى

---

(١) علوم الدين ـ جـ ١ ص ٥٠ ـ طبعة لجنة نشر الثقافة الاسلامية .
(٢) المنقذ من الضلال للغزالى ـ ص ٥٢ طبعة بيروت ١٩٥٩
(٣) مقدمة ابن خلدون ـ طبعة لجنة البيان العربى ص ١١٢٢



أحمد حسن الزيات .
تاريخ ألف ليلة وليلة

الموضوع من ناحية الخير والشر ، فالفرق بين السحر والمعجزة هو فرق ما بين الشر والخير ، فالساحر لا يصدر في أعماله عن خير ولا يستعمل في أسباب الخير وصاحب المعجزة وهو النبي طبعا لا يصدر منه الشر ولا يستعمل في أسباب الشر • وكأنهما على طرفي النقيض في أصل فطرتهما •

ويقودنا موضوع المعجزة وكونها بامداد من الله الى موضوع الكرامة عند رجال التصوف وأصحاب الكرامات ،وهو موضوع لم يفت المؤلفين من علماء المسلمين أن يتحدثوا فيه •

ولم يقصر ابن خلدون عن دخول الميدان كعادته في البحث ، فذكر أن لبعض المتصوفة وأصحاب الكرامات تأثيرا في أحوال العالم ، وليس هذا التأثير معدودا من جنس السحر ، وانما هو بالامداد الالهي ، لأن طريقة الصوفية ونحلتهم هي من آثار النبوة وتوابعها ، ولهم من المدد الالهي حظ على قدر حالهم وايمانهم وتمسكهم بكلمة الله (٤) •

واذا كنا شاهدنا أخيرا وفي مباراة كبرى لكرة القدم أقيمت في القاهرة في أكتوبر ١٩٧٤ بعض العمل الذي خبأه لاعب أفريقي قرب مرمى الهدف لفريقه ، فان المؤلفات العربية لم تغفل الحديث عن « العمل » السحري لكسب المحبة والسيطرة • ويشير المؤرخ المفكر ابن خلدون الى عمل الطلسمات من الأعداد المتحابة لكسب المحبة • فيكون (للعمل) بطريقة مخصوصة تأليف عظيم بين المتحابين، حتى لا يكاد أحدهما ينفك عن الآخر (٥) •

ولا نذهب بعيدا بين المؤلفات العربية ففي كتاب (ألف ليلة وليلة) نماذج وعجائب من هذا القبيل •

وقد سبقت اشارتنا الى ابنة ابليس والتوصل اليها بالعزائم ، على ما ذكره ابن النديم في كتابه « الفهرست » • ومن الغريب أن مؤلفي كتاب « ألف ليلة وليلة » قد استغلوا هذه « الجنية » أو الشيطانة في قصصهم في مواضع كثيرة ، وجعلوا لبعض ملوك الاسلام سلطانا عليها ، وزعموا أن الخليفة هارون الرشيد قد بعث الى هذه « الجنية » بمرسوم — واسمها سعيدة بنت الملك الأحمر — يأمرها فيه بقبول الصلح بين رجلين وأخويه ، ليرتفع عنهم العقاب ، ويهددها بأنها اذا لم تنفذ أحكامه ، فانه سينفذ فيها أحكامه وحكم الله ••• وعلامة طاعة هذه الجنية أن ترفع سحرها عن هذين الأخوين (٦) •••

---

(٤) المقدمة • ص ١١٢٢
(٥) المصدر نفسه ص ١١١٩
(٦) المنتخب من كتاب ألف ليلة وليلة للمستشرق هنري بيريس ، وماتجيون — طبع دار المعارف بمصر

ويصادفنا في جمهرة كثيرة من المؤلفات العربية تعريف للسحر يختلف ما بين مؤلف ومؤلف ، ولكن هذه التعريفات تلتقى فى أن السحر هو علم بكيفية استعدادات خاصة ، تقتدر بها النفوس البشرية على التاثير فى عالم العناصر ، اما بغيرمعين،أو بمعين من الامور السماوية ، ولما كان فى السحرقدرة على تغيير الطبائع الكونية ، وخواص العناصر المالوفة فى الكون ، فان بعض مفكرى الاسلام قد نظروا الى عالم كيميائى مثل (جابر بن حيان) كأنه ساحر ، نظرا لما يحدثه فى العناصر من تغييرات ... فنرى مفكرا مثل ابن خلدون يصف جابر بن حيان بأنه فى المشرق يمثل كبير السحرة فى هذه الملة ، لانه (تصفح كتب القوم واستخرج الصناعة ، وغاص على زبدتها واستخرجها ، ووضع فيها غيرها من التاليف ، واكثر الكلام فيها وفى صناعة السيمياء لانها من توابعها ، لان احالة الاجسام النوعية من صورة الى أخرى انما يكون بالقوة النفسية لا بالصناعة العملية ، فهو من قبيل السحر ...) (٧)

واذا كنا هنا قد اشرنا الى الحديث عن السحر فى مؤلفات ابن النديم ، والامام الغزالى ، وابن خلدون ، فان عشرات وعشرات من الكتب العربية قد تناولت موضوع السحر وأولته جانبا من اهتمامها .

ولا يكاد يخلو كتاب من كتب تفسير





د. سهير القلماوى : اشارة ذكية .

القرآن الكريم من الحديث عن السحر والسحرة ، فى معرض الايات التى اشارت الى السحر ، فخذ تفسير الطبرى ، وابن كثير ، والبيضاوى ، والطبرسى ، والقرطبي ، والجلالين ، والفخر الرازى ، والزمخشرى ، وابن عطية الغرناطى الاندلسى فى القديم ، وخذ تفسير أبى السعود ، والالوسى، وللشيخ طنطاوى جوهرى ، والسيد محمد رشيد رضا ، والعلامة جمال الدين القاسمى ، ومحمد عزت دروزة ـ بارك الله فى عمره ـ واحمد مصطفى المراغى ، وسيد قطب فى كتابه (فى ظلال القرآن) وغيرها من عشرات التفاسير ، فانك واجد فيها تعرضا لموضوع السحر فى معرض الايات التى تحدثت عن السحر .

ولم تكتف كتب تفسير القرآن الكريم فى القديم والحديث بتناول موضوعات السحر ومعالجتها من وجهات نظر مختلفة ، ولكن كتب الدراسات القرآنية والاحكام قد دخلت الميدان وأدلت فيه بدلوها ، فنجد عالما فقيها مفسرا مثل أبى بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن

(٧) مقدمة ابن خلدون ، ص١١١٤

العربي المتوفى سنة ٥٤٣ هـ وهو غير المتصوف محيي الدين بن عربي المتوفى سنة ٦٣٨ هـ يتحدث في كتابه (أحكام القرآن) المطبوع في القاهرة ١٩٥٧ عن السحر في معرض الحديث عن أحكام الايات القرانية في سورة البقرة (٨)

وقد أحال ابن العربي في خلال شرحه لاية السحر في سورة البقرة، على كتاب له عنوان كتاب «المشكلين» وأخذ منه واستأنس به ، وحكم على أعمال السحر كلها بانها كفر وحرام، حتى السحر الذي يجمع فيه الساحر بين المرء وزوجه ، ويسمى «التولة» ولا ينظر ابن العربي القاضي الى السحر باعتبار المنفعة فيبيحه ، واعتبار المضرة فيحرمه ، ولكنه يحرمه كله على الاطلاق ،ويظهر أن كتاب « المشكلين » هذا مفقود على قدر علمي — أو غير مطبوع —.

واذا كان الفخر الرازي قد تناول موضوع السحر والسحرة في تفسيره المشهور ، فان له كتابا اخر قائما بذاته في هذا الموضوع ، اسمه « السر المكتوم » ، وقد أشار اليه المؤرخ ابن خلدون ، وذكر انه بالمشرق يتداوله المشارقة ، ولكن مؤرخنا لم يقف عليه باعترافه ، ويحكم على الفخر الرازي بانه لم يكن من ائمة الشأن في هذا الموضوع (٩) • وللفخر الرازي كتاب اخر غير السر المكتوم هو « الملخص » ، وفيه حديث عن السحر أيضا ، وهذان الكتابان لا يزالان مخطوطين كما أشار الى ذلك بروكلمان •

ويشيد ابن خلدون بكتاب (غاية الحكيم) لمسلمة بن أحمد المجريطي في السحر والاته ، ويصفه بانه (هو مدونة هذه الصناعة ، وفيه استيفاؤه وكمال مسائلها) ، ومسلمة المجريطي هذا من علماء المسلمين في القرن الرابع ، وكان امام علماء الرياضة والفلك وحركات النجوم في وقته ، وتوفي سنة ٣٩٨ هـ ، وذهب بعض الباحثين القدامى الى أن مسلمة المجريطي هو مؤلف « رسائل اخوان الصفا » ومنهم العلامة ابن حجر ، وصاحب كتاب « جلاء العينين» الذي تابع ابن حجر على رأيه ، ولكن المرحوم أحمد زكي باشا نفى هذا القول في مقدمة الرسائل المطبوعة بمصر سنة ١٣٤٧ هـ (١٠) • وكثيرا ما يسمى كتاب « غاية الحكيم » باسم « الغاية » وحسب ، على سبيل الاختصار •

ولم يفت مؤلفة في العصر الحديث — وهي الدكتورة سهير القلماوي — أن تتحدث عن الخوارق وعن السحر في قصص الف ليلة وليلة ، وذلك في دراستها القيمة الرصينة التي عنوانها « الف ليلة وليلة » ، والتي هي موضوع رسالتها للدكتوراه ، وقد نشرتها دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٩ •

وكانت اشارة الدكتورة سهير القلماوي الموجزة الى السحر في كتابها عن (الف ليلة وليلة)اشارة واعية ذكية وخاصة في تصوير السحرة ، ووصف أعمالهم بالشر ، ووصف وجود السحرة — بجانب الاتقياء الصالحين — (يصورون القدرة الخارقة ، ولكنهم الى تصوير ناحية الشر منها اقرب ، ويصورون الحقيقة التي تؤلم ، وهي أن قوما لا يتقون ، ولا هم صالحون ،يتمتعون بمباهج الحياة ، وجاءت صورة سيدنا سليمان عند الشعوب الاسلامية خاصة ، فمزجت بين الصورتين ،

---

(٨) احكام القرآن لابن العربي جـ ١ ص ٣١ •
(٩) المقدمة ص ١١٢٠
(١٠) الاعلام للزركلي جـ ٨ ص١٢١



وقربت السـحر – ولو في بعض الاحيان – من الصالحين ، فقد كان سيدنا سليمان نبيا مسلما صالحا) (١١) ·

وكان ضروريا بالطبع أن تتناول الدكتورة « سهير » موضوع السحر في قصص ألف ليلة وليلة ، لان رسالتها كانت واسعة محيطة ،تشمل القصص من كل جوانبها ، ولو انها أغفلت موضوع السحر في ألف ليلة وليلة لكانت رسالتها غير كاملة ·

أما الاستاذ أحمد حسن الزيات، فلم يتعرض في كتابه (أصول الادب) لموضوع السحر والسحرة والجنيات وهو يتحدث عن (تاريخ حياة ألف ليلة وليلة) ومن هنا جاء بحثه عن ألف ليلة وليلة خاليا من الحديث عن السحر والسحرة ، وهي عنصر واضح في هذه القصص (١٢) ·

ولا يفوتنا أن نشير هنا الى ان حاجي خليفة صاحب « كشف الظنون» لم يفته أن يتحدث عن علم السحر وعلم الطلسمات في موضعين من كتابه وفي تمهيده للحديث عن كتب السحر ذكر لنا تعريفا بعلم السحر، وذكر لنا منفعته للاحتراز عن عمله، لانه محرم شرعا ·وهو هنا ينقل عمن سبقوه ، وقد ساق لنا أسماء طائفة من الكتب المؤلفة في هـذا العلم ، منها كتاب « الايضاح » ، وكتاب « بغية النـاشد ، ومطلب القاصد » ، وكتاب « غاية الحكيم » لمسلمة المجريطي الذي سبق الحديث عنه · وفي حديث صاحب « كشف الظنون » عن أسـماء كتب علم الطلسمات ، مهـد في بضعة أسطر للكلام عن الطلسم واشتقاقه ومعناه ، وأشار مرة ثانية الى كتاب مسلمة المجريطي في هذا الفن ، وقال عنه انه (أبدع، لكنه اختار جانب الاغلاق والدقة لفرط ضنه ، وكمال بخله في تعليمه) ، كما أشار الى كتاب آخر للعلامة السكاكي في هذا العلم (١٣)

ومن الانصاف أن نشير الى أن « دائرة المعارف الاسلامية » قد بسطت القول في موضوع السحر والسحرة باسهاب كثير ، فطالت مادة (سحر) في هذه الموسوعة الاسلامية الى ست وعشرين صفحة كبيرة ، وقد حرر هذه المادة المستشرق البريطاني : د · ب· ماكدونالد المتوفى سنة ١٩٤٣ ،وأفاض فيها افاضة واسعة ، بحكم مؤلفاته ، ودراساته المتعددة عن علم الكلام في الاسلام والدين والحياة في الاسلام وعقيدة الوحي في الاسلام وتطور فكرة الروحانية في الاسلام · وألف ليلة وليلة وغيرها ·

ولقد جمع ماكدونالد في دراسته العميقة الشاملة عن السحر في المكتبة العربية وفي التفكير الاسلامي طائفة من الكتب المتصلة بموضوع السحر في القديم والحديث ولكنه حشد بل حشر فيها طائفة من الكتب الرخيصة في التنجيم ، والطوالع الفلكية ، وتسخير الارواح ، ومربع الغزالي في خواص الحروف والاعداد التي سبقت اشارتنا اليه،وكتاب أبي معشر الفلكي في طوالع المواليد على البروج في طبيعة الرجال والنسـاء وأمزجتهم وحظوظهم ، والكتب الرخيصة في علم الركة ، وقد بالغ « ماكدونالد » في تتبعه لهذه الكتب والكتيبات ، وفي التحـريف

(١١) ألف ليلة وليلة · للدكتورة سهير القلماوي ص ١٢٩
(١٢) انظر « في أصول الادب » لاحمد حسن الزيات ·
(١٣) كشف الظنون ، طبع استنبول جـ ٢ ص ١٠١

باصحابها من المعاصرين والمحدثين .
ويظهر أن لفظة « السحر » كانت – ولا تزال – لها جاذبية خاصة ، وأثر خاص ، على العقول ، فلجأ اليها بعض المؤلفين لتسمية كتبهم ولو أنها بعيدة عن السحر بعد ما بين السماء والارض .فنجد في القديم كتاب « حدائق السحر ، في دقائق الشعر » الذي ألفه بالفارسية الكاتب الشاعر رشيد الدين الوطواط ،ونقله الى العربية المرحوم الدكتور ابراهيم أمين الشواربي ، كما نجد كتاب « سحر البلاغة ، وسر البراعة » لابى منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ، وهو قطعاً ليس في موضوع السحر، شأنه في ذلك شأن كتاب رشيد الدين الوطواط ، كما نجد كتاب « سحر العيون » ، وهو كتاب في العيون وعللها وأمراضها ، وطبها وعلاجها، وأوصاف العيون وما وقع فيها من الامثال والاشعار ، كما نجد كتاب (السحر الحلال ، في غرائب المقال) وهو في فقه الشافعية للامام محمود ابن أحمد الزنجاني المتوفى سنة٦٥٦ هـ ، وهي السنة المشئومة التى سقطت فيها بغداد في يد التتار بقيادةزعيمهم هولاكو ...

أما في الحديث فنجد كتاب « المدينة المسحورة » لسيد قطب ، وهو استئناف لاحاديث شهر زاد في الف ليلة وليلة ، بعد أن صمتت عن الحديث تسعاً وتسعين ليلة ..

وقد حظيت المكتبة العربية في عام ١٩٥٧ بكتاب للمرحوم أحمد الشنتناوى ، أحد المشتركين في اصدار « دائرة المعارف الاسلامية » باللغة العربية ، وعنوان الكتاب : « فنون السحر » ، وقد عالج فيه مؤلفه فصولا مختلفة ، منها : السحر في الامم القديمة ، والسحر عند قدماء المصريين، وسليمان الحكيم بين النبوة والسحر ، والسحرفي الاسلام، والرقى والتعاوية ، وعقاب السحرة

ولم يزل موضوع « السحر » يغرينا الى هذه الساعة ، بما فيه من غرائب وعجائب وخوارق لا يكاد يصدقها العقل ، حتى رأينا مجلة «الهلال » تخص السحر بعدد خاص، أعددنا له هذا المقال . ومن يدرى ؟ فقد يكن ضمير الغيب في المستقبل كتبا ودراسات عن « السحر » الذى كان شاغل الانسان ، من قديم الآباد والازمان ..

قبلة القمر !

ومهفهف كملت محاسنه	حتى تجاوز منية النفس
تصبو الكئوس الى مراشفه	وتضج في يده من الحبس
ابصرته والكاس بين فم	منه وبين انامل خمس
فكأنه ، وكأن شاربها	قمر يقبل عارض الشمس

(ابن الرومى)

هلال الفجر

د. مختار الوكيل

متى رآه النّــاسُ قالوا محــال !

أســاعةَ الفَجْرِ يلوحُ الهــلالْ !

ومن يراهُ غير حــادي الغــرامْ

من يسهرُ اللّيلَ ويُحيي الظّـلام !

يَحْـدو الأغانى فوق هذى الجبالْ !

***

يأيها الصّـاعدُ فـوقَ القِمَم !

بلغتَ ما لم تَستطعهُ القــدمْ !

فههُنَــا الصّمت يَلُفّهُ الجليـدْ

وينبتُ الأشــواقَ حمرَ الخـدود !

من دَمِهـا يَستاف ثغرُ الجمالْ !

***

هتفت والشمس بدَت فى السّـماءْ

وطفـاءُ لثغـاء تَشيعُ البَهــاءِ !



يا رب أفعِم مُهجتي بالضياء
وأترِعِ العَيْن بنُور الصَّفاء !
والسَّمعَ فاغمُرهُ بنورِ حلال !

***

مشيتُ ، والفجرُ إلى جانبي
يرفلُ في الأضواءِ كالرّاهبِ !
يُصغي للحن الحبِّ صافي الجلال
تشدُو به الأطيارُ عبرَ التِّلال
فتنتشي الروحُ بخَمرِ المحال !

***

وهَهُنا في الصَّمتِ كوخُ الحبيب
كأنّه في الكونِ قلبُ القلوب !
لمّا بلغنا بابَه في الصَّباح
نامَت بصَدري ثائِراتُ الجِراح !
وغرّدَ الحبُّ ، وأعطى ونال !



● ولد في ٦ ديسمبر عام ١٨٥٣ بقرية بشرى احدى قرى لبنان ، لكن أصله من دمشق .

● تلقى علومه الاولي في بيروت وانتقل في صباه الى باريس حيث اقام فيها بضعة أشهر ، ومنها رحل الى الولايات المتحدة الامريكية عام ١٨٩٥ مع بعض أقاربه ، وأستقر فترة من الزمن في مدينة بوسطن ولكنه لم يوفق في حياته فعاد الى بيروت .

● ظل اربع سنوات في بيروت ثقف نفسه خلالها باللغة العربية ورحل بعد تلك الى باريس التي استقر بها ثلاثة أعوام وحصل في نهايتها علي شهادة التفوق في التصوير .

● ورحل بعد حصوله علي هذه الشهادة الى الولايات المتحدة الامريكية واقام في نيويورك الى ان توفي في ابريل عام ١٩٣١ ونقلت رفاته الى مسقط رأسه « بشرى » .

● برز في الرسم كفنان مبدع فقبلت رسومه في المعرض الدولي الرسمي الذي اقيم في فرنسا ، كما اختير عضو شرف في جمعية المصورين الانجليز .

● يعتبر نابغة الكتاب المعاصرين في المهجر الامريكي ، وقد امتاز بسعة خياله وعمق تفكيره ، كما اشتهر بأنه شاعر في نثره واتسمت كتاباته بالتدفق والعذوبة وسمو العاطفة وجمالها .

● أحب وطنه الام لبنان واستوحى من طبيعته وجماله الكثير من كتاباته كما برزت روح الشرق في أدبه .

● زود المكتبة العربية بمؤلفات كثيرة اتسمت بجمال الأسلوب وعمق الفكرة منها : « دمعة وابتسامة » و « عرائس المروج » و « الارواح المتمردة » و « الاجنحة المتكسرة » و « العواصف » و « المواكب » وهو شعر .

● كان جبران يجيد اللغة الانجليزية اجادة تامة وله بها كتب مشهورة منها « السابق » و « المجنون » و « النبي » وقد ترجمت جميعها الى اللغة العربية .

● يعتبر كتابه « النبي » افضل ما كتب من حيث عمق الفكرة وجمال التعبير ، وقد ترجم الى اكثر من عشرين لغة .

● أرخ له صديق حياته في المهجر « ميخائيل نعيمة » في كتاب بعنوان «جبران خليل جبران» كشف فيه اللثام عن كثير من المواقف والاسرار في حياة جبران ، ويعد هذا الكتاب من أجرأ الدراسات في ادب السير والتراجم .

د. سيد
كريم

السحر والسحرة



عند قدماء المصريين

السحر قديم قدم الانسانية نفسها ، وأقدم من الحضارة التى انبثقت عنها .. عرفه الانسان عندما أحس بوجوده ، عرفه باحساسه عندما نظر الى الطبيعة حوله فوجد نفسه محوطا بقوى خفية خارجة عن نطاق فهمه وبعيدة عن مدى ادراكه

لم يكن فى استطاعته مقاومتها بما فى متناول يده من وسائل وامكانيات .

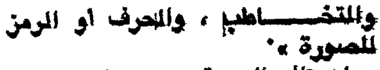
حاول أن يستميل تلك القوى بالتضرع تارة وبالحيلة والفنون تارة أخرى ، فالعقيدة والسحر وليدا هذا المجهود الانسانى المزدوج، وليدا ضرورة واحدة ، فكان من الطبيعة أن يتقابل الدين والسحر فى اكثر من جانب من جوانب حياة المجتمع ، لذا فقد تركز السحر فى المعابد واعتبر علما من علوم الكهنوت الذى تخصص فيه الكهنة وحدهم ، كما ان الكثير من الطقوس الدينية ارتبطت بالسحر وتعاليمه ، وتداخل السحر والدين معا فى كتب الموتى والمتون الدينية وعلاقة « الالهة » القديمة بالبشر ٠

وقد تغلغل السحر فى الكهنوت ، كما ذكر عالم الاثار الكبير الدكتور سليم حسن :

« انه من العبث ان نبحث اذا كان السحر وليد الدين او الدين وليد السحر ، فالاعتقادان قد ظهرا فى ميدان واحد املاهما مظهر العالم وظواهر الطبيعة » ٠ كانت نظرة الناس الى السحرة كنظرتهم الى رجال الدين لان كلا منهما يمثل قوة الهية ٠

ارتبط السحر منذ نشاته باساطير الخلق ـ خلق الحياة والوجود ٠ والعوامل المكونة لهما ، والقوى المحركة والمسيطرة عليهما ، وقد نسب قدماء المصريين السحر ونزوله على الارض الى « الاله تحوت اله العلم والمعرفة وحامل العلامات الالهية والمعبود القمرى لمدينة هرموبوليس ٠ اول من انزل كتب السحر المقدسة ووضع طلاسمه الباهرة فانزل الحرف والنطق والكلمة وكل منها تمثل قوة لها تاثيرها وفاعليتها ، وفى كل منها وضع سرا من أسرار الكون والوجود ٠ فالخالق خلق الاشياء بنطق أسمائها وعلم مخلوقاته النطق للتعارف





والمتخـــاطبين ، والحرف أو الرمز للصورة »٠

ان تلك البردية من برديات تحوتى (هرمس) فى الحـــرز الخاص « بأسرار الـــكون » تفسر الكثير من نواحى السحر ووسائله ، فارتـكزت العقيدة فى السحر ٠ أن لكل من الحرف والاسم والنطق طاقة ســحرية لها فاعليتها منها قوى الخير ، ومنهـــا قوى الشر ، فأسماء الآلهة والمعبودات مثلا وذكرها فى الدعاء أو ترديدهـا لها أثر سحرى فى مد الانســان بقوى الخير وحمايته أو حفظه من قوى الشر ٠

فالسحر وعناصره وطقوســه تعتمد على تلك « الهبات المقدســة الثلاث » التى وهب الساحر القوة الخارقة فى كيفية استخدامها سواء فى التعاويذ أو الطلاسم والتمائم والرقى والاحجبة والطقوس وغيرها مما عرف من طرق السحر ٠

وقد ذكر « ماسبيرو » ان مدارس السحـــر وجدت من أقـدم العصـــور بجانب مدارس الكهنـوت فى بيوت الحياة الملحقة بالمعابد ٠ ويعود بعضها الى ما قبل الاسرات كجامعة أون « عين شمس » وكان ملوك الفراعنة وخاصــة فى الدولة القديمة يعدون من مفـاخرهم وضــع تلك المدارس تحت رعايتهم ويشملونها بعنـــايتهم ، وبلغ من تعظيم كل من سنفرو وخوفو ٢٦٨٠ ق ٠ م انهما ضما الى القابهما لقب رئيس السحرة ٠

وكان الطالب الذى يكرس حيـاته لدراسة السحر ويحصل على درجات النبوغ والتفوق التى تؤهله لحمل لقب « شرحب » اى الذى اتم الاطلاع على الكتب الالهية وعرف أسرار الـــكون ومنحه الاله تحوت الســيطرة على القوى المحركة للوجود واخضـاعها لصالح البشر ودفع عناصر الشر ، كان



لا يحمل هذا اللقب الا اذا اختبر امام فرعون واقر له بالكفاءة وسمح له رسميا بمزاولة السحر ٠

ومن أشهر بيوت الحياة التى كانت تدرس السحر فى مصر القديمة كل من جامعات ومعابد : أون (عين شمس)، وابيدوس ، وخنت مين (اخميم) ، وسايس ، وطيبة ، وسيوة ، ثم ظهرت مدارس الاسكندرية ودندرة فى عهد البطالسة ، ومدارس الالهة ايزيس

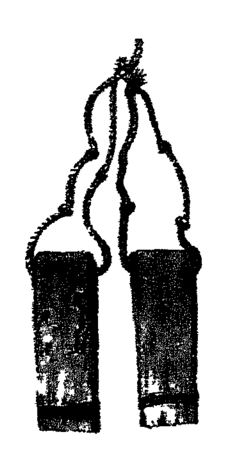


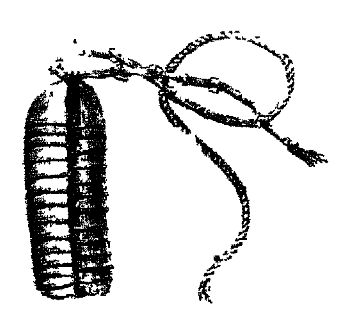
بعض التماثيل والتمائم السحرية التى ترجع الى ما قبل الاسرات « ٤٠٠٠ سنة ق.م »

التى اعتبرت فى ذلك الوقت حامية السحر وأطلق عليها الرومان اسم « ربة السحر ومعبودة السحرة » .

● كان للسحرة مركز مميز ومكانة خاصةفى كل منالدولة القديمة وخلال الاسرات الثانية عشرة والثامنة عشرة وتقلد بعض السحرة المعروفين أعلى مناصب الدولة أو مستشارين لفرعون وأعضاء فى مجلس الحكماء . كما كان الكثير من كبار الكهنة والعلماء والاطباء يفخرون بحمل لقب ساحر بجانب مهنتهم الاصلية .

ولم يقتصر السحر على السحرة من الرجال فقط بل كانلبعض النساء معرفة تامةبالسحر والاتصالبالارواح وبعضهن حملن لقب « عرافة المعبد » وقد خلد التاريخ أسماء الكثير منهن





أمثال ميليت ، وانهاى ، وحتت تاوى وروى - وبعضهن كن ملكات وأميرات

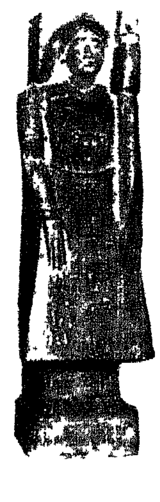
وقد ذكر ديودور الصقلى أن بعض الملكات تعلمن السـحر من الكهنة وتخصصن فيه ، وان المـلكة كانت تجلس بجانب الملك على العرش وتلازمه فى زيارته للمعبد محافظة عليه من السحر المضاد ، وهو ما يظهـر فى بعض الرسومات والتماثيل عندماتظهر الملكة وهى تضع ذراعها على كتـف الملك او خلف ظهره لتحميه من اعداء الخفاء ، بينما تحميـه الكوبرا أو الافعى الناشرة التى تتصـدر تاجه وجبهته لتحميه من العـين الشريرة والاعداء المواجهين له ٠

وكان الساحر يرتدى زيا خـاصا مميزا ، ومنهم من كان يرتدى جـلد الفهد اذا كان من سحرة المعبد ،كما كان الساحر يحمل عصا سحرية على شكل حية او تحمـل رءوس بعض الحيوانات الخرافية ورءوس الالهه ٠

نماذج للاحجبة والنقوش السحرية التى وجدت بداخلها « العهـد العتيق ٢٢٠٠ ق٠م »





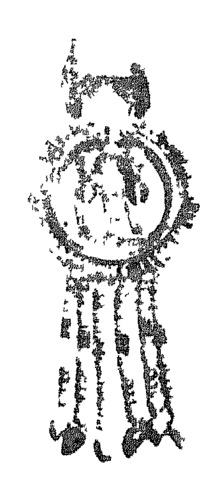


وكانت كل عصـــا تمثل المعبد الذى ينتمى اليه أو تخرج منه وهو الذى يمنحه العصا عند الســـماح له بمزاولة المهنة .

● لقد سيطرت عقيدة السحر على المصريين القدماء كسيطرة العقـــائد الدينية نفسها ، فكانوا يستعينون به في شـــئونهم الدينية والدنيوية معا كمـــا كانوا يستعينون فى مختلف أحوال حياتهم ، وقد مارس السحرة جميع أنواع السحر بمختلف صوره التى عرفها العالم القديم أو المتداول منها حتى الان ابتداء من التعـــاويذ والطلاسم والتعزيم وكتابة الاحجبـــة بانواعها ، ومزاولة الطقوس السحرية والروحانية والرقى وسحر التمائم ، كما مارسوا تحضير الارواح بجـــانب ما اشتهروا به من الربط بين الفلك والسحر والتنجيم وقراءة الطـــالع والبروج السماوية والواح المصـــير وقراءة الكف وكشف الغيب عن طريق وعـــاء حـــورس المقـــدس ، وهو وعـــاء كان يملأ بالمـــاء ويغطى بطبقة من الــــزيت يتلو عليه الساحر تعاويذه الخاصة فيظهر الاله حورس على شكل ضـــوء على ســـطح الزيت وينعكس على سطحه صور ما يسأل عنه من خبايا واسرار وهو ما يطلق عليه اليـــوم اسم « المندل » .

● ومن معتقدات السحر عندقدماء المصريين أن لكل آدمى قرينا من الجن يلازمه فى الحياة ويتبعه فى الموت ، ويسمى باللغة المصرية القديمة « كا » وكان يرمـز له بذراعين مرفوعين ، والدنيا وفقا لعقيدتهم ممـــلوءة بقوة الارواح المؤثرة ، ويجب على الانسان اتقاء ما يخشاه فيهامن مختلف أنواع الشر ما استطاع بنفسه أى بقوةايمانه ومناعته أو بمعونة الخير فى مقاومة ومطاردة ما يهدده أو يحل به — كما نصت برديات الســـحر فى الدولة القديمة على وجود الجان وعلاقتها بالبشر ، وملازمتها للسكان فى بعض الاحيان وما يمكن عمله لارضائها أو لاتقاء شرورها ، ومازال الكـــثير من تلك المعتقدات ســـائدا فى كثير من أذهان الناس .





قرط وغطاء الرأس لاحدى الاميرات بالدولة القديمة – تحمل فوق الجبهة رمز الصقر وعلى جانبيها الافعى الناشرة التي تحميها من الحسد والارواح الشريرة بما تنفثه من سم كالنار

● ان تماثيل الاوشبتي (المجاوبة) التي يطلق عليها خدم الاخرة ، والتي تحمل رموز الطلاسم والتعاويذ السحرية وتوضع بجوار الميت والتي وصل عدد بعضها في بعض المقابر ٣٦٥ دمية أو تمثالا تمثل ايام السنة باكملها ... ويعتقد القدماء أن تلك التماثيل بفضل القوى السحرية التي زودت بها خليقة بأن تدب فيها الحياة فتسرع الى اجابة الميت في رحلة العالم الاخر اذا دعاها للعمل .

● بجانب ما كان للسحرة من مكانة عند السماح بممارسة مهنتهم المقدسة من حماية كل من الملك والمعبد وتقدم لهم العطايا والهدايا بسخاء من الحكومة والشعب لما يقومون به من خير للانسانية وخدمات للناس من دينية ودنيوية ، فان ممارسة السحر المعاكس أو السحر الاسود الذي يقصد به الضرر بالغيركان يعاقب من يقوم به بالاعدام ...

وفي بردية « لي » بمتحف « المكتبة الاهلية بباريس » وصف لما قام به ساحر أراد الانتقام من قوم فصنع تماثيل من الشمع وقرأ عليها عزائم سحرية ، وخصص كل تمثال منها بنوع من الاذى والضرر ، فاصيب الاشخاص بالانواع التي خصصها لكل منهم ، فرفعوا أمرهم الى الملك ، فأمر بالقبض على الساحر وأمر باعدامه ونفذ فيه الحكم علنا في سوق المدينة ، كما أمر بمنع جميع السحرة عن هذه الاعمال .

كما وصفت بردية هاريس المؤامرة التي دبرها بنتاءور احد أبناء الملك رمسيس الثالث بالاشتراك مع امه ، ومع بعض السحرة الذين بثوا في القصر بعض الكتابات والتعاويذ

السحرية ، واعدوا تماثيل من الشمع كتبوا عليها تعاويذ تشل أعضاء الملك وتقضى عليه ، واكتشفها الملك بعد أن هربت الى مخدعه .. وتصف البردية كيف احبطت المؤامرة وحوكم السحرة والمتآمرون فاعدم جميع السحرة الذين اشتركوا فى المؤامرة ، وسمح لقائد الجيش ورئيس الحرس واثنان من رجال البلاط بأن ينتحروا فى المحكمة امام القاضى .

المعجزات .. والسحر

لقد تخصصت كل مدرسة من مدارس السحر القديمة بنوع معين من السحر وما يرتبط به من معجزات يحتفظ بسرها الساحر الاعظم أو رئيس الكهنة ، فاشتهر معبد زايس (صالحجر) بسحر الافاعى ، وفى مقدمته تحويل العصا أو حزام الوسط الى أفعى بعد القائها الى الارض ، وقراءة التعاويذ السحرية عليها ، كما كانت لهم قوة السيطرة على الافاعى بالتعزيم عليها حتى تأتمر بأمرهم فيخرجونها من جحورها ، ويبطلون فاعلية سمومها أو يوجهونها الى أى مكان يريدون لتنتقم من أعدائهم . وكانوا يعتبرون الافاعى نوعا من الجن الذى يتشكل بشكل الافعى وكان بعضها يؤمر فيطير من مكان الى اخر أو الى بلد بعيد لتنفيذ ما يؤمر به .

ومعبد زايس المذكور هو الذى تعلم فيه سيدنا موسى ودرس اللاهوت والحكمة ، وفاق بمعجزته بقية السحرة أمام فرعون عندما القى بعصاه فتحولت الى أفعى اكلت افاعى بقية السحرة

كما اشتهر الكاهن الاعظم بمعبد حورس القديم (الدير المحرق) بمعجزة شفاء الابرص وهو الذى قام بشفاء الاميره بتراشيد بنت بختان



تمثال القطة بست التى كانت لها القوة السحرية بما تحمله من تعاويذ تقتل الافاعى وارواحها الشريرة من الاسرة الثانية ٣١٠٠ ق.م

وأخت فرعون مصر بعد ما عجز كبار الاطباء من شفائها ، كما ورد فى احدى برديات تورين .وكانت المعجزة الثانية التى تخصص فيها وهى المعجزة التى قام بها عندما قام الخلاف بعد موت رمسيس الثالث الذى كان قد أوصى مجلس الحكماء أن يتولى ابنه الاصغر رمسيس الرابع الحكم بدلا من ابنه الاكبر قائد الجيش ، فاستدعى الكاهن الاعظم الذى قام « باحياء » الملك الذى سئل عن وصيته فى حضور أولاده ومجلس الحكماء،فنطق برغبته وأشار الى ابنه رمسيس الرابع الذى نودى به ملكا وبذلك انتهى الخلاف ... كما ورد فى برديات رولن ولى

ومما يجدر بالذكر ان ذلك المعبد هو الذى اقام به سيدنا عيسى عليه السلام اثناء هروبه واقامته فى مصر .

كما اشتهر كهنة اهناسيا بمعجزات ما اطلق عليه سر الاحلام الخاصة بتفسير الاحلام وقراءة الغيب والوساطة والاتصال الروحى عن طريق الاحلام وتمكين الرؤيا للاطلاع على المجهول . وتحوى برديات تورين الكثير من صفحات كتب سحر الاحلام وكتاب مفتاح الاحلام .

وفى هذا المعبد درس سيدنا يوسف الرياضيات والفلك وعينه فرعون كاتبا بالقصر وأمينا على المخازن بعد نبوءته المشهورة فى تفسير الاحلام .

كما حوت برديات وستكار التى ترجع الى الاسرة الخامسة « المعجزات » التى كان يقوم بها الكاهن «جدى» أحد سحرة معبد هيليوبوليس أمام الملك خوفو حيث كان يفصل رءوس الطيور عن اجسامها ويضعها فى أركان القاعة الاربعة ، ثم يتلى عليها تعازيمه السحرية فتلتحم الرءوس بالاجساد وتعود الطيور





المعبودة نوت الهة السماء كما نقشت على غطاء تابوت الاميرة عنخسنفرايبرى وتحمل الرموز والطلاسم السحرية التى تحمى بها جثة الاميرة وتصب اللعنة على من يمسها بسوء

للتحليق وهى تصيح وتغرد ...

كما روت نفس البردية كيف قام الساحرجدى فى حضور الملك وابنائه وحكماء القصر باحضار ثور كبير وضرب رأسه فسقط على الارض بعيدا عن جسده،ثم تلا عليه عزائمه السحرية فقام الثور وراءه وخرج الساحر من القاعة يتبعه الثور وهو يخور ...

وفى هذا المعبد اقام سيدنا ابراهيم فترة من الزمن ودرس الكثير من أسرار سحرهم .

كما اشتهر كهنة معبد بتاح بمنف بمعجزة الاخفاء والاختفاء حيث كان الكاهن يحمل تميمة أطلق عليها عصا بتاح السحرية كان يقرأ عليها بعض التعاويذ فيختفى بجسمه من وسط المجلس أو يظهر فجأة فى وسط الغرفة المقفلة ليفاجىء الموجودين بحضوره كما كانت له القدرة على احضار الاشياء الموجودة بالخزائن السرية المحصنة وعرضها على الحاضرين،او اخفاء الاشياء الموجودة أمامهم بالقاعة

واشتهر كهنة معبد امون فى سيوة بمعجزة تحريك تمثال آمون من مكانه واجابته على الاسئلة التى تتلى عليه وهى المعجزة التى قام بها التمثال عند زيارة الاسكندر الاكبر للمعبد حيث تحرك التمثال الضخم بايماءة من رأسه واشار الى الاسكندر برفع يده مخاطبا اياه بقوله « انك ابنى وانى أعطيتك الشجاعة ، وامرتك أن تحضر لزيارتى ، وانى امنحك السيطرة على كل البلاد » وهى المعجزة التى أله المصريون بعدها الاسكندر ، ونودى به ابنا لآمون، كما ذكر المؤرخ شرابون الذى ذكر انه شاهد معجزات التمثال بنفسه .

وتحوى المؤلفات التى كتبت عن السحر عند الفراعنة عددا لا يحصى من المعجزات التى كان يمارسها كهنة وادى النيل فى كل معبد من المعابد،او معهد من معاهد السحر الملحقة ببيوت الحياة .

ومن البحوث التى ظهرت حديثا عن علاقة السحر عند المصريين القدماء ومعجزات الانبياء والسحرة الذين زاروا مصر واقاموا بها فى مختلف العصور كتاب « المصريون .. أبناء الالهة » للكاتبة و . هولمز .



تاوريرت أحدى تمائم ما قبل الاسرات وتمثل فرس النهر ، تحمى الحامل والمولود من الارواح الشريرة والحسد كانت توضع على جسد الميت لتحميه عند ميلاده الجديد فى العالم الاخر ـ تحولت الى معبود فى الاسرة الرابعة

السحر .. والادب

يعتبر الادب المصرى القديم من اقدم انواع الادب فى العالم ، وهو يتميز بأصالته التى تعبر عن حضارة شعب مصر وقد وضع الاســـــاس الذى يهتدى به الادب فى كثير من الحضارات القديمة ، ولعب دورا فعالا فى نشأة الادب العبرى والاغريقى القديمين .

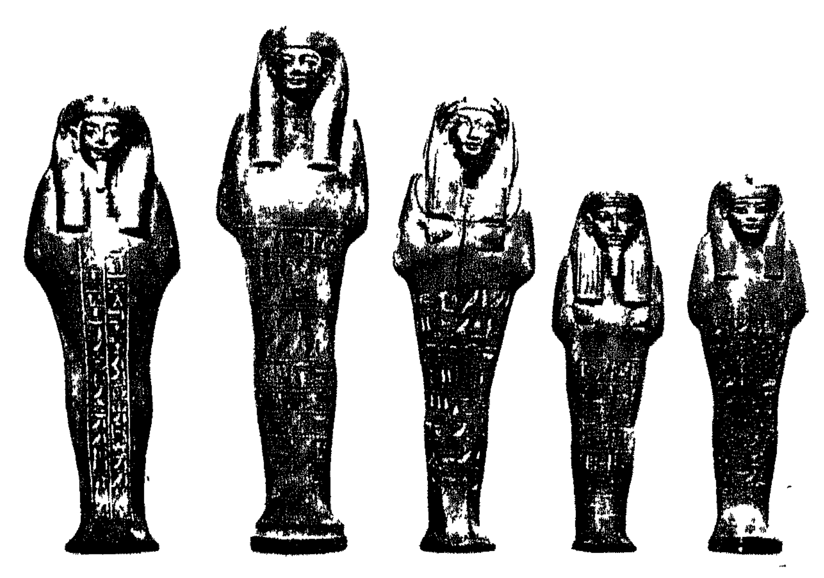
وبفضل السحر كعقيدة ، وتغلغله فى جميع مقومات حياة الشعب المصرى ، فقد لعب خيال الاديب المصرى دورا خلاقا فى صياغة قصص السحر فى الادب التصويرى والقصصى والفلسفى والـــدينى ، بل وفى الادب المسرحى الذى كان للمصريين القدماء الفضل فى ارساء قواعده . كما امتد السحر الى أدب الاغانى والاناشـــيد وأدب الحرب والفروسية ، كذلك أدب الحكم والامثال .

وكان الاديب المصرى القديم يعنى بكتابة قصصه شعرا او نثرا بالاسلوب القوى الجميل الذى اتسم بالبســاطة مع التحليق بالخيال ومحاولة صبغه بالواقع .

ومجلدات الادب المصرى القـــديم



السحرة فى الاوبئة التذكرية للاله تاو اثناء ممارسة طقوس السحر



نماذج لتماثيل « اوشاوبتى » التى تخدم الميت فى العالم الاخر

ترجمت الى كثير من لغات العالم ، وتحتفظ ببردياتها الكثير من المتاحف العالمية .

من اشهر برديات قصص السحر برديات وستكار التى ترجع الى الدولة القديمة ٢٨٠٠ ق م ، وهى من اشهر البرديات التى ابدع فيهـــا الاديب المصرى القديم فى الخروج من الواقع الى الخيال ووصف خوارق الاعمـال وتشبه الى حد ما فى طريقة سردها وتسلسلها ـ قصص الف ليلة وليلة. ومن امثلة قصصها قصـــة « قرط » الاميرة والســـاحر « جاجام عنخ » وتحكى القصة كيف خرج الملك سنفرو للتنزه فى بحيرة القصر مع الاميرة مروى فى سفينته ذات المقصــورة الذهبية ـ التى ابدع الاديب فى وصف ســحرها ـ وقام بالتجديف عشرون وصيفة من اجمل العذارى ذوات اجمل الصــدور والجوارح ، ولا يستر اجسامهن سوى غلالات من شباك الصيد وكن يجدفن بمجاديف مكسوة برقائق الذهب على انغام القيثارات ...

وتشرح القصة كيف فقدت الاميرة قرطها فى الماء ـ وكان على شـكل سمكة من الذهب والفيروز ـ بينما كانت تتغزل فى جمال وجهها المنعكس على صفحة الماء ، وكيف تشـاءمت الاميرة وانتابها الحزن ، فاستدعى سنفرو الساحر جاجام عنخ سـاحر معبد آمون بمنف الذى تلا عزائمـه السحرية وضرب سطح الماء بعصاه فانشق ماء البحيرة الذى كان عمقها اثنى عشر ذراعا ، فانكشـف قاع البحيرة وظهر القرط الذهبى الـذى نزل سنفرو والتقطه بنفسه وسلمـه للاميرة ، فعادت الافراح وكافأ فرعون جاجام عنخ مكافأة سخية وعينـه ساحرا خاصا لقصر فرعون .

ومن القصص التى حوتهـا نفس

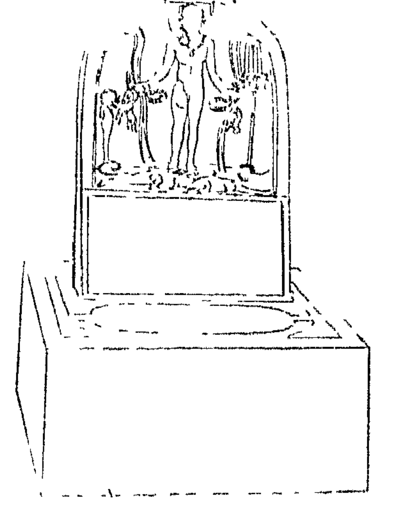
بردیات وستكار قصة الزوجة الخائنة والتمساح الشمعى » التى تحكى كيف صنع الساحر « أوباأونر » تمساحا من الشمع طوله نصف ذراع والقاهفى البحيرة التى كانت الزوجة الخائنة تقابل فيها عشيقها أثناء غيابزوجها فى رحلاته مع الملك ... وكيف تحول تمثال الشمع الى تمثال حى ضخم قبض على العشيق وغطس به تحت الماء عدة أيام حتىاتى الكاهن وامره بالخروج به ليراه زوجها والشهود ، ثم آمره بافتراسه ، ثم تحولالتمساح مرة أخرى الى تمثال صغير من الشمع حمله الساحر معه فى صندوق خشبى خاص به ، ثم أمر الزوجة الخائنة بأن تلقى بنفسها فى البحيرة لتلحق بعشيقها ...

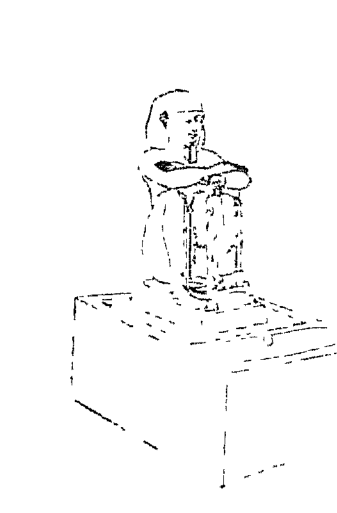
كما تحوى برديات هاريس التى تعود الى الاسرةالثانية عشرة عشرات القصص المماثلة التى تعتبر من أروع امثلة ادب السحر والاساطير القديمة

كما اشتهر ادب القصة وعلاقته بالسحر بصفة خاصة فى الدولة الحديثةفى الاسرةالثامنة عشرة ١٥٧٠ - ١٣٠٠ ق.م ، ومن أشهرها قصص سحر الاستخارة التى كان يقوم بها الملوك والقواد وسجلت جزءا من تاريخهم ، منها ما ذكر عن كامسالذى خرج لقتال الهكسوس بناء على أمر امون ذى الراى السديد ، وما ذكرته حتشبسوت من انها ارسلت بعثتها الى بلاد بونت بوحى من امون وتحتمس الثالث واستخارته للاله امون الذى حدد له ميعاد غزواته وما سيلقاه فيها من نصر .



ابناء حورس الاربعة ـ تمثل أركان الدنيا الاربعة ـ وحارسة اعضاء الجسم بعد الموت من الفناءوكانت تصنع منها اغطية للاوعية التى تحفظ فيها القلب والرئتين والامعاء والمعدة





نماذج لاحواض ماء السحر المقدس وآلهة السحر الحارسة

تمثال المعبود انوبيس الذى يحمى المعبد بسحره وجنوده من الارواح الشريرة حتى لا تدخل المعبد وتعاكس آلهته



التمائم والاحجبة فى السحر القديم

تعتبر التمائم والاحجبة العنصر المادى فى فاعلية قوى السحر ، أو الواسطة التى تنقل التأثيرية الفعالة لحماية الانسان فى حياته الدنيوية، وفى رحلته فى العالم الاخر او الحياة الابدية .

كانوا يحملونها وهم احياء ويضعونها على أجساد الموتى اعتقادا منهم بأن لها من القوى السحرية ما يدفع عنهم الارواح الشريرة ، بل وتجلب لحاملها الحظ السعيد والحياة الهانئة وتحمى مختلف اعضاء الجسم

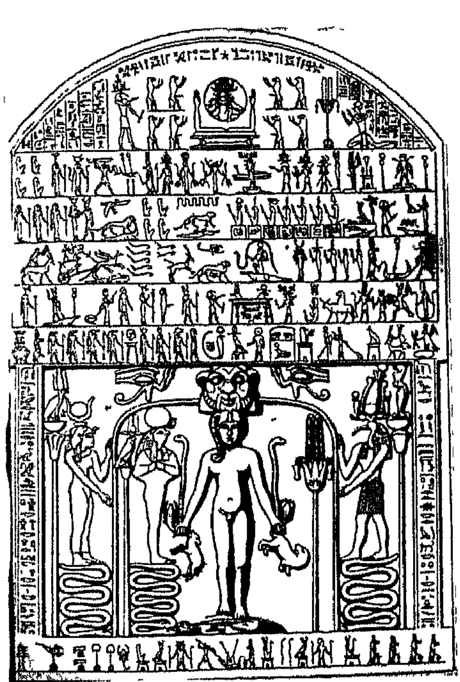
كان للتمائم المقام الاول فى نفوسهم فوضعوها فوق اعتاب المنازل ، وتحت عتبات الابواب ، او داخل حجرات البيت . كانوا يضعونها فى اماكن نومهم وتحت وسائد رءوسهم أو فى أماكن ممارسة اعمالهم اليومية .

صنعوا منها وسائل زينتهم فكانت المعلقات التى تتوسد الصدور أوتتدلى حول الاعناق او تتوج لباس الراس

والتمائم عبارة عن اشارات رمزية اصطلاحية لكل منها تعبير خاص ،



لوحات الإله حورس اله السحر وحماية المعابد



وتقوم كل منها باداء دور معلوم . بعضها يمثل رموزا هيروغليفية تدل على صفات معنوية كالحياة والقوة والسعادة والبقاء والثبات والاتزان والحكمة والجمال ، وهي النعوت التي كان يستحب التمتع بها بنوع خاص ويعضها يمثل تماثيل الالهة لما تملكه الالهة من قوة سحرية تخصصية يستجيب كل منها لدعاء معين ويلبى طلبا خاصا .

● كانت صناعة التمائم من أهم الصناعات الرائجة فى مصر القديمة وبخاصة فى العهد المتأخر من تاريخ البلاد ، كان بعضها يصنع فى المعابد نفسها ، وقد تخصص فنانو المعابد فى صنع التمائم التى ترتبط بالهة ومعبودات المعبد نفسه كلوحات حورس السحرية التى تصنع فى معبد ادفو ، وتمائم حاتحور للحب والجمال التى اشتهر بها معبد دندرة، وتماثيل « الاوشابتى » الصغيرة التى تحمل الدعوات وتخدم الموتى والتى اشتهر بصنعها معابد منف .

وللمادة التى تتألف منها التمائم علاقة بقوة ونوعية فاعليتها ، فالذهب معدن يرمز الى البقاء ، وهو سلطان المعادن ووصفوا أن أصله من شعاع الشمس المتجمد ، ومنه تصنع عادة التمائم التى تمثل الالهة ...

ويليه فى المعادن البرونز الذى يرمز الى الصلابة والقوة الدائمة ، كما كانت تصنع التمائم من الاخشاب المقدسة كالبلسم والابنوس أو العاج والعظام والفخار المطلى والقيشانى ، كذلك مختلف الاحجار الكريمة والكرنالين والهمتيت واليشب والفلوسبات وغيرها من الاحجار النصف كريمة .

كما كان للالوان دورها التأثيرى السحرى بالنسبة للتمائم ، فاللون الاخضر لتمائم الصحة والشباب ، والازرق لمنع الحسد وطرد الارواح الشريرة ، لذا كان الكف الحارس

(الخمسة وخميسة) وأوزات (العين المقدسة) ـ تصنعمن القيشاني الازرق اللامع أو حجر الفيروز واللازوردى ، واللون الابيض للطهارة والخلاص ، واللون الاسود لجلب الحظ والخير، والاحمر لتمائم الشر . ولقد ربط شارل لكسا في موسوعته «السحر في مصر القديمة » العلاقة بين نوع التميمة وشكلها الرمزى وخواصها والمواد التى تصنع منها والالوان التى تتالف منها واثرها على التميمة كمادة موصلة للقوى السحرية المفيدة للانسان او كمادة مانعة وعازلة للقوى الشريرة الضارة به.

ويقوى تاثير التمائم اذا احتفظت بقوة الصيغ السحرية التى يتلوها صانعها أو يلقن حاملها كيفية تلاوتها

لقد قام كل من لكسا وبورخارت ومورية في بحوثهما عن « التمائم والسحر » بحصر انواع التمائم ونماذجها وتطور اشكالها خلال مختلف العصور الفرعونية من عهود ما قبل الاسرات الى العصر الرومانى ، فوجد انها تزيد



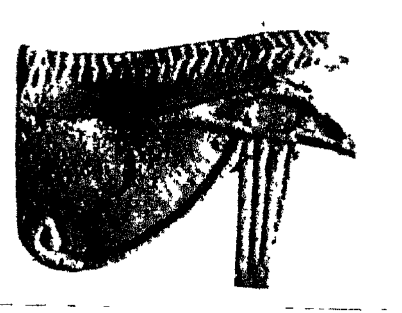
نموذج للرموز السحرية الخاصة بكل من تميمة رد ـ شجرة الخاق او تميمة الاله بتاح وتميمة ست « عقدة الالهة ايزيس » برديات رموز التمائم السحرية الاسرة ١٢



تميمة الإله (من) اله التناسل لأعمال السحر الخاصة بالعقم والخصب لحلها أو ربطها ..



زد شجرة الخلق



اوزات العين المقدسة

واز نبدول باب البردى

على الخمسة الافيضم كل متحف من متاحف الاثار المصرية فى العالم المئات منها ، ولكن اشهر التمائم الرئيسية التى لعبت دورا كبيرا فى حياة المصريين القدماء ، ينحصر فى التمائم التالية :

١ ـ تميمة عنخ علامة الحياة، واتخذ شكلها من رجل يفتح ذراعيه ، وهى اقدم تميمة ظهرت وكانت موضع تقديس فى مختلف العصور .

٢ ـ اوزات : العين المقدسة ـ رمز العين السليمة الطاهرة تمد حاملها بالراحة والحفظ وتمنع الحسد .

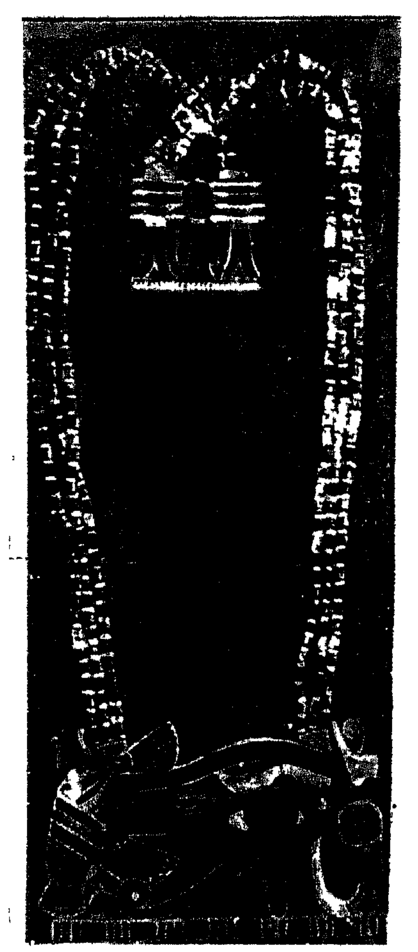
٣ ـ بمت : عقدة ايزيس ـ تحمى حاملها الشرور بقوة الالهة ـ اذا حملها الميت تفتح له ايزيس ابواب الجنة ويعطى قوة القديسين .

٤ ـ وازت : الحية الناشرة او الكوبرا المقدسة ، اوريس ـ تحفظ حاملها من شر الاعداء والخيانة والحسد ، وتمنح حاملها القوة والسلطان .

كانت توضع على جبهة التاج او غطاء الراس لتحميه من الاعداء بما تنفث من سم كالنار .

٥ ـ ايب القلب ـ تحمى حاملها من قول الزور والسنة الناس ـ توضع مع الميت بدلا من الجعران لشهادة الحق وطلب العفو من الاله

قلادة توت عنخ أمون ، مجموعة لتمائم الحفظ والوقاية .



٦ ـ واز ـ عمـــود البردى تميمة الفلاح وتجديد الحياة ـ النمو الدائم والشـــباب الدائم الاخضرار النجاح والنصر ٠

٧ ـ اورس ـ مســند الرأس ـ تميمة لرفع رأس الشــخص فى الحياة الدنيا والآخرة ، وتمنع ان يتعرض الانسان للأذى ٠

٨ ـ خا ـ مائدة القــرابين ، القناعة والستر وعدم الاحتيــاج الى الناس ٠

٩ ـ الكا ـ راحة النفس وحفظها من ارتكاب الشر ٠

١٠ ـ مانى ٠ تميمة المعبـــود « من » ـ تكسب حاملها الصــحة الجنسية وقوة الاخصاب ، وتمثــل دمية تجمع بين اعضاء التناســل الذكر والانثى وتحمــل رمز « من »

١١ ـ دت ـ الكف (الخمســة وخميســة) تصد الارواح الشريرة وتقى الحواس الخمس ، وترمــز للطالع الحسن ٠

١٢ ـ زبعوى ـ الاصــبعان ، رمز رع وحورس حاملا ســلم الصعود الى السماء ـ تميمة تمد حاملها بالحظ والعلو والرفعة ٠

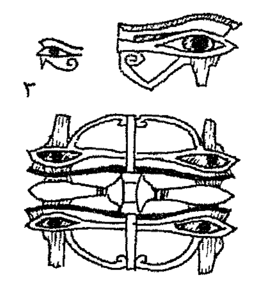
١٣ ـ الزاوية والميزان ـ تكسب حاملهــا الاتزان والتفكير المنظــم

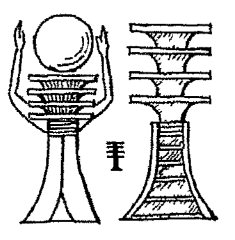
١٤ ـ بس ـ تميمة حماية الوالدة والمولود من العين الشريرة ، كمــا يحملهـــا الناس فى حفلات اللهو والشراب لدوام الفرح والخير ٠

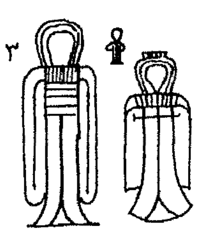
١٥ ـ ماعت وتحــوت ـ تميمة تكســب حاملها الحكمة والعدالة وتحفظه دائما فى جانب الحق ٠

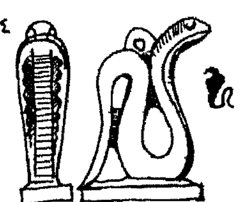
١٦ ـ حتحــور ـ تميمة الحب والجمال وحمـــايتها من الزوال والحســد ٠

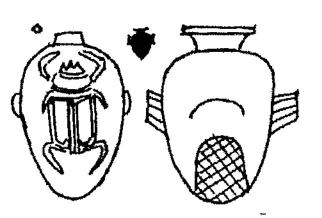
هناك مجمـــوعة اخــرى من التمــائم التى تمثل التيجان التى تكسب حاملها القوة والسلطة والجاه وترفع مكانتــه وتحميــه من كيــد الاعداء ، كذلك التمائم التى تحمــل

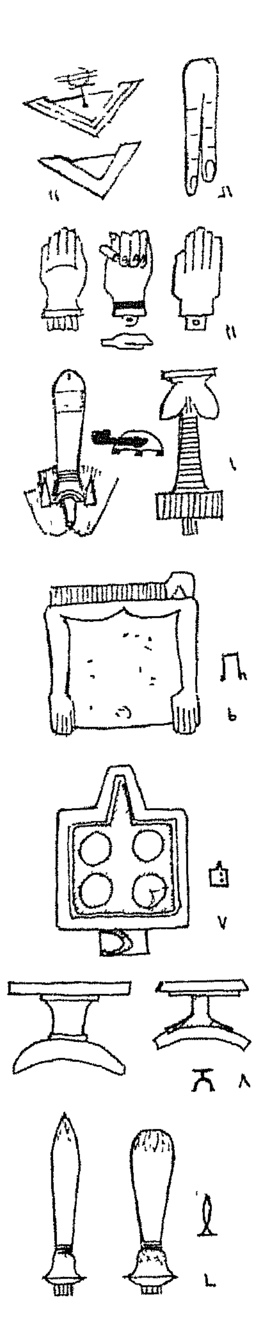












شكل الحيوانات التى تكسب حاملها خواص تلك الحيوانات نفسها كتميمة رو (الأسد) التى تكسب حاملها القوة والسطوة وبس (القط) الوداعة وحراسته من الحشرات السامة وجفن (الضفدعة) التى تمد حاملها بالحفظ كما تعتبر تميمة لزيادة النسل والاخصاب ٠

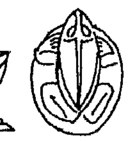
ومن أشهر التمائم تميمة نثر التى تشبه العلم وتجمع بين السماوات السبع وآلهة الكون التسعة والثالوث المقدس لتذكر حاملها بايفاء النذر للآلهه عند استجابة دعواتهم ، وهى التى اتخذ منها اسم النذر وتقاليده المعروفة ٠٠

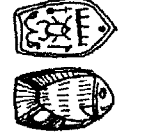
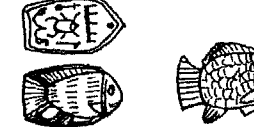
أما الاحجبة فكانت تصنع من لوحتين صغيرتين من الخشب يكتب فى داخلهما صيغ وتعاويذ خاصة ، او تحفظ بينها اوراق من البردى والنسيج تحمل مجموعة من الرموز والطلاسم السحرية ٠ كما كانت تصنع بعض الاحجبة من جلود الحيوانات أو الحشرات ، وكانت تكتب بالحبر الاسود ويستعمل الحبر الاحمر لرموز الشر ٠

وكانت الاحجبة تلف برباط سبع لفات او تعلق بخيط به سبع عقد ٠ كما كان بعضها يثبت حول الجسم او العضو بنسيج من شباك الصيد لطرد الارواح الشريرة ومنعها من الوصول الى الجسم ، ومازال الكثير من تلك التقاليد وطقوسها متداولا عند عامة الشعب

السحر ٠٠ والطب

كان المصريون القدماء يعتقدون أن كل داء من أعمال الارواح الشريرة التى تتسلط بقواها الخبيثة على الاجسام فتصيبها بالامراض وهذه القوى الخبيثة عند مقابلتها بالتاثير الاقوى تنهزم أمامها وتخرج من الجسم فيشفى المريض وقد ارتبط السحر كوسيلة من وسائل العلاج على التاثيرات الروحية والتى كانت نواة

تمائم الاسد والاسماك والضفدع والقط

الطب النفسـاني والطب الروحاني الحديث •

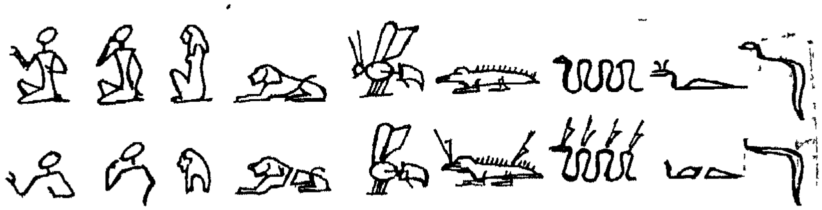
وكان السحر من العلوم المعترفبها وتدرس فى مدارس المعابد أو مايطلق عليها بيوت الحياة بجـانب الطب والكهنوت ويحمل الساحر الذىيصرح له بمزاولةالمهنة شهادةولقبا من المعبد لا يسمح له بمزاولة مهنة بدونهمـا

وكان كثير من كبار الاطبـاء يدرسون السـحر بجانب الطب ويحملون لقب ساحر بجانب مهنتهم• وكان لكتب السحر وبردياته مكتبات خاصة ملحقة بالمعابد والكثير منهـا مرتبط بكتب الطب والدين وقد اشتهر كهنة معبد منف بالذات بالجمع بين الطب والسحر بطريقة العـلاج التى تجمع بين استعمال العقاقير الطبيـة المعروفة ومتابعتها نفسيا بالسـحر والتعاويذ التى تعطى للدواء فاعليته وتأثيره بأمر الاله تحوت الذى كان يعتبر الها للمعرفة والسحر والطب فى آن واحد •

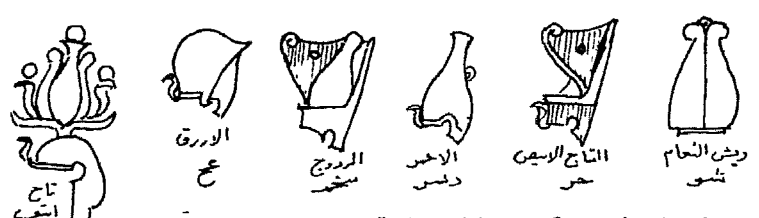
ومما ذكر فى برديات منف الطبية انهم كانوا يشفعون كل عقار بالصيغ السحرية والتعاويذالتى يجزم بفائدتها فى علاج المرض وكان اغلب الكهنـة على علم بتاثير الروحيات على الماديات ويرجع ذلك الى قوة العقيدة الدينية وانقياد الناس اليها •

وقد ورد فى برديات ايبرس الطبية بأن الرقية والدواء يفيدان ويكمل كل منهما الاخر •

كما ذكر ديودور الصقلى عن سحرة مصر ، انهم كانت عندهم القدرة على التنبؤ بالامـراض والاوبئة قبـل حدوثها ويتخذون العدة للوقاية منها ومقاومتها قبل وقوعها وانهـم كانوا يلتجئون فى ذلك الى علمى الفـلك والتنجيم وهى من العـلوم التى كان السحرة يدرسونها ويتخصصون فيهـا علميا كمادة من مواد دراسة السحر كما كانوا يحـددون الامراض التى يتعرض لها الشخص فى حياته وطرق وقايته منها تبعالتاريخ ميلاده وعلاقته بالبروج والكواكب وقد سجلت برديات ساليير ١٣٠٠ ق • م الكـثير من الجداول التى تنبأت لمواليـد كل يوم من ايام السنة بما سيتعرض له من



رموز الكائنات الحية فى حروف الكتابة الهيروغليفية ويظهر اسفلها طريقـة استخدامها فى السحر بعد بتر بعض أجزائها



تمائم التيجان ـ تكسب حاملها القوة والسلطة والجاه



خنحور تميمة الحب والجمال

ماعت وتحوتى ـ تميمة الحكمة والمعرفة

امراض فى حياته ومواعيد اصابته بهاوما يمكن للطبوالسحر من تقديم الوسائل التى تحميه من الارواح الشريرة التى تصيبه بتلك الامراض·

ولما كان السحر كفيره من مختلف علوم مدرسة الحياة وجامعات المعابد العلمية كعلوم الطب والفلكوالرياضيات والفلسفة تخضع للبحث العلمى المقدم الذى احتفظ الكهنة باسراره ولم يكشف منه للعالمالقديم الا الجوانب الطبقية فليس هناك من شك بأن السحر وعلاقته بالطب يخضع بدوره لنظريات علمية متطورة (وهو ما كشفت عنه بعض البحوث العالمية الحديثة ومن بينها على سبيل المثال استعمال البندول الفرعونى السحرى فى تشخيص الامراض وعلاجها والذى ثبت أخيرا بعد أن خضع للبحوث التكنولوجية الحديثة أنه علم متطور قائم بذاته وأنه يرتكز على الذبذبات والاشعاعات والوان موجاتها التى يصدرها الجسم الانسانى وقد أنشىء معهد خاص لبحوث البندول فى باريس (معهد شاموريه) وأصبح البندول ـ أو التميمة الفرعونية ـ وسيلة علمية معترفا بها عالميا للتشخيص والعلاج ويوالى عالم الطب سنويا بعشرات المؤلفات فى طب البندول ·

كما كشفت البحوث الحديثة عنسر اخر من آسرار السحر الفرعونى هو الابرة العاجية السحرية التى تحمل مختلف النقوش والتعاويذ التى يقرأ عليها الساحر تعاويذه ويحيطها بطقوسه السحرية ويأمرها بعلاج المريض أو تخديره وتخفيف آلامه ·· وما تلك الابرة السحرية سوى الابرة الصينية المعروفة فى العالم والتى أصبحت بدروها علما طبيا قائما بذاته · وما ينطبق على البندول والابرة الصينية سيطبقعلى الكثير من وسائلالسحر الفرعونى. القديم بعد ما تكشف البحوث التكنولوجية الحديثة عن اسرار علم السحر المصرى القديم كما اعترف العالم الحديث بالطب النفسانى والروحانى القديم والذى

اعدت له كليات خاصة في معظم الجامعات وخاصة فيما يرتبط بتحضير الارواح والاستعانة بها في علاج كثير من الامراض المستعصية ووصل بعضها الى الاستعانة بها في اجراء العمليات .

ان تلك الاكتشافات العلمية الحديثة في علاقة السحر المصرى القديمبالطب تحتم علينا أن نعيد النظر في تقييم حضارة الفراعنة وتراثنا الحضارى والنظراليها من زاوية أخرى غير تلك النظرة السطحية التي تعودنا أن نرددهاخلف ما يلقننا اياه مؤرخو الغرب .

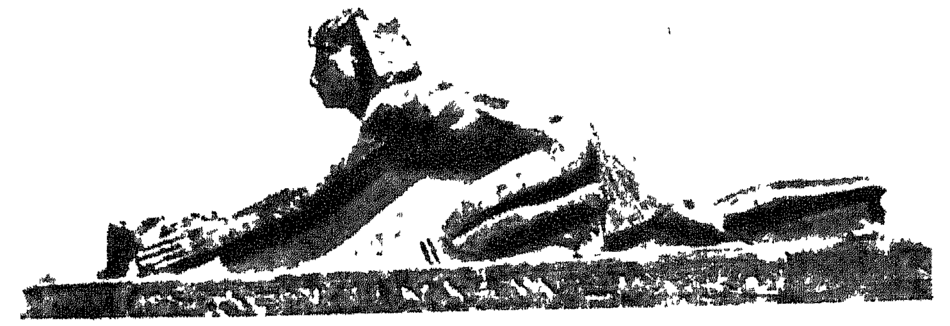
السحر .. والحب

كان لعوطف القلب وارتباطها بعالم السحر اهمية خاصة عند قدماء المصريين ، لاعتقادهم بان الحب قوة خفية متقلبة لا يمكن السيطرة عليها ، ويظهر ان السحرة قد تفاخروا فى هذا المضمار الذى اختفت فيه المجهودات الانسانية البحتة .

لقد كشفت حفريات الدولتين القديمة والوسطى بصفة خاصة عن الكثير من برديات السحر المرتبطة بالحب ، وتحوى العديد من الوصفات السحرية وطقوسها وتعاليمها ووسائلها ، وقد ارتبطت معظمها بالمتون الدينية وكتب الموتى .

ومن اشهر المراجع « كتاب الطريقين الى العالم الاوزيرى » الذى وجدت صفحات منه مدونة فى مقابر الدولة الوسطى ، ويرجع بعضها الى عهد امنحعت الاول في الاسرة الثانية عشرة ١٩٩٠ ق . م والتى يرجع الفضل في كشفها الى المؤرخ الكبير الدكتور سليم حسن ودونها في موسوعته عن « مصر القديمة وتاريخ الفراعنة » .

تحوى برديات كتاب «الطريقين» الكثير من الوصفات والصيغ السحرية التي وضعت فى خدمة اله الحب والمحبين والتى نسبت الى اله المعرفة والسحر تحوتى وآلهة الحب والجمال حتحور .. وقد ذكر أن مجرد تلاوة صيغة معينة من صيغه العديدة وممارسة ما يرتبط بها من طقوس وتعاويذ كان كافيالان تقع المرأةفي هوى من يتلو الصيغة . ومن الطرق المشهورة التى كان الساحر يمارسها جرعة الساحر او جرعة الحب ، كان اشهرها ان يؤخذ بعض قطرات من الدم من بنصر العاشق أو العاشقة ويذاب في اناء السحر بعد ان تقرا عليه تعاويذ خاصة ويعطى لمن يراد التاثير عليه ، فيعمل السحر على استمالة قلبه وخضوعه لمحبوبه أو عودته اليه بعد فراق . كما كان يستعمل دم البنصر





احدى برديات السحر القديمة « متحف المتروبوليتان »

او الكف فى الكتابة على ورق البردى الذى يذاب فى الماء الذى يشربه الطرف الآخر كما كان يستعمل دم البنصر فى كتابة الاحجبة التى تدفن تحت عتبة باب المحبوب أو فى مكان نومه لتقوم بنفس الغرض .

هناك بعض احجبة الحب التى كانت تكتب بدم بعض الطيور كالهدهد وذكر البط ، ومن بين التعاويذ التى وجدت مكتوبة فى أحجبة الحب والوصال ما وجد مكتوبا لفتى لجلب محبة حبيبته واستمالتها ــ « يا حور ، اجعل (فلانة بنت فلان) تتبعنى كما يتبع الثور علفه ، ويتبع القطيع راعيه ، وسرب البط قائده »

او ما وجد مكتوبا لفتاة فى تعويذة مماثلة « قم واربط من أهوائه ليكون حبيبى .. ليبقى كالقلادة حول عنقى والاسورة حول معصمى ، ولاتجعل عين الشر تفصل بيننا أو تبعده عنى » .

كذلك كانت الدمية الشمعية والعرائس التى تقص من الورق وتجرى عليها أعمال السحر وتخطط عليها الرموز والتعاويذ ثم تقطع أطرافها وتطحن أعضاؤها بالابرة السحرية وتدفن فى الارض ، من الطرق المعروفة التى يمارسها السحرة للتفرقة بين المحبين أو الازواج وتصحب بجرعات الحب المعروفة لاستمالة المحبوب بعد أبعاد المنافس أو الغريم .

كما وردت بعض الصيغ السحرية فى برديات شستربتى التى تمكن العاشق من الظهور فى أحلام حبيبته بحيث يظهر فى صور خلابة تخضع المحبوب لسلطانه ولا تفارقه فى أحلامه حتى يهيم به ويخضع لارادته، وهناك وصفات أخرى ليشاهد المحب محبوبه الغائب فى احلامه ويتابع أحواله وأخباره ، لقد اشتهر السحرة بممارسة اعمالهم السحرية بصفة خاصة فى اعياد المعبودة حتحور الهة الحب والجمال ، وذلك فى مختلف معابدها حيث يجتمع الشبان والفتيات ويتهافتون على الحصول على تمائم الحب التى تحمل صورة المعبودة ويكتب على بعضها اسم الحبيب ــ أو احجبة الحب والرقية التى يعدها لهم السحرة لتحقيق امنياتهم .



السحر .. في الفنون

الفن هو المرآة الصادقة التي تعكس الصورة الكاملة لابعاد حياة المجتمع ، فتعبر في جوهرها وأساليب اظهارها على البيئة ومقوماتها ووسائل ممارسته لها في حياته العامة مع ما يتفاعل معها ويحيط بها من مؤثرات .

لقد اتسمت الحضارة المصرية القديمة بسيطرة الدين والمعتقدات على جميع مقومات حياة المجتمع . ولما كان السحر كما ذكرنا سابقا هو توأم الدين فقد وضع بصمات قبضته على العلوم والاداب ، وظهر دور السحر واضحا في ممارسة الطب والفلك والتنجيم والكيمياء والرياضيات بل وفي فن المعمار نفسه .

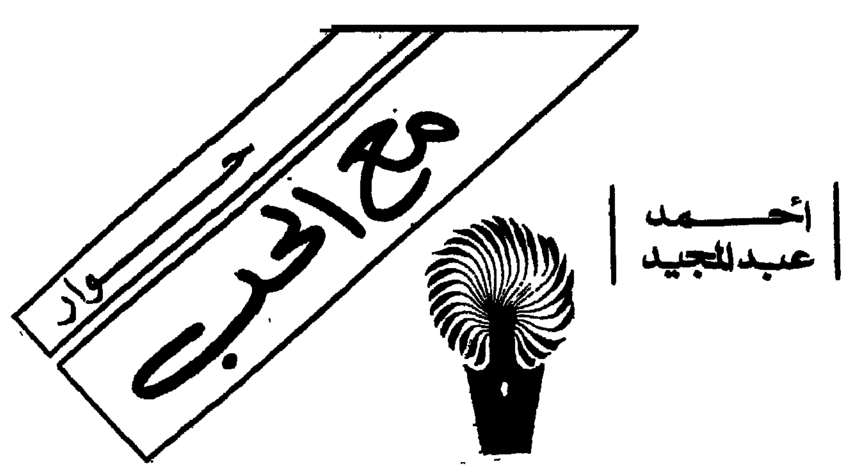
وقد انعكس تأثير السحر على الفنون بأنواعها من تصويرية وتشكيلية وتطبيقية ، ولعب دورا حيويا في الخلق الفني من ناحية الابتكار والتكوين والتعبير سواء في الجوهر أو في الاسلوب ، فمن ناحية الجوهر كانت نظرة الفنان لرسم الصورة او حفرها او تجسيمها بالنحت ان يلتزم بجانب التأثير الجمالي بالفاعلية السحرية اى التعبير عن شخصية صاحبها أو قواه غير المنظورة ، اعتمادا على أن الصورة الكاملة تمثل صاحبها كاملا حتى ان تصدعها او محوها أو تشويهها يؤثر على صاحبها . لذا كان السحرة يعتمدون على الصور والتماثيل في السيطرة على الشخص والقوى السحرية المؤثرة عليه او يمكن بها التأثير عليه .

واذا القينا نظرة على الفنون الزخرفية والتشكيلية في صناعة مختلف ادوات الزينة والمصاغ التي برع في تصميمها وصنعها قدماء المصريين نجد أنها لا تخرج في أشكالها وتكويناتها والوانها عن تكوينات من التمائم قصد بها أن تجمع بين التأثير الجمالي وفاعلية السحر .

ولا يخرج تاج فرعون الذي تتصدر جبهته الحية الناشرة ورأس الصقر ومختلف رموز السحر كذلك قلائده وصولجانه ومختلف أدوات زينته . عن كونها تشكيلات متكاملة من تمائم السحر ، لكل منها رسالة خاصة وقوة سحرية خاصة أبدع الفنان المصري في صياغتها في تلك القوالب الفنية الرائعة .

وما ينصب على الصورة ينصب على الحرف والكلمة كما ذكر تحوت عندما وضع « السر في الحرف والصورة والنطق » فالحروف والاسماء المكتوبة بها لها نفس الفاعلية والتأثير . وتشويه اشكال الحروف ورموزها الانسانية والحيوانية والنباتية كما تظهر في البرديات السحرية وبرديات التعاويذ والتعزيم كان يقصد به أبطال تأثيرها او محو فاعليتها لمنع قوى الشر التي بها ان كانت ضارة أو محو قوى الخير ان كانت نافعة تبعا لمقتضيات السحر .

وقد ذهب بعض الباحثين الى القول بأن الحروف الهيروغليفية التي اطلق عليها النقش المقدس ظهرت كرموز وطلاسم ، في السحر القديم قبل ظهورها كحروف للكتابة، وهو ما يفسر بقاءها مدة طويلة كحروف وكتابة سرية مقصور استعمالها وتفهمها والتخاطب بها على الكهنة ، ولم يستعمل الشعب **الا الكتابة الديموطيقية والهيراطيقية**



إنْ قلتُ للحبِّ زدْني ! . قال قد نفَدتْ
حدائقي عن غرامٍ طابَ أغصانا
بذلتُ ما في يدي للعاشقين ومَنْ
أقام للعشق أمجاداً وسلْطانا
وأنتَ بدَّدتَ ما أعطيتهُ فنَفَدتْ
يداكَ تطلبُ منّي اليوم احسانا
أين الذي يا صبُّ ، مَنْ عيناه أقسمتا
على الحفاظ على ما صار نسيانا
أينَ الذي يا صبُّ ، مَنْ قد باتَ موْضعه
ما بينْ عيْنيك يا مُشتاق انسانا
مازلت تَنشده ليلاً إذا اختلجتْ
لواحظُ النجم إن ما باتَ سَهْرانا
النجم والعاشِق الولهانُ ماقتئا
كواكباً في الدُجى ، بالوجد يزدانا ؟
أينَ الذي يا صبُّ ، مَنْ يسلُو خمائلنا
عنْد الغَدير الذي أشجتهُ نجوانا
ياما هتفنا على شطّيك أغنيةً
يانيلُ صارَتْ حكايا منْ حكايانا

ورنحتْ تعزفُ « سيمفونيةً » ملأتْ
سمعَ الزمان بلحنٍ من شكاوانا

أينَ الذي يا صبُّ ، في الأزمان ضيّعني
من عهدِ رُوميو وقيسٍ منذ أزمانا

لولا الهوى والجوى في الناسِ ما نظموا
شعراً ولا أرسلوا في الليل ألحانا

ولا تسربَلَ صبٌّ بالدجى ومضى
في البيد يذكي من التذكار نيرانا

ولا اشتكى ، وجواهُ بعضَ غربته
إن المحبَّ غريبٌ أينما كانا

فإن تنسم عطراً من أحبته
شدا كمن باتَ طول العمر نشوانا

تخاله من رقيقِ الحسِّ في طربٍ
ولا يبيتُ على مافات حيرانا

قد كان يشفقُ من نأيٍ يطولُ به
وها هو اليومَ كلَ النأى قد هانا

لئن تضوّع من ذكرِ الحبيب شذىً
كما يبشر صوتُ الماءِ عطشانا

يا ليت يا عاشقاً ، أبقيْتَ بعض الذى
ترجوه منّي وما في الكف قد كانا

بددتَ كلَّ الذى أعطيتهُ وغدَتْ
يداك تطلب منّي الآن إحسانا

د. أنجيل بطرس

يعكس الادب عادة الكثير من الافكار والمعتقدات التى يدين بها الناس فى العصور التى يكتب فيها ، والتى يصورها الادباء كجزء من تصويرهم للتجربة الانسانية التى هى الموضوع الاساسى للادب .. ولما كان الايمان بالسحر يختلف قوة وضعفا باختلاف العصور ، ونتيجة لعوامل حضارية وثقافية ليس هنا مجال الحديث فيها ـ فان السحر كاحد مكونات الخلفية الفكرية او العقائدية يظهر فى ادب بعض العصور بينما يكاد يختفى تماما فى عصور اخرى . ففى أدب العصور الوسطى وفى ادب عصر النهضة فى انجلترا مثلا يلعب السحر والسحرة دورا هاما ، بينما يكاد يختفى تماما فى أدب القرنين الثامن والتاسع عشر ثم يعود فيظهر مرة اخرى فى بعض الاعمال الادبية فى العصر الحديث .

السحر فى الأدب الإنجليزى

ولعله ليس من الغريب مثلا أن نجد من الشخصيات الرئيسية فى رواية للأديبة الانجليزية المعاصرة « ايريس مردوك » من يهتم بالسحر ويجرى طقوسا مشبوهة فى قبو أسفل مكان عمله الرسمى . فبينما كان السحر احد عوامل الخلفية العامة فى العصور الوسطى وعصر النهضة ، فمن الملاحظ ان هناك عودة الى الاهتمام بالمسائل الروحية فى العصر الحديث . ولعل المادية التى سادت العالم فى عصرى الثورة الصناعية وازدهار العلوم قد أخذت تفسح المكان اخيرا لتلك الرغبة الدفينة فى نفس الانسان والتى تدفعه لمحاولة استكشاف تلك العوالم الخفية التى يتناولها السحر وتحضير الارواح وغيرها .

ومن الطريف ان بعض العلوم قد ارتبطت فى بدايتها فى أذهان العامة



بالسحر ، وخاصة علوم الكيمياء والطبيعة والفلك ، وكان يصور العلماء في بعض الاعمال الادبية في ثياب السحرة وخاصة من غير المسيحيين . ومن الطريف أيضا أن السحرة كانوا يتخفون في مسوح الرهبان زيادة في التمويه والتحايل على ضحاياهم من البسطاء .

وبالرغم من أن النظرة العامة هي أن السحر يعتمد على الصلة بين السحرة وأرواح شريرة يسخرونها للتأثير في مجرى الاحداث أو صنع أعمال خارقة ، أو كشف النقاب عما يخبئه المستقبل، أو ما يحدث في أماكن نائية لا تصل اليها عين الانسان ـ الا أنه يمكن التفريق في الثقافة الاوربية بين نوعين من السحر : السحر الاسود وهو الذي يراد به انزال الضرر بالانسان ويقوم به الاشرار من البشر تعاونهم في ذلك الارواح الشريرة ... والسحر الابيض وهو الذي يراد به درء اذى تلك الارواح وحماية البشر منها ، ويعتمد على معاونة الارواح الخيرة .

ويعكس السحر في الاداب الاوربية بوجه عام فكرة الصراع بين قوى الخير والشر من ناحية ، وبين طموح الانسان وتعطشه للمعرفة الكاملة والقدرة اللانهائية ، وبين خوفه من الخروج على ارادة الله ومن العقاب الابدي نتيجة لذلك من ناحية أخرى .

وفي الأدب الانجليزي أمثلة عديدة لذلك سنختار منها مثلين أو ثلاثة . أما أول هذه الامثلة فهو « قصص الملك آرثر » التي جمعها وأعاد صياغتها توماس مالوري تحت عنوان : « موت آرثر » ونشرت بعد موته في ١٤٨٤ ، وان كانت تعالج اسطورة الملك آرثر وفرسان المائدة المستديرة في القرن الخامس، الا انها قد أصبحت جزءا لا يتجزأ من المخيلة الانجليزية والاسطورة التي وجد فيها الدارسون والشعراء مصدر الهام لاينضب .

وتعالج قصص الملك آرثر وفرسانه الشجعان أحداثا تكاد تشبه لفرط بساطتها ووضوحها قصص الجان . ولكنها تشكل موقفا انسانيا أساسيا، وتقدم صورة رائعة لمبادىء الفروسية التي كانت تقوم عليها مملكة آرثر ويدافع عنها فرسانه فمملكته الخيرة يهددها الشر من الداخل في صورة بعض الاعداء الذين يحاولون الاستيلاء على السلطة من ناحية والغزاة القادمين من الخارج والذين لا يدينون بما يدين به أهل مملكة الخير من مثل ومبادىء من ناحية أخرى .

وفي هذا الصراع بين قوى الخير ممثلة في الملك الشرعي وأعوانه وقوى الشر ممثلة في أعدائه يلعب السحر دورا أساسيا بمستشار الملك ومعلمه ساحر طيب هو مرلين ، وأخت الملك المتآمرة عليه مورجانا، ساحرة شريرة ماكرة تستخدم جميع فنون السحر وحيله بينما يعمل مرلين على ابطال فاعلية حيلها ومعاونة الملك وفرسانه على التصدي لها .

أما مبادىء مملكة الخير التي يعلنها الملك آرثر مطالبا فرسانه التمسك بها قبل تفرقهم سعيا وراء المغامرات وبحثا عن الكأس المقدسة

التى شرب منها المسيح فى آخر عشاء له مع تلاميذه فيلخصها كما يلى :

« لا تأتوا أى فعل منكر ، ولا تقتلوا ولا تصنعوا شيئا يتسم بالقسوة أو الشر · اهربوا من الخيانة وجميع أنواع الكذب وأنواع التعامل التى لا تتسم بالامانة والصدق · قدموا الرحمة لمن يطلبها أو امتنعوا عن الجلوس الى هذه المائدة المستديرة · وقدموا العون دائما ما وسعكم الجهد الى السيدات والانسات واذهبوا لنجدة الزوجات والارامل. واتركوا ما فى ايديكم من عمل مهما كان امره فى سبيل رفع الاذى عن اية سيئة فى العالم ، والا كان الموت والعار الابدى جزاءكم ولا تقاتلوا من أجل الحب أو الربح ، ان لم يكن قتالكم قتالا فى سبيل العدل والخير · »

شيكسبير السحر فى مسرحياته



ويبارك مرلين هذه المبادىء ، ويحث الفرسان على العمل بها لتستمر مملكة الخير على الارض ، مؤكد أنه حتى ولو أدركهم الموت جميعا فى سبيل ذلك فستبقى مبادئهم حية وستظل مثلهم قائمة الى الابد · ثم يخبر الملك آرثر ان أيامه على الارض وشيكة على الانتهاء وأنه سيذهب لينام ، أما هو فمملكته ستهزمها قوى الشر فى النهاية ، وأنه سيخر صريعا فى أحدى المعارك ، ولكن وان طال الامر فمملكة الخير ستعود الى الارض ، ويوصى مرلين الملك بعدم التخلى عن مبادئه ويوصى به نيمو الساحرة الخيرة التى ستوليه رعايتها بعد اختفاء مرلين من حياته ·

وتتوالى أحداث الصراع فنرى العديد من الحيل السحرية الماكرة التى تهدف الى الايقاع بالفرسان الابطال والتغرير بهم · من هذه الحيل ظهور فتيات جميلات يطلبن العون والمساعدة والقصاص ممن اسأن اليهن مما يضطر الفرسان الذين اقسموا على مساعدة النساء ونصرتهن ان يصغوا ذلك فيجدوا أنفسهم بعيدا عن طريقهم الاصلى تارة ، وفى السجن تارة أخرى ،أو فى مواجهة فرسان اشرار تارة ثالثة · ومنها ايضا ظهور سفينة جميلة تسمع بها موسيقى رقيقة تنساب على الماء دون ان يوجد بها من يقودها ، ثم تقف مقابلة بعض الفرسان تغريهم بركوبها والاستمتاع بجوها الساحر · ومنها ايضا الحيلة التى تسلب بها مورجانا سيف الملك آرثر الذى قيل انه نتيجة لتعويذة سحرية خيرة ، لن يهزم أبدا وهو يقاتل به ، وتتركه يحارب بسيف عادى فيكاد يقع قتيلا لولا قيام نيمو الساحرة الخيرة بحيلة مضادة تعيد بها السيف الى يد

صاحبه وتنقذه من خصمه ومن أطرف تلك الحيل ظهور الفارس الاخضر الذى يحمل رأسه على صدره ثم يعيده الى مكانه وكأن شيئا لم يحدث ، مع ما يحمله ذلك لشاهديه من رعب وخوف •

وهكذا نرى ان السحر كان يرى فى تلك القصص كعامل مؤثر فى الحياة اليومية وكقوة خارقة تعين الخصم على خصمه وتعمل على تحقيق ما قد تفشل فى تحقيقه القوة البشرية المجردة •

اما اذا انتقلنا الى عصر النهضة فسنجد مثلا اكثر نضجا وروعة لتصوير السحر كعامل من العوامل المؤثرة فى الحياة الانسانية وذلك فى مسرحية كريستوفر مارلو الشهيرة « دكتور فاوستوس » • ولعل احد اسباب خلود تلك المسرحية هو أن السحر فى هذه المأساة انما هى رمز لتلك القوى الخارقة الغامضة التى يسعى الانسان لتطويعها لارادته ليحقق المعرفة والقوة التى توفرها له ، وما يمكن أن تحققه أو لا تحققه تلك القوة من اشباع أو معاناة ، والى أن السحر كما يصوره مارلو فى عصر النهضة وسيلة فعالة للحصول على تلك القوة • ومن الغريب أن عصر النهضة الذى شهد بداية حركة الاصلاح الدينى فى انجلترا شهد أيضا اهتماما كبيرا بالسحر

ويفسر البعض ذلك بالقول بأن الجرأة الفكرية التى تميز بها ذلك العصر قد حركت بعض المعتقدات القديمة الاولية والكثير من المخاوف من قوى الطبيعة الغامضة • كما ان حركة الاصلاح قد أدت الى التحرر الذى أدى الى الشعور بالنشوة والقدرة على تحقيق الاحلام ، بحيث أحس جيل مارلو أنه لم يعد هناك شىء مستحيل ، كما لم يعد هناك شىء مقدس لا يمكن نقده أو غزوه وامتلاكه •

« ودكتور فاوستوس » عالم أعيته الحيل للحصول على المعرفة والقدرة التى يتوق اليها فعقد صفقة مع الشيطان يمنح بمقتضاها كل ما تصبو اليه نفسه طوال فترة أربع وعشرين سنة ، فى مقابل تسليمه روحه فى نهايتها • وتخبرنا الجوقة فى بداية المسرحية أن فاوستوس عالم ضليع قد حصل على درجة الدكتوراة فى اللاهوت ولكن الغرور قد ركبه فحلق بأجنحة من الشمع فكان مصيره السقوط • فبعد أن أخذ كفايته من العلوم المختلفة اتجه الى دراسة السحر الذى وجد فيها اكثر الدراسات اقناعا •

وعندما يظهر فاوستوس على المسرح يؤكد لنا أنه وجد أن دراسة الفلسفة والمنطق والطب والقانون واللاهوت ، دراسات لا طائل تحتها أما كتب السحرة فهى الكتب التى يجد فيها ضالته ؟

« الخطوط والدوائر والرسوم والحروف والارقام ،

نعم ، تلك هى الاشياء التى يريدها فاوستوس حقا •

اه ، ما أعظمه عالم ،عالم الفائدة واللذة ، والقوة ، والمجد ، والقدرة الكاملة ،





ايرس مردوك · نماذج للسحر

ذلك العالم الذى يوعد به الدارس لهذا الفن ·
كل تلك الاشياء التى تتحرك بين القطبين الساكنين ستكون جميعها تحت امرتى : ان الاباطرة والملوك لا يطاعون الا كل فى امارته ،
ولا يستطيعون ان يقيموا الريح او يفجروا السحب ، اما مملكته ذاك الذى يبرز فى هذا الفن فتمتد بعيدا بامتداد عقل الانسان ؟
ان الساحر الحق اله جبار ·
والان ، فلتشحذ ذهنك ايا فاوستوس لتفوز بالالوهية ! »

(الفصل الاول ، المشهد الاول)

وفى المشهد الثانى يجسد لنا مارلو الصراع الدائر فى نفس فاوستوس قبل أن يسلم نفسه نهائيا للشيطان ، عن طريق الحديث الدائر بينه وبين ملاكين ملاك طيب ينصحه بأن يلقى بعيدا بكتب السحر اللعين لئلا تغريه بالسقوط وتجمع غضب الله على رأسه ، ويشير عليه بقراءة الكتاب المقدس ، مضيفا أن ما يفعله انما هو كفر ، وملاك شرير يحثه على المضى فى سبيله ، والتمسك بذلك الفن الذى يحوى جميع كنوز الطبيعة ، ليصبح الها على الارض وسيد هذه الارواح وآمرها ·

« وعندما يأتى الالمانيان فالديس وكورنيليوس لزيارته يخبرهما أنه قرر بناء على كلامهما ونتيجة لرغبته الخاصة ان يمارس السحر والفنون الدفينة ، فقد خلبت لبه ويطلب منهما كتبا فى السحر وما يلبث أن يأخذ فى مزاولته فيفلح فى استحضار مفيستوفوليس ، مساعد لوسيفر أو ابليس · ويطرب فاوستوس لنجاحه فى استحضار هذا الشيطان الذى يخبره انه انما استجاب لدعوته بمحض الصدفة وانه لا يفعل ذلك عادة الا بأمر من ابليس ذاته الذى يحاول دائما اكتساب أرواح جديدة الى مملكته · ولكنه يعده بأن يكون عبده والمؤتمر بأمره شريطة أن يمضى عقدا بدمه يتعهد فيه بتسليم روحه لابليس فى نهاية حياته · وبالرغم من أن فاوستوس يتردد فى بادىء الامر مدركا خطورة الخطوة التى يغريه مفيستو فوليس باتخاذها الا أنه يوافق على مطلبه ، ويطعن ذراعه فيسيل الدم ويأخذ فاوستوس فى كتابة العقد المطلوب الا أن الدم يتجمد ولا يستطيع أن يفعل ذلك ومرة أخرى تعاوده الشكوك ويتساءل ما الذى يعنيه تجمد الدم ، ولكن مفيستوفوليس يهون عليه ويذهب لاحضار بعض النار ليسيل الدم وما يلبث أن يسيل الدم مرة أخرى ويكتب فاوستوس الصيغة المطلوبة: « يعطى فاوستوس روحه لك » ومرة أخرى تتوقف يده عن الكتابة وكأن شيئا يمسك بها ، فيتساءل مرة أخرى « ولم لا يفعل ذلك ؟ أليست روحه ملكا له ؟ » وأخيرا ينتهى من الكتابة، ولكنه يرى على ذراعه كلمات مكتوبة تقول : « اهرب ، أيها الرجل » فيظن



أن خياله قد صور له ذلك ، ولكنه يرى الكتابة واضحة ، ويدرك أن فاوستوس لن يهرب • وكأن مفيستوفوليس يدرك ما فى نفسه من تردد وتخوف فيحاول الترويح عنه بدعوة عدد من الشياطين التى تظهر حاملة تاجا وملابس فاخرة ثم تأخذ فى الرقص أمامه قبل أن تبرح المكان

ومن الواضح أن فاوستوس بما يقدم عليه ينكرمسيحيته ويتحدى الدين الذى يمنعه من الخضوع للشيطان والتعاون معه وذلك بتسليم روحه له فى مقابل الحصول على المعرفة والمتعة• ومن هنا كثر تردده وتخوفه قبل الاقدام على فعلته الشنعاء ولقد برع مارلو الذى استخدم الخطوط الرئيسية لاسطورة معروفة موضوعا لمسرحيته فى تصوير الصراع الدائر فى نفس فاوستوس بين رغبته المسيطرة فى استخدام السحر لاشباع رغباته وبين تردده فى دفع الثمن الذى يطلب اليه فى مقابل ذلك وهو الخروج عن طاعة الله وانكار المسيح والتسليم بالعذاب الابدى بعيدا عن رحمة الله • فصور لنا فاوستوس موزعا بين ما يهمس اليه به الملاك الطيب تارة والملاك الشرير تارة اخرى ، ثم بين نصح طلبته واصدقائه من ناحية وبين تهديد الشيطان وتوعده من ناحية أخرى ، بعد أن أدرك عظم جرمه وتفاهة العطاء الذى حصل عليه • واطلعنا على رغبته فى التوبة وفى التضرع الى الله ليغفر له لولا خوفه من ابليس وملائكته الاشرار الذين يقفون له بالمرصاد ، يمنعونه من ذلك بالتخويف والتعذيب • كما عمل على ابراز تفاهة الجزاء الذى حصل عليه فاوستوس فى مقابل بيع روحه الخالدة فمثل له بزيارة الى روما وفترة من الزمن فى صحبته ، هيلين ، ملكة طروادة الفاتنة ، واخيرا فى تصويره للعذاب المرير الذى يتحمله فى ساعته الاخيرة قبل أن يحضر ابليس لتسلم روحه والنزول به الى الجحيم الى الابد ، وذلك فى مشهد من أروع مشاهد التراجيديا واكثرها كشفا عن عمق تلك التجربة الانسانية الفريدة ، والمفعمة بلذة الانتصار والاحساس بالقوة فى بدايته ، ثم بالالم والمرارة والندم والرغبة فى التوبة حيث لا مكان للتوبة فى النهاية

ولكن الزمن يمضى وما تلبث أن تمضى نصف الساعة الاخيرة من حياته فيصيح :

« آه لقد مضى نصف الساعة ! وستمضى الساعة كلها عما قليل يا الله •

اذا لم ترد أن ترحم روحى ،
فمن أجل مسيحك الذى فدانى بدمه
ضع حدا لالمى الذى لا يتوقف
ولتجعل فاوستوس يقضى فى الجحيم الف سنة •
مائة الف سنة ، ثم يخلص فى النهاية •

وتصور هذه السطور التى تثير الرعب والشفقة فى نفس القارىء أو المشاهد ما يدور فى نفس فاوستوس من مشاعر اليمة نتيجة انزلاقه فى طريق السحر والشر والخضوع لابليس

اما مثلنا التالى للدور الذى يلعبه السحر فى الادب الانجليزى فسنجده فى « ماكبث » احدى تراجيديات شيكسبير الخالدة • فبالرغم من اختلاف الاراء حول مدى اهمية الدور

الذى تلعبه الساحرات الثلاث فى هذه المأساة ، فمما لاشك فيه انهن يلعبن دورا هاما فى حياة البطل وفى سقوطه فى النهاية • فالمسرحية تبدأ بمشهد يتفقن فيه على لقـــاء ماكبث وتنتهى وكلماتهن على لسانه وهو يقاتل بيأس وقد هاله مدى الخداع الذى تضمنته نبوءاتهن •

وتدور المأساة كما نعلم حول جريمة شنعاء يرتكبها ماكبث القائد الشجاع مدفوعا بطموحه الطاغى فى الوصول الى العرش ، تحثه على ذلك زوجـــه التى لا تقـــل عنه طموحا ، وسرعان ما يجد نفســـه يخوض فى بحر من الدماء ينتهى به الى المصير المحتوم لكل طاغية مستبد • فماكبث أحـد قـــــادة جيش الملك دنكان ، ملك اسكتلندا ، الطيب الرقيق المسن ، يعود منتصرا بعد أن أخضع الثوار وقضى على حركة تمرد ضـد الملك ، ليجد الملك فى انتظاره يغدق عليـــه التكريم والجزاء ، فلا يثنيه ذلك عن تنفيذ خطته المنكرة بقتل الملك والصاق التهمه بحارسيه نيـــابة عن ابنيـــه الاميرين اللذين يلوذان بالفرار خوفا من أن يلحقهما مصير أبيهمـــا ، ثم يعتلى هو عرش البلاد ، ولكنه عرش قائم على الدم والخوف والشك ، فما يلبث أن ينهار ليعود الحكم الى الوريث الشرعى ويعود الامن الى البلاد •

ولعلنا لسنا بحاجة الى أن نضيف أن هذا الملخص الذى أوردناه انمـــا هو الهيكل العارى لاحداث المأساة التى يعرض فيها شكسبير لمأساة انسانية مروعة تبرز فيها شخصية البطـــل وزوجته وقد كشف النقاب عما يجول بنفسيهما بعد أن ارتكبا جريمتهمـــا ضد مليكهما وقريبهما وضيفهما دنكان بحيث فارق النـــوم أعينهما وانتهت الملكة الى ما يشبه الجنون ثم الانتحار وغـــدا الملك طاغية يحـــاول قتـل كل من يشك فيه من رجال مملكته الواحد تلو الاخر خوفا على عرشه ، وتزيده نبوءة الساحرات طغيانا ، ظنا منه بأنه بمأمن من الاعداء والمولدين من النساء •

أما الدور الذى تلعبه الساحرات فيتلخص فى أنهن ينتـــظرن ماكبث عند عودته من المعـركة بصحبة قائد آخر ، هو بانكو ويبادرنه بالتحيـــة قائلات :

« تحية لماكبث لورد جلاميس
تحية لماكبث لورد كودور
تحية لماكبث ، من سيكون ملكا فيما بعد » •

ولما كان ماكبث فى تلك اللحظة لورد جلاميس فقط فانه يجفل قائلا : « أن لورد كودور مازال حيا » ، ولكنـــه سرعان ما يأتيه رسول ينبئه بأن الملك قد خلع عليه لقب لورد كودور بعد أن ثبتت الخيانة على صـــاحب اللقب الاول • ويعجب ماكبث عما اذا كانت النبوءة الثانية ستحقق كما تحققت الاولى ، ويكتب الى زوجته ينبئها بما حدث ويسر اليها بأن الملك قد قرر تشريفه بالزيارة ويطلب اليها الاستعداد



للقائه • ويحدث أن ينتهز الملك فرصة وجود رجاله بعد الانتصار في المعركة فيخبرهم بأنه اختار ابنه الاكبر وريثا لعرشه ، فيدرك ماكبث أن نبـــوءة الساحرات لا يمكن ان تتحقق بالطريق الطبيعي ودون تدخل منه كما تحققت نبوءتهن الاولى ، ويأخذ فى التفكير فى التخلص من الملك أثناء وجوده فى قلعته وأثناء نومه ، ولكنه يعود فيستكبر الامر ويقرر التراجع عـــن خطته ولكن زوجته تحثه على المضى قدما معايرة اياه بجبنه ، فيقدم على جريمته ثم يقاسى من عذاب الضمير ما يجعل منه انسانا قاسى القلب لا تهمه الا سلامته فيمعن فى القسوة واراقة الدماء •

وهنا يمكن طرح سؤال طالما طرحه النقاد والدارسون وهو هل كانتنبوءة الســـاحرات هى الحافز على جريمة قتل الملك التى يرتكبها ماكبث ، أم أنها لاقت هوى فى نفسه لانها لمســت رغبة دفينة فى داخـــله ، فان كانت الاجابة بالايجاب على الشـــق الاول من السؤال ، فلا يمكن أن يعـــد ماكبث مسئولاعن جريمته التى تحرضه عليها الساحرات ، وان كانت بالنفى، كانت الاجابة على الشق الثـــانى بالايجاب وهو ما يبرزه النص المسرحى وتجمع عليه الاراء • ذلك أن ماكبث يجفلعند تفوهقول الساحرات بالنبوءة الثانية ، ويلحظ ذلك رفيقة بامكو • كذلك يشغله قول الساحرات بحيـث يكاد ينسى من حوله ويضطر رجالـه الى لفت نظره الى انهم ينتظرون أمـــره بترك المكان ومواصلة السير ، ذلك بينما يختلف تماما رد فعل بامكوالذى لا يأخذ نبوءة الساحرات ، « بأنه لن يكون ملكاً ولكنه سيكون ابا للملوك» مأخذ الجد ، ويحــذر ماكبث قائلا :

«ولكنه من الغريب

انه كثيرا لكى تستميلنا قوى الظلام

الى ما يضر بنا ، تخبرنا

باشياء حقيقية •

حتى تكتسبنا بتفاهات صادقة

لتوقع بنا فى نتائج وخيمة » •

وواضح ان هذه الكلمات التى تحمل بين طياتها مفارقة درامية تنبىء بما سيحدث بالفعـــل لماكبث • كذلك فان ماكبث وقد تحققت النبوءة وأصـــبح ملكا يسعى للقاء الساحرات مــــرة أخرى ليعرف منهن ما يخبئه لهالقدر وهنا تخدعنه بأقوال تبدو مطمئنــــة فى ظاهرها ولكنها كاذبة فى جوهرها وذلك حين تحثثنه بأن يكون جريئـا ولا يخشى احدا لانهلنينال منه مولود من امرأة ولن يصيبه سوء حتى تتقدم غابة بيرنام الى قلعة دنيسينين • ثم يكتشف فى نهاية المسرحية أن ماكدوف الذى ذبح هو زوجته وأطفاله والذى اقسم أن يقتص منه لم يولد بالطريق الطبيعى وأن جنـــد الوريث الشرعى للملك يقتربون من دنيسينين حاملـين فروع أشجار غابة بيرنام •

وهكذا نرى بوضوح أن الساحرات تغررن بمـــاكبث ان لم يكن فى المرة الاولى ففى المرة الثانية التى يسعى هو فيها اليهن بعـــد أن تلوثت يداه بالدماء البريئة ، ومن هنـــا فهن يمثلن بعض قوى الشر فى المسرحيـة فبينما يمثلن قوى الشر فى المسرحية يمثل طموح ماكبث وقســـوته الشر

السحر في
الأدب الإنجليزي

الخارجي ، وعندما تتحد هذه القوى بفضل تأثير نبوءة الساحرات على ماكبث ، ينطلق الشر فيسود الظلام القاتم وتحدث المأساة التي تنتهي بسقوط البطل ·

ومما لاشك فيه أن وجود الساحرات والنبوءات التي يغرين بها ماكبث انما هو جزء من الجو العام للمأساة التي تلعب فيها العوامل الخارقة للعادة دورا كبيرا · فهناك نذر شر تملأ السماء وتفسد سكون الليل ، اذ

يسمع صوت نحيبفي الجو وصرخات غريبه كصرخات الموتى ، وصوتنعيب البوم وصراخ خيل دنكان وهي تلتهم بعضها البعض ، ونعيق الغربان والصقور · ثم هناك الخنجر الذي

يراه ماكبث يشير الى حجرة دنكان ثم يختفي ليظهر مرة أخرى يقطر دما · وهناك شبح بانكو ، ومسير ليدي ماكبث أثناء نومها وتمثيلها لاحداث ارتكاب الجريمة ·

أما الساحرات أنفسهن فكائنات غريبة تثير الرعب والاشمئزاز في النفس فهن يظهرن فجاة ويختفين فجاة ومع أن لهن شكلا كالنساء الا أن لهن لحى وأشكالهن مخيفة لا ترى بوضوح فى جو يشوبه الظلام ،يكشف عنها لهيب نار يعلوه مرجل فى كهف

مظلم · وفىهذا المرجل تلقى الساحرات بأشياء لا تقل غرابة وأثارة للرعب: أصبع وليد تقتله أمه ساعة مولده وقطرات دم سائلة من مشنقة قاتل وأصبع قدم ضفدعة وجناح خفاش ولسان كلب وجناح بومة

وشوكة ثعبان وذيل دودة عمياء · كل ذلك لتصنع منه تعويذة شريرة قوية · أما حديثهن فتسوده نغمة شريرة تدل على طبيعتهن الشيطانية. تتحدثن عن الزوجة التي رفضت أن تعطى احداهن بعض ثمار القسطل :

(أبو فروة) فتحكم على زوجها البحار أن يتعذب في عاصفة تثيرها بسحرها ، لا يذوق طعم النوم أسابيع طويلة عقابا له ولزوجته ·

وتتفق طبيعتهن الشريرة مع جو الشر والظلام والدم الذى يسود المسرحية وكما يقتل دنكان فى ليلة عاصفة ، تظهر الساحرات في جو عاصف وعندما يتحدثن يتنبأن بالعواصف التى تغرق السفن وتقلع الاشجار وتسقط القلاع ومع ذلك فهن،

كما يقدمهن شيكسبير تبعا للفكرة السائدة فى عصره عن الساحرات ، لسن سوى نساء قد حصلن علىبعض القوى الخارقة عن طريق تسخير الارواح التى يحتفظن ببعضها فىشكل بعض الحيوانات كالقطط · وترجع أهمية الدور الذى تلعبه الساحرات

فى المسرحية لا الىالكشف عما بداخل ماكبث من أفكاردفينة تطفو الى السطح عند سماعه الى نبوءاتهن بل الى تعميق وتاكيد الاحساس بالخوف والرعب والغموض الذى يسود جو التراجيديا ويؤكد وجود الشر داخل الانسان وخارجه ·

اما اذا اردنا صورة اكثر اشراقا ورقة لما يمكن ان يفعله السحرالابيض ببعض الكائنات فعلينا بقراءة بعض كوميدياتشيكسبير مثل « حلم منتصف ليلة صيف » او « العاصفة » · أما

فى هذه الاخيرة فنجد مثلا رائعا للساحر الطيب او الأمير العالم ، امير نابولى الذى يدرس السحرويستخدمه ليحرر الارواح الطيبة من سيطرة السحر الاسود مثل أيريال ، ثم ليلهو

بأعدائه بعض الشيء قبل ان يتاكد له ندمهم على ما ارتكبوه فى حقه منخطا وتوبتهم واستحقاقهمللخلاص من الموت غرقا فى العاصفة كما ارادوا له هو وابنته من قبل ·

هوامش وتعليقات حول

التعاويذ والرقى والطلاسم والأحجبة في الأساطير الشعبية

د. محمد أبو الأنوار

ان نزعة السيادة في الحياة لدى الانسان نزعة فطرية ، ويبدو أن الانسان في أوائل سيرته على درب الحياة ، وقدرته على الادراك الفطرى البسيط الذى عززته التجارب والحت عليه المطالب ، كان شديد الرغبة في تفسير ما يحيط به ويعجز عن ادراكه ، وايضا كان شديد الرغبة في قهر الصعوبات والتغلب على المخاطر واتقاء الشرور ولكن وسائله بغير جدال كانت محدودة للغاية ، وتدل سيرته على انه لم يستسلم للعجز التام ، بل تصدى نفر قليل في هذا المجتمع او ذاك للخروج بالانسان الى ما يريد ويرغب ذلكم النفر هم السحرة او الكهان ...

فيما يبدو فان الانسان أول الامر نسب — على سبيل الاعتقاد — الى الكائنات صفات انسانية ، فهى تغضب وترضى وتعطي وتمنع وتتلف وتضر ، ومن هنا البسها روحا خاصة وأسند اليها ارادة كاملة واخذ يجدد علاقته بها لانها كائن قادر على التدخل في حياته اليومية ، ويبلغ به الخوف منها — وربما الحب لها — أن ألهها وأخذ ينسج حولها الحكايا والاساطير .

ثم تطورت العلاقة للتعامل معها ومع كل القوى المحيطة به التي لا يعرف عن اسرارها شيئا ، واضطرته ظروف بعضها اجتماعي والاخر نفسى عاطفى الى ضرورة التعامل مع هذه الكائنات : السماء لا تمطر وهو محتاج الى الغيث ، الريح تزمجر وهو ضحية العواصف ، هذا الطريق أو ذاك مهلك لكل من يرتاده أو بعضهم يذهب فلا يعود



اوجست كونت: السحر اول العلوم ... وكيمياء الشعوذة مصـــدر علم الكيمياء .

ولا غنى له عن السلوك فيه طلبـا للرزق والحياة ... اذن فليتعامـل مع هذه الكائنات بوسائل أخـرى ، فليخاطبها ولكن بلغة خاصـة ، ومن هنا كانت الرقى والتعاويذ والطلاسم والاحجبة فى اساس نشاتها ومراحل تطورها، وهى فى هذه النشاة صدى للرغبات العاطفية وتجسـيد حى للرغبة والارادة معا فى عصـور العجز والتخلف » (١) .

واصبح الساحر او الكاهن رمزا للمعرفة وصـاحب المشـورة بل المقدرة احيانا . وللمرء ان يتخيـل حقا ان المجتمعات البسـيطة كانت تسال وعلى السـاحر او الكاهن ان يجيب مهما تكلف من كـذب او ادعـاء حتى ينجو بنفسه خاصـة اذا كان السؤال من مركز قـوة وجبروت كرئيس الجماعة وسـيدها ومن هنا كان السـاحر مضطرا الى بذل محـاولات مهما قيل فى ضحالتها وضالتها وجهـالتها فانها والعلم معا يرميان فى النهـاية الى هدف واحد هو سيطرة الانسـان على الطبيعة بكل قواها وابعـادها .

ولا عجب مع ذلك ان نـرى من العلماء امثال « اوجسـت كونت ، ودوركيم ، وفريزر » (٢) من يقول:ان السـحر اول العلوم ، وان كيميـاء الشعوذة كانت مصدرا لعلم الكيمياء، وان علم التنجيم كان اصلا لعلـم الفلك ، وان الطب تطـور عن فن نقع الاعشاب ... بل ان « فريزر » يقول : « ... ان الفكرة الاساسية التى يعتمد عليها السحر هى نفس الفـكرة التى يعتمد عليها العلم الحديث . وهى اعتقاد ان الطبيعـة تخضع لنظـام ثابت لا يتغير .

---

(١) مبادىء علم الاجتماع الدينى تاليف روجيه باستيد . ترجمـة د. محمود قاسم ط. الانجلو : ص ٢٩ وما بعدها .
طب وسحر: د. بول غليونجى ـ المكتبة الثقافية رقم ٥ : ص ٣ ـ ٨

(٢) مبادىء علم الاجتماع الدينى ص ٤٢ وما بعدها .
البطل فى الأساطير : د. شكرى عياد ط ـ دار المعارف : ص ٧٦ ، ٧٩ وما بعدها .

فالساحر يعتقد اعتقادا جازما ان نفس الاسباب ستؤدى الى نفس النتائج ... » (٣)

ولكن الساحر كان يحتفظ بتسويغ مقنع عندما تكذب النتائج بين يديه ، وهو اعتقاده بأن ساحرا آخر قد تدخل واعترض سبيله وأفسد نتيجته .

وينتهي فريزر الى القول : «واذن فوجه الشبه قوى جدا بين كل من فكرة السحر والعلم عن الكون ، ففي كلا الامرين يظن ان الحوادث تتتابع على نحو مطرد وأكيد تماما ، لانها تخضع لقوانين ثابتة يمكن التنبؤ بها وتحديدها بدقة » . (٤)

وقد ذهب « روجيه باستيد » في كتابه «مبادىء علم الاجتماع الديني» الى عرض هذه الافكار ومناقشتها والرد عليها ، ولكن رده في الحقيقة كان يميل احيانا الى تقرير بعض الاحكام التى يصدرها وليس الى تحليلها كما فعل « فريزر » في عرض فكرته ، على أن لمح وجه الشبه بين العلم والسحر ليس قولا مطلقا ، فهما من الفرية في عصر العلم بحيث لا يختلط أحدهما بالاخر كما يرى روجيه باستيد : « فالصفة الاولى للعلم هى روح النقد ، ولم يولد العلم الا منذ اليوم الذى استعاض فيه الباحثون بحكم العقل عن رأى السلف ، أما السحر فمقيد بالحدود التى رسمتها التقاليد ». (٥)

وثمة فروق أخرى ليس هنا مجال عرضها وفحصها ، من أخطرها أن السحر كان عقبة امام العلم وهذه الحقيقة ذاتها تدل على أن السحر أحس خطر العلم عليه، وهذا اعتراف بأنه البديل له ، ولكنه البديل الذى يحمل صفات الصحة والسلامة التى يعرى بها وجه الزيف والباطل في ذلك الشيء الذى حل العلم محله وشغل مكانه وهو السحر ، ومن هنا نلمح وجه الشبه في طبيعة السدور لكل منهما أو كما يقول فريزر نفسه « ان النظام الذى يعتمد عليه السحر ويحسب حسابه ليس الا امتدادا على اساس القياس الخاطىء للنظام الذى تتمثل به الافكار في عقولنا ، في حين أن النظام الذى يقرره العلم مبنى على الملاحظة الدقيقة الصابرة للظواهر نفسها » (٦)

وهذه العبارة تحدد وجه الشبه والمخالفة معا وتحدد المعنى المقصود في قول من يقول : « وهكذا فالسحر أخ هجين للعلم ». (٧)

لكن الذى يعنينا الآن الكشف عن اهم الاسباب النفسية للايمان بالسحر لدى الانسان ، وفي مقدمة هذه الاسباب اعتقاده بوجود قوى خفية كامنة في الاشياء أو وراءها وانه اذا تمكن من السيطرة عليها أو التعامل معها تحققت أغراضه التى يتطلع اليها ، وفي سبيل ذلك أخذ يخترع أو يتوهم الروابط بين الشيء وشبيهه أو بين الشيء واسمه، من ذلك مثلا أن العقار اذا شابه عضوا فانه كما توهموا يشفيه أو يقويه ، فأكل المخ والاذن والعين كل

(٣)،(٤)،(٥) : مبادىء علم الاجتماع الدينى : ص ٤٢ — ٤٤ .
(٦) البطل في الاساطير : ص ٧٩ .
(٧) مبادىء علم الاجتماع الدينى ص ٤٣ .

منها يفيد في شفاء أو تقوية نظيره عند الانسان ، وابتدع للاشياء التي لا يعرف لها نظيرا أو لا يسهل عليه العثور على نظيرها شكلا هندسيا .. ولعل ذلك يفسر لنا تعدد الاشكال الهندسية داخل الاحجبة والتمائم التي ما زال بعض العوام يلجأون اليها والتي تزخر باشكالها كتب الحروف في مخازن دار الكتب .

ولعل تراكم الاعتقاد بعناصر القوى الخفية هو الذي يجعل بعض الناس حتى اليوم يؤمن بخواص الارقام فيتفاءل مع الرقم (٧) ، او يتشاءم مع الرقم (١٣) ، بل ان بعض الكلمات عندما تذكر يفزع منها الانسان كاسماء الامراض الخطرة ، ويحرص البعض على ذكر كلمات بعينها اتقاء من الشرور المتعلقة بالكلمة المذكورة فيقول الناس مثلا : « الشر بره » او « عدوك » او « بعيد عنا وعن الحاضرين والسامعين » الخ ..

على ان فكرة البعث بعد الموت كما وضحت لدى قدماء المصريين (خاصة في اسطورة اوزوريس) كانت سببا في العناية بخلق مزيد من الطقوس ادى الى تقديم الاطعمة والملابس ومخاطبة الموتى بعمليات تكتسب صفات الطقوس السحرية في كثير من جوانبها (٨) .

واذن فجملة القول ان الخوف الداخلي من جهة والرغبة في الحصول على سبب ييسر الصعب ويحقق الامل، والاعتقاد بأن الاتصال بمن يذهب الى العالم الاخر عن طريق الموت أمر مرغوب فيه لان علاقتنا به لم تنقطع ، كل هذا دفع بالقوى النفسية والعاطفية للانسان ان تتعلق بالغيبيات وكانت وسيلتها في هذا التعلق السحر باعتباره اللغة التي آمكن التوصل اليها في مخاطبة هذه القوى الغيبية والتعامل معها ، وفي سبيل ذلك مكن الانسان لخديعة نفسه وهو جد راض وسعيد فابتدع التعاويذ ، والرقى ، والطلاسم ، والاحجبة باعتبارها الوسائل او الاركان التي يقوم عليها السحر ، وقد أحاط هذه الطقوس بقوانين صارمة من الغموض والاتباع ، فهي غامضة مع ادعاء الساحر فهمه لها ، وهي خاضعة لاساليب متوارثة بحيث يعتقد الساحر نفسه أن « أقل تعديل يغير من طبيعتها ويفقدها فاعليتها بل كان يودى ـ تبعا لعقائد بعض القبائل ـ بحياة من أخطأ في القائها، ولذا فان منطق التعاويذ لم يتغير على مر القرون بل ان بعضها في مصر كان ولايزال يلقى بلغة أجنبية (٩) .

● الاسطورة ينبوع المعرفة ●

هنا نتقدم خطوة واسعة عندما نتناول الاسطورة الراقية اذ يبدو بحق انالانسان محتاج دائما الى تقديم تفسيرات لشتى الظواهر التي يعجز عن ادراك حقيقتها ، وعندما تقدم الانسان على دربه المعرفة والرقي نسبيا ادرك انه لا يحيا بدون الخير ، ومن هنا كثرت لديه الاساطير التي تحببه في الخير وتنفره من الشر ، وهذا يدل حقيقة على أن الانسان يستطيع أن يعيش طويلا بدون العلم التجريبي المتقدم الذى نشاهد آثاره العملاقة اليوم ، ولكنه لا يستطيع ان يعيش بدون القيم والمثل والاحساسات النبيلة

---

(٨) طب وسحر : ص ٦ ـ ٩ . وعن دلالة اسطورة اوزيريس راجع : الحكاية الشعبية د. عبد الحميد يونس المكتبة الثقافية رقم « ٢٠٠ »: ص ٢١ ، ٢٨

(٩) طب وسحر : ص ١٢ ـ ١٣، وانظر الفصل الثاني من مبادىء علم الاجتماع الديني .

التى توفـــر له الخير فى علاقته بالاخرين ، ومن ثم نرى الانســان قد اعطى فى الاساطير تفســيرات انسانية ترضى فيه جوانب نفســية واخلاقية ...

فمثلا هناك اســطورة تقول ان الشمس والقمر كانا فى اول خلقهما او وجودهما متساويين فى الحجم ، ودرجة الحرارة ، وقوة الاضــاءة ، ولكن الطمع ســاور القمـر واراد ان يأخــذ لنفسه نصــيبا اكبر من نصيب الشمس ليتميز عليها ، فذهب القمر بحيلة ماكرة الى الخالق وقال له : انك خلقتنا متمــاثلين تماما والناس قد التبس عليهم التمييز بين الليل والنهار ، وهم لا يفرقون بين الشمس والقمر فلو جعلت احــدنا اكبر من الاخـــر لتميز بالحجم والضوء ودرجة الحرارة • والخالق يعلم بواطن الامور بحكمته ــ مادام خالقا ــ فعرف المكيدة التى يقصــد اليها القمر ، ومن ثم اجاب الخالق قائلا : حسن ، لا بأس من اجابتك الى مطلبك • سوف نبقى الشــمس ونجعلك انت اقل حجما وضــوءا وحـــرارة ، وبك يعرف الليل ، وبالشمس يعرف النهــار ، ومن ذلك الحين تمت ارادة الله واصبح القمر اصغر حجما واقل ضوءا وحرارة !•

ان الانسان القديم ــ فيما يبدو ــ اخذ يقــارن بين الشمس والقمــر ثم اراد ان يعطى تفسيرا لطبيعة الفرق بينهما ليزيح حيرته امــــام جهله بالحقيقة ، ولكن ذلك لم يتم منفصلا عن جانب انســــانى فلم يبرز فى الاســـطورة هو الجانب الاخلاقى حيث صورت الاسطورة ان المــــاق الحقود يفقد دائمـــا المكان الاول ، وان من حفر حفرة لاخيه وقع فيها •

ويحسن بنا ان نســتطرد هنا الى القول بان الانسان ما زال حتى اليوم حريصا على اعطاء هذه التفسيرات فى عصرنـــا حيث نجـــد الاديب يقفــز من الحقيقـــة الثابتـــة التى يجليهـــا العلـــم ويوضحهـــا الى تفسيرات انسانية ذات مغــزى اخلاقى نبيل ، ونماذج ذلك فى الاثار الادبية اجــل من ان تحصى ، ومن ارق نماذجه واوضحها قصــــيدة « مناجاة القمر » للشاعر الــدكتور احمد زكى ابو شادى التى مطلعها :

تطوف شوقا حيـــال الارض يا قمر
كعاشـــق دائب يلهو به القـــدر

فقد انتهى فيها الى تأكيد ان الارض عاشقة للقمر وكيف لا وقد كانا معا وحدة ذائبة فى المجموعة الشمسية ! ثم عقد الشــاعر قرابة عضــوية ذات مغزى انســـانى الطابع بين الانســـــان والقمر ، لان الانسان خلق من تراب الارض ، شقيقة القمر وحبيبته ، ومن ثم فالقرابة قائمــة بين الانسان والقمر وهذه القــرابة العضــوية تفسر شغف الانســـان بالقمر وحبه له • ومن ثم يقـــول الشاعر مخاطبا القمر :

فانما نحن اخــوان وتربتنا
فينا لها دائما من عطفنا اثر

وهكذا يبرز الشاعر لنا ان الحاجة الى التفسير الانسانى مازالت باقيــة ومستقل • واذا كانت الحــــاجة الانسانية فى الاسطورة الســـابقة قد جعلت الغاية الانســـانية المرتبطة بها غاية اخلاقية بسيطة ومبــاشرة فان شاعرنا كتطور فى هذه القصيدة غايته بما يتفق مع تطور الانســـان الفكرى والحضارى •

التعاويذ والرقى والطلاسم والأحجبة



لـ عبر الشاعر في هذه القصيدة عن حنينه الابدى للوحدة مع الوجود ، وهو موقف صوفي فلسفي، وهل هناك أعظم من احساس الانسان بانه جزء في وحدة الكون يؤثر فيه ويتأثر به شعوريا ونفسيا وليس ماديا فقط ؟ كيف به وقد أصبحت الكائنات الكبرى والصغرى احياءه وآقاره ، يتبادل معها نوازع الشوق وتجارب الهوى وعلائق المودة ؟! ان هذا الشعور الدافق بالوجدانيات الانسانية الودودة على هذا النحو يكفى لان يكون الانسان خيرا مع كل شيء في الحياة من حيوان ونبات وجماد ، ومن هنا يظل الانسان حريصا على تصحيح موقفه وسلوكه ازاء كل شيء ويبقى باحثا عن الحق حتى لا يتعاطف مع شيء على حساب اخر ، وفي سبيل ذلك لابد ان يفهم كل معنى من شتى وجوهه ، ومن كل هذه السبل سوف يكون الشخص الباحث عن الحق متحليا بكل فضيلة لان هدفه ينحصر في البحث عن الحق لذاته مرة ثم في حمل النفس على العمل به اخرى ، ولو قدر لقصيدة شعرية أن تهدينا الى مثل هذه الغايات الانسانية العليا فانها تكون قد اهدتنا الف نظرية علمية والف درس اخلاقى ، بل ان هذه او تلك لا تستطيع ان تمنحنا مثل هذا الوجود الجميل للانسان وذلك النفاذ الصادق الى الحقيقة الذى يسمو بنا الى هناك حيث نلتقي في اخر المسيرة مع شوق الصوفي ، وحكمة النبى ، وكلمة الحق المتوهجة في افئدة دعاته والشريدة أمام ظلم المادة وجبروت الأنانية .

ولعلنا لا ننسى حتى الان ان هذا الشعر العالى تطور رفيع لأهداف الاسطورة الراقية التى كانت تزرع الخير وتحارب الشر . (١٠)

● السير الشعبية وروح التمرد والانتصار ●

في السير الشعبية او الملاحم ما يوضح لنا حقيقة التعبير عن روح الانسان في صراعه من اجل تحقيق اماله وامانيه ، وليس من حقنا ان نسخر من احلام اليقظة والمفارقات البارزة في انماط الخيالات المجنحة والخرافات المكثفة والأساطير الخالدة (١١) لان الذى يجب ان يلفت نظرنا حقيقة هو البحث عن جوهر الانسان القابع خلف تلك الحكايات .

ان الانسان الذى يحس القهر والحرمان والعجز لابد ان يوازن بين واقعه الاليم واحلامه الضائعة ، والمخرج السهل الوحيد الذى يملكه

---

(١٠) القصيدة ـ ديوان الشفق الباكي : د. احمد زكي ابو شادى ،ولكاتب المقال دراسة خاصةعن القصيدة والاسطورة التى ذكرت بين يديها « لم تنشر بعد » .

(١١) الأدب المقارن د. محمد غنيمي هلال . ط ـ ٣ : ص ١٤٣ « الكلام عن الملحمة » .

التعاويذ والرقى والطلاسم والأحجبة

هو الهروب من هذا الواقع المهلك الى رحاب الخيال يستظل بظله ويستروح بما فيه من سعادة موهومة ... ولذلك وجد السواد الاعظم من الناس على اختلاف العصور والبيئات سعادة غامرة فى الاستماع الى تلك السير وقراءتها لانها تعزى النفوس وتهون عليها وتسعدها فى ظل الخيال الحالم . ولعل فى هذا نوعا من التطهير الذى يمدها بالقدرة على مواصلة السير والتحفز لنيل شىء مما ضاع منها . وفى هذا كما يقول الاستاذ فاروق خورشيد « محاولة لتفسير موقف الانسان من الحياة تفسيرا وجدانيا » (١٢) .

ان الانسان المقهور يريد أن يحقق ذاته بالانتصار على اى نحو مهما كان هينا وتافها ، وكذلك المحروم يريد أن يحقق ذاته بالثراء والمقدرة ، وقد أشبع القاص الشعبى فى اساطيره وملاحمه روح التمرد والتطلع لدى السواد الاعظم ، ولذا تعلق العامة بالبطل الذى يحقق الاحلام بينما هو فى الاصل رجل من عامة الناس ، ولكن لكى ينتصر هذا البطل على المستحيل لابد له من أسلحة ، فكان السحر وكانت الاساطير التى هى فى الحقيقة الصورة التعبيرية أو التمثيلية القولية والحركية للعمل السحرى كما يشير الى ذلك « فريزر » (١٣) .

وليس همنا البحث عن تاريخ الاسطورة او منطقها (١٤) ، ولكن عنايتنا موجهة الى الكشف عن أبرز الدلالات التى تكشف لنا ارتباط الانسان بالخوارق التى تحفل بها الاساطير وبالطقوس السحرية المتعددة من حيث انها تحقق له ما يريد ، وليس من حيث الشكل أو الاسلوب الذى اتبع ، فنحن لا نجد فى السير الشعبية حوارا أو جدلا يقوم حول نقد هذه الطريقة او تلك فى اجراءات السحر والشعوذة ، بل هذه الاجراءات نفسها ثابتة — فى الاعم الاغلب — وهى التى تلعب أخطر الادوار فى تطوير الاحداث الى غايتها التى تنتهى عادة بارضاء المشاعر والرغبات الحبيسة فى اللاوعى العام للجماعة التى اساسها الفرد . وليس هذا القول انتصارا لمذهب « فرويد » ولكنه افادة حقيقية من فكرته عن ارادة الشيئين المتعارضين وما ينجم عنها من آثار فى نقل الدافع النفسى عن موضوعه الاصلى الحقيقى الى موضوع ظاهرى . (١٥)

---

(١٢) اضواء على السيرة الشعبية للاستاذ فاروق خورشيد المكتبة الثقافية رقم ١٠١ : ص ١٠ .

(١٣) البطل فى الأساطير ص ٨٥ .

(١٤) البطل فى الأساطير .
اسطورة أوريست والملاحم العربية د. لويس عوض — دار الكاتب العربى .
الأسطورة والدراما للاستاذ سعد عبد العزيز ط ١٩٦٦ .
الأساطير فى بلاد ما وراء النهرين تأليف صمويل هنرى هوك ، وترجمة الأستاذ يوسف داود عبد القادر ، ط. وزارة الثقافة .
الأسطورة اليونانية للأب فؤاد جرجى بربارة . ط ٠ دمشق ١٩٦٦ .

(١٥) البطل فى الأساطير ص ٧٧ — ٧٨ .

لقد تحرك البطل فى انحاء السير الشعبية ليجرى فوق السحاب ؛ ويذهب الى اطراف الارض القصية فى غمضة عين وليحول الماء الى ذهب والتراب الى زمرد ويحول الانسان الى حيوان والعكس ، والمارد الجبار الى فار والعكس ، وانتصر على المردة والشياطين وهم قبائل عديدة ··· لابد للبطل فى انتصاراته هذه من اسلحة يحقق بها ما يريد • لم يكن لديه الصاروخ ليذهب الى القمر ، او القنبلة ليحطم جموع الجيوش الزاحفة ، فلتكن لديه قوى اخرى غيبية كامنة فى طقوس السحر والشعوذة ، فى التعاويذ ، فى الرقى ، فى الطلاسم ، فى الاحجبة، فهذه الاشياء اذن لبست هيئة القيمة فى دلالتها على امل الانسان ، انها تعبير غائم عن امله فى ان يملك من الوسائل والاسباب ما يقهر به المستحيل ويستعلى به فوق كل الصعاب يحقق احلامه المسرفة بايسر السبل وابسطها •

اذن هذه الاساليب السحرية والظواهر الايجابية التى تنجم عنها فى خيال القاص انما هى رموز للامانى والآمال القابعة فى اللاوعى العام أو القابعة فى الاعماق السحيقة لرغبات الانسان التى لم يكن يحسن رؤيتها أو تصورها أو التعبير عنها فى لغة علمية ومنطق فكرى •

ويبدو لى أنه يمكن القول بأن الانسان حاول فى مسيرته الطويلة ان يصل الى تحقيق ما كانت تحققه له الاحجبة والرقى والتعاويذ وسائر الطقوس السحرية ، لانه عندما تحول عن السحر الى العلم حقق ما كانت تتطلع اليه أحلامه الساذجة ، فطار فى الهواء وتجاوز أعلى طبقاته وصعد الى القمر وغاص فى أعماق البحار وحقق ابعاد الاساطير والخوارق بوسائله العلمية المعاصرة •

ترى هل من حق الذين يؤرخون للكلمة الادبية فى تاريخ الانسان القول بأن الانسان مدين فى تقدمه اليوم لذلك الامس السحيق ، حيث كانت الاحلام والامانى تتجسد فى الوسائل السحرية وتصبح قانونا فى الاسطورة ، ثم سيرة فى الملاحم او السير الشعبية ؟·· وهل من واجبنا فى ضوء هذا الاستنتاج أن نعترف بأن الحياة فى نهضتها العلمية المذهلة مدينة للحس الادبى والفكر الادبى لدى الانسان فى كل العصور، ذلك الحس الذى دفع آماله ورغائبه الى التطلع والى تحقيق ذاتها فى تلك الحكايات المغرقة فى السذاجة والتخيل الطليق ، والتى كانت الاسطورة وأساليب السحر اقوى وسائلها لتحقيق ما تريد من احلام ورغائب ؟

على سبيل المثال فان قصة « الحصان المسحور » فى الف ليلة وليلة (١٦) نرى فيها تجسيدا للآمال التى تحققت فى عصر العلم ، فقد دخل على الملك الجبار فى سالف الازمان ثلاثة من الحكماء مع اولهم طاووس من ذهب يرفرف بجناحيه ويؤذن بصوته كلما مضت ساعة من النهار • والطاووس على هذا النحو هو المعادل الموضوعى لكل الاجهزة الحاسبة للوقت فى عصرنا وأبسط صورها الساعة الدقاقة ؟!

ومع الثانى بوق من النحاس اذا وضع على باب مدينة أخرج صوتا مدويا كلما دخلها عدو من الاعداء وبذلك يمكن امساكه واتقاء شره ·· اليس ذلك ما توصلت اليه الاجهزة الالكترونية التى اصبحت شائعة فى

(١٦) الف ليلة وليلة ، ط • دار المعارف تقديم الاستاذين حسين جوهر ومحمود [illegible] • ج ٩ ص ١٤٧

المطارات والمواني وبعض المواقع الهامة التي تحتاج الى أساليب محكمة وفوق العادة في مسائل الحراسة والتفتيش ؟!

ومع الثالث فرس من العاج والابنوس وهذا الفرس ان ركبه انسان طار به في الجو وذهب به الى حيث يشاء ، لا يعجزه طول المسافة ولا يلحقه وهن أو كلال ... أليس ذلك تجسيدا حيا لمركبات الفضاء ؟!

ترى هل من حق الادب ان يعتز بأنه يمسك بقيادة الانسانية الى امالها وامانيها مهما كانت ممعنة في التخيل والغلو والمبالغة الى حد السفه والجنون ؟!

● وغاية أخرى للادب ●

اذا صح الادعاء بأن الادب قاد الانسانية الى واقعها المزدهر في العلوم والصناعات ، فان صراع الادب مع الحياة في تدعيم القيم والحقوق والحريات أقوى واظهر ، بل يمكن القول بأن صوت الادب خفت أو ضعف في المضمار الاول ، بينما قوى وعمق في المضمار الثاني الذي نتحدث عنه الان .

لقد حفلت السير الشعبية بتصوير البطولات التي تنتزع للانسان حقه الضائع وحرماته المهددة ، فمثلاسيرة عنترة بن شداد تعتبر « بحق أول صرخة فنية يطلقها الضمير الانساني في عمل أدبي كبير (٣٥٥٤ صفحة) ضد العبودية وضد التفرقة العنصرية »(١٧) التي مازالت تعاني ماسيها وويلاتها المجتمعات الامريكية الحديثة .

فعنترة جاهد ليضع المقياس الحق لشرف الانسان ورفعته ، وليوضح أنه ليس الحسب والنسب بل ما تملكه ذات الانسان من القدرة مع تحمل المسئولية والمشاركة في الحقوق والواجبات ، وبعد صراع خرافي انتزع عنترة لنفسه وللانسان في كل عصر ومكان مقياسا عادلا في تقييم الحرية الانسانية ، فليس الحسب والنسب وليس اللون هما مقياس الشرف والفضل ، وهما ثمن السيادة والحرية حتى لو كان صاحبهما مستنقعا لاحط الصفات واخسها ، بل المقياس الحق هو ما يملك الانسان في ذاته من صفات عليا وقيم نبيلة وقدرة على تحمل المسئولية مع التزام اخلاقي امام الجماعة وامام الفرد الحر نفسه ، وكما يقول الاستاذ فاروق خورشيد : « وتصبح سيرة عنترة ، بهذا أكبر وثيقة ادبية وأول صرخة فنية تدافع عن قضيتي الرق والتفرقة العنصرية ، وتضع حلا لهما مطالبة المجتمع الانساني باتاحة الفرص امام الصالحين من ابنائه ليقدموا جهدهم للخير العام دون النظر الى لون أو الى عوامل مفتعلة ترفع بعض الناس وتذل بعض الناس ، كما تؤكد للانسانية انها لن تستطيع أن تشرك ابناءها في المسئولية الا اذا اشركتهم جميعا في الحقوق » (١٨)

وفي سيرة الاميرة ذات الهمة يبرز المغزى اولا في الدفاع عن المرأة العربية التي تحافظ على عرضها حتى الموت والتي تدين بالوفاء المطلق لمن تحبه

التعاويذ والرقى والطلاسم والأحجبة

(١٧)،(١٨)،(١٩)،(٢٠) : اضواء على السيرة الشعبية . وانظر عن عنترة بن شداد « البطل في الاساطير » .

والتي ترتفع عندها حاسة الامومه لتغطي على جميع الحواس الاخرى بحيث نراها تذوب في كيان الابن محققة فيه كيانها ...

وثانيا في فكرة مساواة المرأة للرجل فيما يعتز به من صفات ، فهي مثله اهل للتصدى لكل الصفات العليا وحمل تبعاتها من الشجاعة والاقدام بحيث يمكنها ان تحتل مكان الصدارة في الحرب والقتال وقيادة الجيوش ، وهي جديرة ايضا بالارتفاع الى مصاف الاولياء الصالحين (١٩) .

ونجد غايات اجتماعية وانسانية كبرى في الظاهر بيبرس ، وعلى الزيبق ، وسيف بن دى يزن ، وقد عنى بالكشف عنها وابرازهاوتحليلها الاستاذ فاروق خورشيد (٢٠) .

ولكن البطل لا يصل الى غايته في كل هاتيك الادوار دون الاعتماد على قوى غيبية تلعب فيها الخوارق وانماط السحر مع اختلاف الدرجة واللون دورا غير قليل ، وذلك كله يعنى ان الانسان كان يحقق آماله الضائعة بالطرق الممكنة وليس كخيال الانسان مسعدا ومغنيا ومعينا .

وتعلق الدكتورة سهير القلماوى على موضوعات السحر في الف ليلة وليلة فتقول بعد عرض لانواعها واتجاهاتها : « وهكذا تقوم هذه الكنوز بدور تحقيق التعادل بين كفتي الميزان ، ويصبح الصعلوك الفقير ملكا يترضاه الملك القديم وحاشيته ، ولقد أراد القاص بهذا النوع من القصص أن يصور ابتسام الحظ المفاجيء في الحياة ، ولكنه أراد بالاكثار من هذا النوع التفنن في أن يعزى نفسه ونفوسسامعيه عن حالهم وأن يستخف في قرارة نفسه بما لم ينل (٢١) .

ترى هل من حق الفن الادبي أن يفخر بما حققه الانسان في مجالات العلوم باعتبار ان هذا الانتصار ابن شرعي للفكر الادبي ؟.. وهل من حق الادب أن يأسى لانه لم يستطع بعد أن يرسى دعائم العدل والحق والانصاف والحرية بين المجتمعات على شتى أنواعها وانما هو في هذا السبيل يخوض مسالك شاقة وعسيرة رغم كل ما أسفرت عنه الحياه من نظام دستورى وأوضاع قانونية تحمى الانسان ، وتسعده ورغمان الادب بذل في سبيل العدل الاجتماعي اضعاف أضعاف ما بذله في سبيل النهضة العلمية ..

واخيرا ، أليس من خير الانسان أن يعنى كثيرا بالبحث عن الدلالات في تراث الانسانية الادبي والفكرى ليصل في النهاية الى ادراك المدى الذى تحقق أوضاع منها ، وليحمل رسالته في وجوب تجاوزها والنهوض بها الى غايات تليق بالانسان الذى تسلح بالعلم وبالرسالات السماوية التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .

---

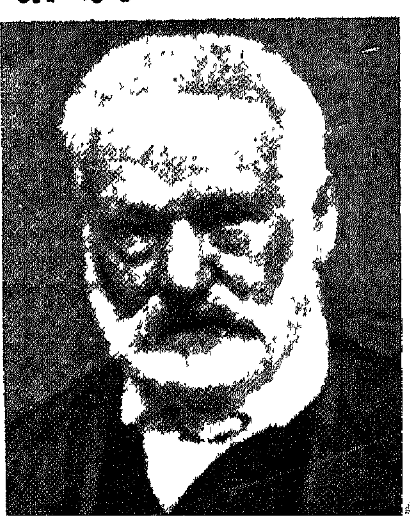
(٢١) ألف ليلة وليلة للدكتورة سهيرالقلماوى ط: دارالمعارف، ١٥٢

د. سامية أحمد أسعد

فيكتور هيجو يحضّر الأرواح

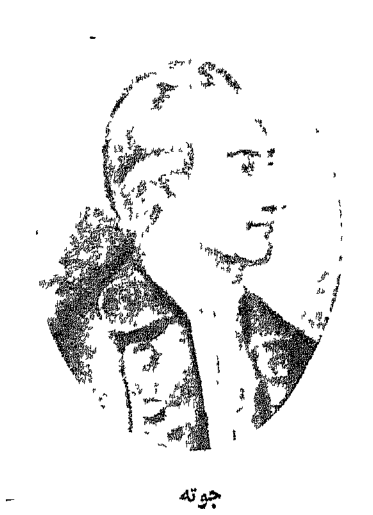
فيكتور هيجو الشاعر والكاتب الروائي والمسرحي والناقد، والعاشق، والمناضل السياسي، الخ ... معروف للقارئين في العالم اجمع .. فمن ذا الذي لا يعرف «احدب نوتردام» مثلا او «البؤساء» ؟ .. لكن، لعل المتخصصين وحدهم هم الذين يعرفون انه كان مولعا بتحضير الارواح عن طريق الموائد الدائرة

فيكتور هيجو



عندما نفي فيكتور هيجو الى جزيرة جرسيه، كان ينظم جلسات لتحضير الارواح احيانا ،واحيانا اخرى يحضرها فقط . ولقد نشر بعض محاضر هذه الجلسات فأثار كثيرا من الفضول . مما دفع الناقد «جوستاف سيمون» الى جمعها ونشرها في كتاب عام ١٩٢٣ ، أى بعد موت الشاعر بفترة ليست بالقصيرة ــ وكان أحد الذين حضروا هذه الجلسات قد قال انها يجب ان تنتقل في يوم ما الى الجمهور لانها تطرح أسئلة على كل الاذهان المهتمة بمعرفة الحقائق الخالدة

اما هيجو نفسه ، فعبر عن رأيه في هذه الجلسات ، عام ١٨٥٤ ، عندما قال انها « ستكون توراة المستقبل »، بالتأكيد لانها لن تنشر في حياتي او حياة الذين حضروها ، أولئك الذين



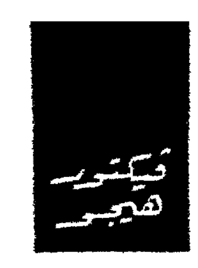
جوته

تحدثوا الى كائنات العالم الاخــــر الغامضة ..

ولقد ظلت محاضر هذه الجلســـات بالفعـــــل ما يقرب من ثلاثين عاما في حيازة الشاعر الــــذى لم يرد أن يربط نشرها بتاريخ معين ، بل فضل تركه للظروف المواتية . ولم ينشرها « ج . سيمون » بالفعل الا عندما بدأ الناس يهتمون بالظواهر النفسيةالتي لا تخضع للمعرفة العلمية ..ولو أن هيجو كان حيا عندما بدأهذا الاهتمام لما ظل بمناى عنه ، ولشجع أولئــك الذين يشتاقون الى معرفة خبـــايا المجهول ، لان تلك كانت رسالتهكشاعر ولما رأى أن من حقه أن يبقى فى الظلام وثائق قد تلقى شيئا من الضوء على عالم المجهول الغامض ، وهو الذى لام العلم على تراجعه أمام مالا يستطيع فهمه عندما قال : « خاف العلم من موضوع تحضير الارواح الغريب ، خاف من التنــــويم المغناطيسى ، ومن الرؤية عبر الحواجز .. لم يقم العلم بواجبه العلمى الذى يحتم عليه فحص كل شىء ، والقاء الضوء عليه، ونقده ، وتحقيقه .. »

وتشتمل محاضرهذه الجلسات التي حضرها اناس ينتمـــــون الى كافة الاتجاهات والديانات وجمعها اناس حسنو النية ، تشتمل على أبيات شعر جميلة ، وأراء فى كتاب القرن التاسع عشر ، ومشاهير الكتاب والفنانين فى العالم أجمع ، ومناقشات فى الادب والمسرح والشعر ، والدين ، الخ ..

كان فيكتور هيجو نفســــه أهم الشخصيات التى تحضر هذه الجلسات أو تديرها ، ذلك لانه كان مولعــــا بالعلم الى جانب أعمال أخــــرى كان يؤثرها على غيـــرها ... لقد كان شاعرا عظيما . وكان يمكن أن يصبح عالما مرموقا ، بفضل حدسه وقدرته على التنبؤ ، لو أن عمره قد طالأكثر مما طال ... لنذكر ، على سبيـــل المثال ، أنه تنبأ منذ عام ١٨٤٢ ، بنظرية الاشعاع . ومن يقرأ أعماله بامعان ، يدرك أن العالم الاخر قد شغله ، قبـــــل عام ١٨٤٣ بكثير . والاسماء التى أعطاها لبعض كتاباته دليل على ذلك ، مثال ذلك « الميل الى التأمل » (١٨٣٠) ، و « ما هى نهاية كل شىء ؟» (١٨٣٧) الخ ... وكثيرا ما عالج موضوع « العوالم المتعاقبة » ، ذلك الموضوع الذى أقلقه منذ أمد بعيـــــد . ويشتمل ديوانه « التأملات » على قصيدة بعنـــوان



« زحل » كتبها عام ١٨٣٩ ، وصور فيها « هذا الكوكب البغيض المنعزل » كوكب العقاب ، لكن هذا العقاب ليس

ابديا ، لان هذا الكوكب الملعون لن يحتفظ على الاشرار خلال الفترة التي

يريد لهم الله فيها العقاب ، وكان يرى أن الحياة الحقيقية تبدأ عند القبر اى مع الموت :

« وعندما يجعل القبر نفسه منا احياء

قد نذهب جميعا ذات يوم ، في الفضاء القرمزى

لنقرأ العمل اللانهائي ، والقصيدة الخالدة » .

لكم ود أن يلمس بضع صفحات من هذه القصيدة في حياته ! .. ومنذ

ماتت ابنته تحولت رغبته في النفاذ الى الاسرار الكامنة وراء القبر الى

رغبة ملحة آمرة ... وربط من ناحية اخرى ، بين موضوع السموات

الغامض ، والقضايا العلمية في عالمنا الارضى . ولنسق مثالا لذلك ، ما

قاله عام ١٨٥٥ عندما تنبأ باختراع الطائرة :

« انها نقل محرر طائر

انها القوة المتحالفة مع الانسان البراق ،

قوة ابدية ، تنتزع الطين من سلسلته الخالدة ،

انها المادة السعيدة ، العظيمة ،

ابدا شيء .

من العاصفة البشرية ، وتحلق عبر

دهشة السموات الهائلة التي انفتحت اخيرا ! » .

وفي المقدمة الفلسفية لرواية

« البؤساء » ، تلك المقدمة التي قال عنها هيجو انها تلخص فلسفته

الشخصية ، تناول كافة الموضوعات تكوين الارض ، حركة الكواكب ،

تاريخ النباتات ، تقدم العلم ، الخ ... وعاد الى موضوع الطائرة ، قائلا

جملة غريبة تعلن عن بناء الطائرات التي نعرفها اليوم : « قد يتمثل الحل

ايضا في محاكاة الطير » . ولم يكن احد يفكر انذاك في محاكاة الطير او

في جهاز ذى جناحين بل كان الاهتمام كله منصبا على المنطاد .

كان من الطبيعي اذن أن يهتم هيجو — نظرا لقدرته على التنبؤ — بكل الوسائل

التي قد تمكنه من اكتشاف سر ما بعد الموت أو معرفته . ولم يكن ليسعه ،

في الفترة التي اخذ الناس خلالها يهتمون بتحضير الارواح ، والتي

بدات خلالها الموائد الدائرة تدير الرءوس . لم يكن ليسعه أن يهرب

من التجارب التي كان يدعى اليها ... لقد راى ، بالطبع ، شيئا من

الغرابة في المائدة التي تلعب دور الوسيط ، راى فيها شيئا أغرب من

الحلم ، والرؤى ، والتنبؤ ، وكلها امور بعيدة عن عالم المحسوس ..

لذا كان يقف ، اثناء انعقاد الجلسات

الاولى موقف المتفرج الذى لا يكترث كثيرا بالامر ، ثم اخذ ينصت الى

ما يقال ، ثم اخذ يهتم بالتجارب ، ثم استهوته الظاهرة استهواء • وفى كل جلسة ، كان يزداد اهتماما بها ، ويكتب ما تمليه عليه المائدة • واخذ يسأل الموائد اسئلة تطول جدا ، احيانا ودفعه حب الاستطلاع والمعرفة الى التحدث الى كبار المفكرين ، والدخول فى مناقشات فلسفية ، بل وأدبيـة وتاريخية معهم • وبعد الجلسة ، كان يعمد أحيانا الى التعبير كتابة ، عن اختلافه فى الرأى مع « محدثه » ، وكان يهتم اهتمـامـا كبيرا ببعض الاكتشافات الغريبة التى تقـود الى سؤال المائدة عن فروض افترضها ، محاولا أن يعرف ما اذا كانت احلام شاعر فحسب أم لا ، وبالرغم من كل ذلك ، احتفظت أمور كثيرة بغموضها

تساءل الباحثون فى هذا الموضوع عن مدى تاثير فيكتور هيجـو على الموائد ومدى تأثيرها عليـه • قال بعضهم ان هيجو الف ، لاشعوريا ، الاسئلة والاجوبة ، وأن روح المائدة

جورج صاند



ليست ، بالتالى سوى روح الشاعر نفسه • لكن ألد اعداء تحضيـر الارواح لم يشكوا لحظة واحـدة فى سلامة نية الشاعر ، واستبعدوا فكرة خداعه للآخرين ، ولم يتحدثوا الا عن سذاجته ، وميله الى تصديق كل ما يقال ويرى •••

واكتشف آخرون ان هيجـو كان يناقش ، ويسأل ، ويرد ، لا شعوريا، عن طريق الوسيط ، وكثيرا ما كان يلعب دوره ابنه شارل هيجو• وساقوا دليلا على ذلك ، ان الشعر والنثر ـ أيا كانت الروح التى يعبران عنها ـ كانا يتفقان دائما والشكل والمفهوم الذى ألفهما الشاعر ، وقال آخرون أن شخصية هيجو كانت تخضـع ، اثناء انعقاد هذه الجلسات ، للازدواج وأن روح هيجـو كانت ترد على الاسئلة التى يطرحها هيجـو ، أو ترفض الرد عليها ، أو تنفى الحجج التى تسوقها ، أو تسخر منه •••

كل هذا بالشـكل والاسلوب اللذين اعتادهما الشاعر الا أن الشـكل والاسلوب كانا يظلان كما هما ، حتى عندما لا يحضر هيجو الجلسات •••

وقيل ان الجلسات كانت تعقد فى بيت هيجو ، اى فى مكان كانت الاشياء فيه مشبعة بوجوده ، بعبارة اخرى فى مكان شاعت فيه نفحات من روحه •

وبالتالى ، عكست الموائد شيئا من شخصية الشاعر •

ولو أن كبار المفكرين ، والفلاسفة والعلماء ، والكتـاب ، والفنانين بعثوا ، لقالوا لنا الكثير عما دار فى هذه الجلسات التى لم يغب عنها،

على سبيل المثال ، موليير ، وأسخيلوس ، وشكسبير ، وسرفنتس، وأفلاطون ، وجاليليو ..وكان يتدخل أحيانا في هذه الجلسات متحدثون لم يتوقع حضورهم الحاضرون. هذا ما حدث ، مثلا عندما سأل أحد الموجودين الروح ، فردت بقولها :

« أنا الراوية » ، أو « أنا المأساة »، أو « أنا الدراما » ، أو « أنا الموت »

لكن ، من ذا الذي جعل هيجو ، وأصدقاءه المنفيين في جزيرة جرسيه يستشيرون الموائد الدائرة ؟ انها مدام دى جرردان !... كانت امرأة مؤمنة تقية . وهذا ما يتضح لنا عندمانقرا الرسائل التي تبادلتها مع هيجو. كانت قد حضرت الى الجزيرة عام ١٨٥٣ ، ولم يكن بوسع هيجو أن يقاوم سحرها وسحر تفكيرها . كانت بمثابة رسول للموائد وكان هيجو ميالا بطبعه الى التعاطف مع الرسل . أو لم يكن هو أيضا رسولا في ميدان الشعر ؟

وفي الجزيرة ، التفت حول مدام دى جرردان مجموعة من الاصدقاء الراغبين في العلم والمعرفة . كانوا لا يرون أية غضاضة في التجربة ،بل كانوا ميالين الى الشك . ومما لا يقبل الجدل انه قيل لها أن مثل هذه الجلسات تحتاج الى الحياد على الاقل ان لم تحتج الى الايمان .

ذكرنا من بين الشخصيات التي كانت تحضر هذه الجلسات ، هيجو نفسه وابنه شارل ، ولنذكر أيضا ، زوجته التي كانت تؤمن بالله وبالروح الخالدة. كانت تود ، بلا شك ، أن تأتي اليها الموائد بايضاحات عن العالم الاخر. لكنها كانت تتمتع بذهن ايجابي عملي، وعندما كانت تلمس تناقضا في ردود الارواح ، كانت تبرزه . كما كانت تهتم بالمناقشات الفلسفية والجدل الادبي، الا انها كانت تسعى بصفة خاصة ، الى الاتصال بمن تحبهم، وتهتم بمعرفة ما يمكن أن يكون في العالم الاخر ، وما تصير اليه الروح بعد موتها ، والشكل الذي يتخذه الراحلون عن عالمنا الارضي ، وهكذا نرى أن مدام هيجو لم تكن تيسر للارواح مهمتها. ومن الصعب أن يقال انها كانت متواطئة مع الموائد ، لانها كانت لا تقنع بردودها الغامضة المبهمة ، والقارىء لمحاضر هذه الجلسات يدين لها بكثير من الايضاحات .

كان هيجو لا يحضر كل الجلسات لكنه كان أكثر المهتمين بها . كان مصرا على تجربة كل شيء للاتصال بالموتى . وعمل جاهدا على اكتشاف أسرار عالم اللامرئيات والمجهول . ولم يتخل أبدا عن فكرته تلك ، بل كان يجد فيها ضمانا لصدقه في البحث والتجربة ..

ونلاحظ أن الجلسات كانت تعقد في حجرة الصالون . وأن عدد الموائد







بلزاك   سرفانتيس

كان كبيرا ، نسبيا ، وفى البداية ، لـ
كن الامور مستقرة • كانت المائدة
تحرك ، بعنف أحيانا • وكانت تسال
ترد ردودا موجزة ، ومبهمة أحيانا
•• كانت الاسئلة تطول ، والاجوبة
تقصر ، بالتالى : « نعم » أو « لا »
كانت « النعم » و « اللا » تتتابعان
استمرار ••• لم يعرف الحاضرون ،
ى البداية كيف يديرون الموائد لكن ،
ا من أحد منهم استطاع أن ينكر أنها
تحرك ••• هكذا ثار الفضـــول •
وجد المتحدثون المجربون السبيل الى
ستبعاد الاجابة بنعم ولا ، وعرفوا
يف يدفعون الموائد الى الاجـــابة
اسهاب ، بل كيف يدفعونها الى الجدل
ادركوا أن المسالة مســـالة « تاثير
سحرى » ، يلعب فيها الوسيط الدور
لاعظم •

ولم يدركوا ، فى البـــداية ، أن
شارل هيجو مثل هذا التاثير •وتثبت
راسة مخطوطات هيجو ، بوضوح ،
وكتابة ،أن هذه الظـــاهرة كانت
حقيقية •

كان هيجو ، أو زوجته ، أو أحد
الحاضرين يمســـك بالقلم ، ويكتب
تباعا الحروف التى تمليها المائدة •
لكن الكاتب كان لا يفهم الكلمة الا عندما
تكتمل حروفها • وأحيانا ، كانت
الروح تملى كلمات يكتب بعضها تلو
البعض الاخر ، فيدرك الحاضرون بعد
سطرين أو ثلاثة ، أن هذه الكلمات
تكون ابياتا من الشعر •

وأيا كانت أهمية محاضر هـــذه
الجلسات وقيمتها ، فهى تهم فئات
مختلفة من القراء ، والشـــعراء ،
والادباء والعلماء ، وعلمـــاء الدين
والمؤرخين • كما أننا نقرأ فيها ، كما
قلنا ، أشعارا جميلة ، ومناقشـــات
أدبية ودينية ونقدا لاذعا ولمحات عن
الحياة فى المستقبل، وأحاديث صحفية
ـ اذا أردنا استعمال هذا المصطلح
الحديث مع أشهر الشخصيات • وقد
تجذب هذه المحاضر من يؤمن ومن لا
يؤمن على السواء •• لكن ، لا ينبغى
أيا كان الحال ،أن تروح ضـــحية
للنسيان •

كان هيجو من المعجبين بشكسبير
الذى كان له أعظم الاثر على صياغته
لنظرية الدراما الرومانسية ، ولا نبالغ
اذا قلنا ان شكسبير كان مثالا يحتذى
فى نظر الرومانسيين جميعا • ولقد
افرد له هيجو كتابا كاملا يحمل اسمه
وكان من الطبيعى أن يحضر روحه فى
جلسة عقدها وحضرها كل من ابنه
وزوجته ، وصديقهم شارل فاكرى •
وكان الحديث التالى :

« ـ اسمك ؟



ـ شكسبير .

هيجو ـ تعلم أنك في نظرنا ، واحداً من الكبار الاربعة او الخمسة الذين خلقوا الانسانية ... هلا قلت لنا ما الذي حدث في القبر ، واي لقاء تم في ٢٣ ابريل ١٦١٦ ؟

ـ قبلت كورني الناشيء .

هيجو ـ لم أقل ١٦٠٦ ، بل قلت ١٦١٦ ركز ، وابحث عما اذا شكسبير قد قابل في ذلك اليوم ممثلا عظيما آخر للفكر الانساني .

ـ لا ...

هيجو ـ لكن ، في ٢٣ ابريل ١٦١٦ مات سرفنتس في نفس اليوم ، وفي نفس الساعة تقريبا التي مت أنت فيها ألم تقابله ؟ هل تريد الرد ؟

ـ لا ...

هيجو ـ تقول أنك لا تريد الرد ، أم انك لم تقابله ؟

ـ لم يمت سرفنتس في الساعة التي مت فيها .

هيجو ـ لكنه مات في نفس اليوم . ولابد انكما تقابلتما ، حيث ذهبتما . كان على عبقريين مثلكما ان يتحادثا ماذا قال كل منكما للآخر ؟

ـ عندما يموت الانسان ، يأخذ فجأة عمر كل الموتى ، اي الخلود .

لا يوجد في السموات اول القادمين او آخرهم . للجميع ثانية حياة ، وتدوم هذه الثانية مائة مليون عام وسؤال الميت منذ متى جئت الى السماء ؟ يتساوى مع سؤال الشعاع: منذ متى جئت الى الشمس ؟ فالروح اخت لا تكبرها أخت،ما اللا نهائية بالاخت الكبرى للحب . وما الخلود بالاخت الكبرى للعبقرية .. كل الافكار العظيمة توائم ... وللفكرة أبناء ، لا أحفاد . اذا سألت الشعاع عن عمره ، قال لك : سل البرق . واذا سألت البرق ، قال لك : سل الشعاع .. رأيت سرفنتس مرة واحدة، وحياني وحدثني على النحو الاتي : ما رأيك في دون كيخوته ، أيها الشاعر ؟ وكان موليير مارا فقال : هو دون جوان . وقلت انا : هو هاملت .فدون كيخوتة يشك ، ودون جوان يشك ، وهاملت يشك ، ودون كيخوته يبحث، وهاملت يبحث ، ودون جوان يبحث ودون كيخوتة يبكي ، ودون جوان يضحك ، وهاملت يبتسم . وثلاثتهم يتعذبون في الجمجمة التي يمسك بها هاملت ، دمعتك يا سرفنتس وضحكتك يا موليير . يكشر هيكل الشك تحت جمال مؤلفات ثلاثتنا . نحن نصنع الدراما ، والله ينهيها ، انظروا الى السماء ، انها الفصل الاخير . وحجر القبر الذي يفتح على ارواحنا ،ستار يرفع ويرينا الخاتمة . صفق يا سرفنتس ! صفق يا موليير !.. صفق يا شكسبير ! .. لقد أضاء الله خشبة المسرح ! » .

وعندما سأل هيجو روح شكسبير



موليير

عما اذا كان الكاتب العظيم يواصل الخلق والابداع بعد مغادرته الارض، ردت بنص شاعرى جميل جاء فيه :

« يخلق البشر الحياة الانسانية، ويخلق الخالق الالهى حياة السموات الخلق ، ذاك هو العمل • التأمل ، ذاك هو الثواب ••• فى الارض ، يخلق كبار المفكرين للوعظ ، اما فى السماء ، فكل شيء اخلاقى ، كل شيء طيب ، كل شيء عادل ، كل شيء جميل ولو آننى خلقت شيئا لما اكتملت السماء •• محكوم على بالاعجاب ، انا المعجب به• انا ضائع وسط حشد المتفرجين ، انا الخالق •• كنـــا جالسين متأملين ، أمام نور الخالد •• النور يضيئنا ويبهرنا • والحياة تسحرنا وتميض عنا • ولو انكسألتنى عما اذا كنت آخلق شيئا • لا ، أنا انظر ، لا ، أنا أسمع ••• لا ، أنا ذرة متنبهة أمام الفضاء الواسع •• •• أنا انسان عظيم يتنـــازل امام اللانهائية ، عدت ملاكا • وهبطت ، صغيرا من مكان التمثال ، وألقيت بهالتي •• أنا حلم يقظته الموت • كان الفـــن لى ، آما الآن فالحب لى • ترك ابداعى جناحيه فى القبر ••• والحب فن قد بعث ، ويسهر الفن عند باب السماء ، ولا يدخل منه الا الحب وحده • والسعادة « مكة » خالدة يحج اليها الفن ، وملاكها الحب » ••

وفى جلسة أخرى ، دار حديث بين هيجو والموت • سأل الاول الثاني عما اذا كانت هناك وسيلة أخرى – غير ماكشفت عنه الموائد – لمعرفة المستقبل المجهول وايضاحه ، فالتنبؤ وحده لا يكفى ، ولا بد من شيء اخر لكي يصدق الناس ما قاله الشاعر بعد مماته•••

ورد الموت بأبيات يصـــعب على من يقرؤها الا أن يلمس فيها روح هيجو واسلوبه ،وتحمل بصماته الى اقصى حد :

ادرس الفلك الانسانى • فهو ملآن ببذور الحقائق التى تسـتطيع أن تستخلص منها حقائق اكبر على سبيل المثال ، يمكنك أن تسمى بالتحـديد مجموعة الكواكب فى العوالم السعيدة والعوالم الشقية ، حسب بعـدها عن الشمس • فقانون السماء متفق مع قانون الارض • وهذا القانون انما هو اخلاص الكبير للصـغير ، والطيب للشقى ، والثرى للفقير ، والجميل للقبيح ، والعادل للظالم ، والفـرح للحزين ، والمبتسم لمن يقطر دما ••• انه فداء الظلمة بالنور ، والفجـر بالليل ، انه حجر الصليب الشهيد يخلص حجرالمشنقة الاثم ، انه الزرع العطـــــر يخلص الــــزرع الســام ، انه الحيوان القوى ، انه الحيوان الرقيق يخلصان الحيـوان

المفترس ، انه الانسان البرىء يخلص الانســــان المجرم • انه روح نالت الثواب تخلص روحا منيت بالعقاب

••• انه الفكرة الحقة تخلص الفكرة الزائفة • انه ، أخيرا ، النجــم اللامع يخلص النجم الباكي ، وتضحية الجنة الهائلة من أجل الجحيم »•

ومن أطرف الجلســـات تلك التي حضر هيجو فيها روح « النقـــد » وراح يسألها عن رأيها في بلزاك ، وجورج صاند ، وفولتير ، والفريد دي موســـيه ، والنقد والنقـــاد •

وفيما يلي ، جزء من الحديث الذي دار بين « النقد » والحاضرين :

« ــ من هناك ؟

ــ النقد •

ــ الديك شيء تقوله لنا ؟

ــ نعم •

ــ تكلم •••

ــ سل !

ــ ما رأيك في بلزاك ؟

ــ انه مفتاح القلب الى ان جاء ، كان قلب الانســـان مغلقا • وكان باب روح الانسان مواربا • كان كل من شكسبير ، وهيجو ، وجـــوته ، قد فتحوا باب الحب على مصراعيه لكن الآلام الصـــغيرة لهذا الألم العظيم ظلت مجهولة • وكان بلزاك المتحضر النبيـــل الذى أحصى أنواع اليأس • لقد ألقى على روح المرأة الغربية المخدوعة نظرة عميقة جنونة

••• والتقط المنديل المبتل بالدمع ، والشريط الذابل ، وشـــم الزهـــرة الساقطة من باقة الحفلة الراقصة • وقبل القفـــــاز المعطر الذى هجره الحب ، ولم يهجره العطر •• ورأى كل شيء فيما لا يرى ، ووجد كـــل شيء في المجهول ، وسمى كل شيء في اللامعروف •••

ــ حدثني عن جورج صاند

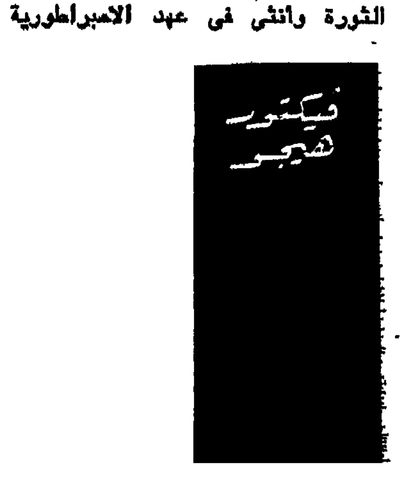
ــ امرأة ساقطة غدت المرأة

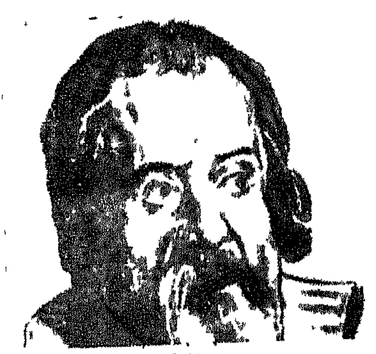
ــ ساقطة بأى معنى ؟

ــ في نظر المرأة التى تفديها •

ــ لنتحدث بمزيد من الوضوح •

ــ النساء يحتقرن ج • صـــــاند وهى التى رفعتهن من سقطتهن • منذ بدء الخليقة ، كانت الامتيازات للرجل ، والاهمـــال للمرأة • كان العرش للرجل ، كان الملك ، والسيد، والمبدع ، والشـــاعر ، وكثيرا ما فضل التغني بالرجل ••• كانت المرأة امة عند الاقدمين ، وخـــادمة في العصر الوســـيط ، ومحظيته في العهـــد البائد ، ومواطنة أثنـــاء الثورة وأنثى في عهد الامبراطورية





جاليليو

•• ولسوف تكون المرأة فى المستقبل • وجورج صاند رسول مستقبل النساء ، لم ير بلزاك فى المرأة الا الجانب الانسانى • اما صاند فرأت فيها الجانب الاجتماعى ايضا ••• »

وفى النهاية ، نورد هذا النص الذى يتحدث روح المسيح فيه عن الثورة الفرنسية •

ـ هيجو ـ من هناك ؟

ـ روح المسيح •••

هيجو ـ سلام عليك ••• استمر فى حديثك عن الاشياء العظيمة التى تقولها لنا •

ـ قال دين الغالليين : آمنوا ! • وقالت المسيحية : آمنوا •• وجعلت كلماتهما اجيالا كاملة تجثو على ركبتيها • لكن ، ذات يوم ، دخل المعبد فجأة مجهول يلبس اسمالا بالية ، مشعث الشعر ، حافى القدمين ، أسود اليدين ، عالى الجبين ، ممسكا بعصا المستقبل الهائلة • وكان الشحاذ هو « العقل البشرى » • كان المسافر فى الغسق، كان السائر فى الظلام ، كان المتنزه فى الهوة السحيقة ، كان راعى الاسود ، كان راعى النمور ، ••• كان الكائن الذى لا يؤمن ، لكنه يفكر ، كان محدث الله العظيم ••• كان من يفتش الحقيقة ، السائل المتمرد ، المحارب ، كان المجروح على متراس السماء المشع الدامى ، حامل جرح الشك واثر جرح الفكرة كانتله اسماءعدة ، جبينه اسمه موسى ، ونظرته سقراط ، وفمه لوثر ، وجراحه جاليليو ، وآثار جراحه فولتير • كان آتيا من الصحارى الاربعة : صحراء اسخيلوس ، وصحراء دانتى ، وصحراء شكسبير ، وصحراء موليير ••• كان يأتى حركات تخيف الاعمدة الرخامية ، ويهز قطعا من السحاب عندما يفتح معطفه • كان المتشرد الهادر الملتهب • كان اشبه بالصاعقة فى طريقها الى سدوم • دخل وقال : « قفوا ايها الجاثون ! •• أنتم تضيعون وقتكم هنا • سيروا يا من توقفتم ! •• لقد بدأ العالم الى العمل يا من ترتاحون ! •• الايمان نوم ، والحرية يقظة • أنا الفجر انهضى يا قبور ، انهضوا يا عبيد ! استيقظوا يا بكم ••• الى الامام ايتها الاشباح ! أسرعن ايتها التماثيل ، ونهضت الجماهير المحتشدة ، وقعد الفرسان السود ، وسمع صهيل ١٧٨٩ ، وقفز الشعب قفزة واحدة ، وامتطت المثل العليا صهوة الجواد •• »

ختاما ، ما الذى يمكن ان تقوله روح هيجو عن عالمنا الحاضر وما فيه لو إن أحدا فكر فى تحضيرها ؟ ؟

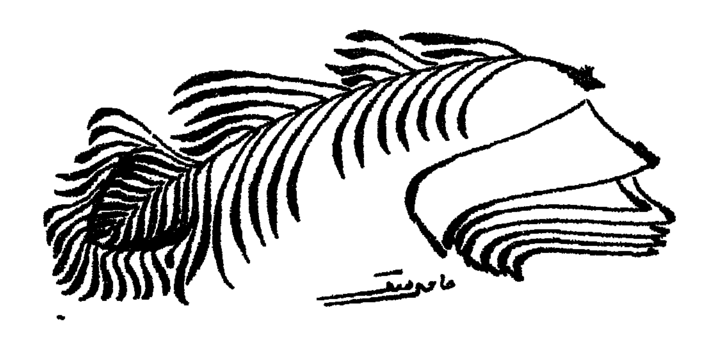
حافظ
جميل

مع النديم

واصل منادمة القفار   وحذار من صحو حذار
دع قصة الاحياء والموتي   فمالك من خيار
ما الكاس كيف نعتها   سبب البقاء او البوار
كل امرىء وكتابه   ما في المنية من فرار
هات التي لولا محبتها   لما طال انتظاري
هات التي ان فارقتني   ساعة نفد اصطباري
هات التي لم اقترف   اثما بها لولا اضطراري

هات التي اطفى بها   مافي حشاي من الاوار
هات التي توحى الى   الشعر فطرى ابتكار
هات التي يحلو بها   ان عربدت خلع العذار
بيضاء تسطع في دجي   ليل بطلعتها منار
ما زادها كر السنين   سوى شباب وازهار
لو شمها ماش تيقن   انه بجوار داري
ولظل طيلة يومه   سكران من مس انجدار
ولرب مفتخر على   بشربها جرح افتخاري

عب الزجاجة وارتمى   وصحا يئن من الخمار
قلت المزيد اذا رغبت   فلم يزد غير اعتذار
يا ويحه من مدع   محروم علم واختبار
واني يسابق مدمنا   في الليل يشرب والنهار
لم يدر اني قد تركت   ابا نواس في غباري
او لم يكن للشيب في   راسي قليل من وقار
ابرئت من اهلي اذا   لم يشربها ونهرت جاري
وصرخت في وجه الالي   لا يشربون على غراري



ووقفت أسقي العابرين … من الكبار الى الصغار
وجعلت بيتي حانة … لتؤول بعد الى مزار
يا كأس مدى للفقير … جميع أسباب اليسار
لا شيء اعجب من هواه … يصد فيك عن النضار
مني عليه برحمة … لا بائع فيها وشاري
يكفيك خالي بيته … من خاتم او من سوار
ولطالما افترش العراء … بلا وساد أو دثار
يا كأس يا ذات الحباب … الدر يهزأ بالعذارى
من لف جسمك بالسنى … وجلاك بيضاء الازار
يفديك وردي المعتق … وعند مي انجلنار
او لم تكوني نطفة … عذراء من نطف الثمار
من احرقوك وعذبوك … وحولوك الى شرار
يا كأس ارهقني الضنى … نصبا فكوني في جواري
ما بال من عاداك يمعن … في احتقارك واحتقاري
هيهات يفلح ان يرى … وجهي حبالك في ازورار
للصالحين شعائر … ليست بافضل من شعاري
هم يعبدون الله من … خوف وذل وانكسار
وانا الذي اهواه لا … عن جنة وعذاب نار
اهواه يرحم من يتوب … اليه من زلل العثار
اهواه في سري واعلن … عن هواه في جهاري
ان كنت لم انبس بغير … شهادتي يوم احتضاري
لا شيء اطلب غير عفو … الله في دار القرار
والله غفار الذنوب … كبير حول واقتدار

● بغداد ●   ● حافظ جميل ●

د. سوزان إسكندر

يشير لفظ « السحر » فى الايطالية .. حسب ماورثته عن اللغتين اللاتينية واليونانية — أى الحركات والاشارات والالفاظ التي يقوم بها شخص يعتقد فى قوته الخارقة للطبيعة . ويقال له ساحر ، او عراف . او عالم فى العلوم الخفية ، بغية التوصل الى نتائج عجيبة لا يمكن الحصول عليها بالاساليب العادية ..

فالسحر هو « فن » الأئتناس والتحكم فى القوى الخفية للطبيعة والحياة ، واذ يتسع نطاقه نجد انه يشمل ايضا علم التنجيم بعالمه الاعتقادى القديم والمبنى على تجارب وتاثير الكواكب والاجرام السماوية على العالم الارضى ..

وينقسم السحر الى نوعين : سحر ابيض، كما يسميه الايطاليون ، ويهدف الى مقاصد طيبة ، وسحر اسود ويهدف الى اغراض شريرة تتعاون فى تحقيقها الارواح والجن ..

كان الاعتقاد فى السحر يشكل عنصرا هاما فى حياة أهل اليونان والرومان فقد كان الرومان يؤمنون بتاثير القمر على الاشياء ، فكانوا يعتقدون أن الازدياد المضطرد للهلال النامى يؤثر بدوره على الزرع والعكس بالعكس تتضح هذه العقيدة لدى الكتاب ممن اهتموا بأمور الزراعة مثلا ، حيث أن كل العمليات التى تختص بالنمو وبانتشار البذور يجب أن يقوم بها الفلاح مع الهلال الجديد ، وكان ثمة جاذبية وتعاطفا غامضين يربطان بين دور الكوكب ونبت الزرع ، وعلى الفلاح ان يطوع تأثيرها لصالح زرعه باختياره التوقيت المناسب . كما وأن عمليات قطع



دانتى : عاقب السحرة فى كتاباته



الشجر وتهذيب أفرعه ، كان يلزم القيام بها أيام خسوف القمر ، وكان حالة القمر في غيابه تؤثر ما يماثلها من أثر على الزراعة .

كان الكهنة الرومانيون القدماء يخفون الاسم الحقيقي لروما ، خشية أن يستخدمه أعداؤها في محاولة الاضرار بها وبقوتها وسطوتها .

من أنواع السحر أيضا ما يقوم به الساحر من أعمال على جزء مكون لشيء ما ، فيسري مفعول السحر على الجسم كله ، باعتبار أن ما يسري على جزء يسري على الكل ، فقصاصات الشعر أو الاظافر أو نقاط الدم المأخوذة مثلا من شخص ، يستفيد بها المشعوذ في اتمام عمله السحري ، وكل ما يؤديه تجاهها من تصرفات كالحرق أو الاغراق أو التمزيق أو غيرها من الاعمال الضارة أو النافعة أيضا ، تعود بنفس التأثير على الانسان صاحب هذه الاجزاء الصغيرة ، وأخذ بهذه « العقيدة » كان الرومانيون يخفون أية أشياء تخصهم فلا تقع في أيد قد تؤذيهم .

حتى الاسم نفسه يعتبر جزءا مكونا للانسان ، بل هو روح الانسان ذاتها ، فمن يتعرف على الاسم يتمكن من ندائه ومناجاته متى شاء ، وعلى ضوء هذا المفهوم يمكن تفسير الظاهرة المنتشرة بين البدائيين والتي تتمثل في فزعهم من الافصاح عن أسمائهم الحقيقية ، وتخفيهم وراء أسماء مستعارة أو صفات متعارف عليها ، من هنا قدم لنا التراث الخرافي اللاتيني القديم سلسلة من الاقاصيص تعتمد في حلول مشاكلها على معرفة الاسماء ، ومن هنا أيضا

وتتعدد مفاهيم وأساليب وأغراض السحر عند الرومان ، كما هو الحال عند غالبية الشعوب المعاصرة لهم ، ورغم التطورات الحضارية التي طرأت على الاراضي الرومانية ، وتتوسطها شبه الجزيرة الايطالية ، ورغم انتشار الاديان السماوية وعملها على تغيير هذه المفاهيم ، الا أنها لم تمح كلية من أذهان بعض الناس ، بل تركت أحيانا آثارها في الفولكلور .

واذا ما تصفحنا مؤلفات الادب الايطالي نجد موضوع السحر مطروقا لدى الكثيرين ، فقد التقى «دانتي» (١٢٦٥ - ١٣٢١) في كوميديته الالهيه مثلا بمشاهير العرافين والمنجمين ، فيصور لقاءه معهم في الجحيم ، حيث يتلقون عقوبتهم الابدية . ففي الانشودة العشرين من « الجحيم » يراهم دانتي من فوق :
« في القاع الغارق في بكاء مرير »**
« أناسا ، تسير صامتة ، دامعة »*
وحيث أنهم قد غالوا - بلا شك - في حياتهم فمدوا أبصارهم الى الامام لكيما يتكشفوا عالم الغيب والمستقبل كتب عليهم - والى الابد - بدوران رءوسهم ووجوههم الى الخلف !

من بين العرافين والمنجمين والسحرة ، الذين قابلهم دانتي ورأى عذابهم ، نذكر « تيريزيا »



عراف «طيبة» المشهور ، الذى كان

يمارس « فنه وعلمه » على جيـــوش الاغريق أيام حرب الملوك الســـبعة ضد طيبة ، يقول «دانتي» اذ يراه : « رأيت تيريزيا ، الذى غير شكله ،

فتحول من ذكر الى أنثى ، وبـــــدل أعضاء جسمه كلهـا ، ثم عـــــاد

ليضرب ، بعصــــــاه الحـــيتين المتعانقتين ، فعاد الى هيئة الذكر »·

« ودانتي » اذ يستعرض المعذبين في هذا الوادى الحزين يقول ايضا « رأيت اللعينات ، ممن تركن الابرة،

والمغزل وكن عرافات ، والشر فعلن بالعشب والصور »·

وواضح ان « دانتي » كان ينكر

في هذا المجال الســـــاحرات ممن كن يستخدمن في فنهن عصــــارات

الاعشاب أو الصور المصــنوعة من الشمع أو من أى مادة أخرى ويقمن بتحطيمها أو حرقها بغية الحـــاق أشخاص معينين بضرر مماثل ·

ويكفينا الاستشهاد بالفــاظ هذه

الأبيات الشعرية الثلاث ، فهي تعبير صادق عن احساس شاعر العصــور

الوسطى تجاه عالم السحر والسحرة،

ولم لا ؟·· أن دانتي ، رغم علـــو

مكانته بين كبار الشعراء ، لا يخلـو قط من نبرات المعلم المصلح ، الذى

يرى للانسانية دعائم الســـعادة ·

والسعادة ، التي يتمناها « دانتي » مبنية على السير في الطريق القويم والبعد عن كل ما يتنافى ويتعـارض

مع التعاليم الدينية والمثل العليـــا والمبادىء الاخلاقية ·

واذا ما كان « دانتي » قد عاقب السحرة في كتاباته ، فهناك كتـــاب

اخرون عالجوا هذا الموضــــــــوع باسلوبهم المخالف تماما لهذا المفهوم·

فاذا ما قرأنا « أورلاندو الثـائر » لكاتبه « لودوفيكـــــو اريوستو »

(١٤٧٤ ــ ١٥٣٣) وهو من أعظم الشعراء ممن كتبوا بروح النهضـــة الايطالية ، في اوج نضجها الادبي ، نلاحظ الفارق الشديد بين الاسلوبين·

وديوان الشعر المعنــون « أورلاندو الثائر » ينتمي ــ من حيث الاسم ــ

الى « أشعار البطولة »، التي ترنمت ببطولات فرسان الامبراطور شـــارل الاكبر ، والتي أصبحت تقليدا أتبعه شعراء القصــور واستمر حتى القرن السادس عشر ·

نسج شـــــاعرنا وقائع روايته

الخيالية على أرض معـــارك قامت بالقرب من باريس ، وطعمها بالعديد

من المصادفات ، والاحداث ، لكيما يتغنى ــ ضمن ما تغنى ــ ببطولات ومغــــامرات « برادامـانتي » (المحـاربة البطلة) « وروجيرو »

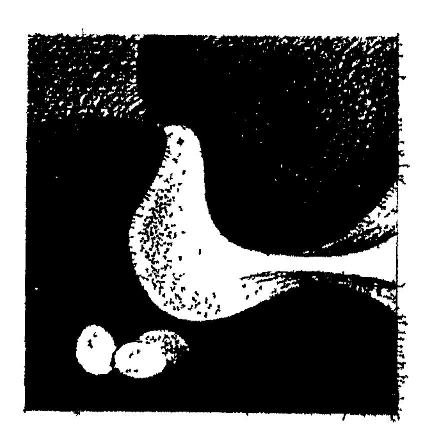
(الفارس القوى) اللذين انجبا عاهل « عائلة امراء ايســـــت » حاكمة فيرارا ·

يرتكز الحدث الرئيسي للرواية على

عذاب اورلاندو (اشهر فرسان شارل الاكبر) من أجل هـــروب انجيليكا

ويحثه عنها بلا جدوى . تهـرب انجيليكـا من قصر الإمبراطـور شـارل الاكبـر حتى لا تقيم حبيسة به ، وحتى لا تحـول يفتنتها دون الانتصارات التى يجب ان يحققها اقوى واشجع فرسـان الامبراطور وهما اورلاندو وابن عمه « رينالـدو » اذ وقع كلاهما فى حبائل حبها .

تتعرض انجيليكـا فى تجوالها الى سيل من المغامرات تنتهى بزواجهـا من « ميدورو » المحارب العـربى . يتحقق اورلاندو من الامر فيشـور ويصل به الامر الى الجنون ، فيترك البلاد الى اسبانيا يطوف بها هائما، فاقد الادراك ، ويظل على هذا الحال حتى يعمل « اسـتولفو » على استرجاع عقله،فقد سعى «استولفو» الى القمر على متن « حصان طائر » وهناك وجد عقـول الادميين المفقودة فى اقتفاء اثار اوهام واهية ، يعثر بينها على عقل اورلاندو فيحملـه له عند رجوعه على الارض !..



من الواضح ان من يقرأ صفحات « اورلاندو الثائر » يعيش فى أجواء من الخيال العجيب ، اراد الشاعـر ان يحيط بها شخصـيات ومواقف كتابه ، فما يلبث شـاعرنا حينما يبدأ أبيات قصصه حتى يحدثنا عن نبعين سحريين فيقول متحـدثا عن مفعول مشروبيهمـا على مشـاعر « انجيليـكا » و رينالدو « يحب رينالدوا انجيليكا » اكثر من الحياة، بينما تكرهه وكانه ابشع من العقاب ويستطرد مفسرا فيقول :

« وكان ان كرهها اكثر من الموت ،
واحبتـه هى : والان تغير كل شىء
حركهما نبعان ،
فى مائهما مختلفين .
كلاهما فى « اردينا » وليسا ببعيدين
يملا احدهما القلب بالحب ،
ومنه يحرم من يشرب من الاخر ،
فيصير ثلجا ما استعر وما اضطرم
تذوق رينالدو من الاول،فحطمه الهوى!
نهلت انجيليكا من الاخر،تكرهه،وتنشد الهرب »

وهكذا يتحول الحب « والكـراهية » الى نبعين ، الى مشروبين سحريين . وهكذا ينظر شاعرنا الى الانسـان وكانه لعبة تلهو « الطبيعة » بها .

واثناء هروب انجيليكـا من مكان الى اخـر تتقابل مع فرسـان ومحاربين من كلا الجيشين المتحاربين فتفتن بجمالها من يـراها ، ومن بين من قابلتهن وشـغفوا بها نرى « ساكريبانتى » وكانت تبادله مشاعره حتى اثار ذلك غيرة رينـالدو .

ويتبارزان حتى يغلب احدهما الاخر فيحظى بانجيليكا ، الا ان انجيليكا تخشى غلبة رينالدو فتستانف الهروب حتى تلتقى بشيخ يعيش متوحدا ...

تساله عن ثغر على البحر ، حتى تتمكن من الخروج من فرنسا وتحاشي رينالدو فتنهي ماسـاتها ، الا ان الشيخ ، ويتضح انه عراف ، يهدىء من روعها ثم يخرج من جيبه « كتابا سحريا » ... واذ يكمل الشاعر

حديثه يقول : « اخرج كتابا واظهر قدرة عظيمة ، فما ان قرا اولى صفحاته ، حتى انطلقت من الكتاب روح لها هيئة الخادم »· يمثل هذا

الخادم امام سيده لينفذ اوامره ، فيرسله الشيخ ليقف بين المتحاربين

ويحول دون تماديهما فى المبارزة ، فيفهمهما آن اورلاندو قد اصطحب

الفتاه الى باريس · يقول لهما

الخادم : « اود ان يشرح لى احدكما ما جدوىان يقتلاحدكما صاحبه »··

وبدون عراك او مصارعة صحب اورلاندو الي باريس من من اجلها تتصارعان » ·

وكان ان اضطرب الفارسان لهذا

النبا واقسم رينالدو ان يثار من اورلاندو فترك العراك فى الحال

وامتطى جواده وانطلق مندفعا كالسهم نحو باريس ·

قد تتداخل الاحداث مع بعضها





فيتوقف شاعرنا حينا عن تتبع خطوات هذه الشخصيات لكي يستانف

هذا الامر فيما بعد ، فهو مضطر لاخلاء المجال الى ابطال اخرين فرضت مغامرتهم المثيرة اهميتها · هكذا نلتقى بـ « روجيرو » و

« برادامانتى » فى صراعهما وبطولاتهما ، ويحتل « روجيرو » فى

شعر « اريوستو » مكانة واهمية لا تقل ابدا عن اهمية اورلاندو الذى

سمى شاعرنا مؤلفه باسمه · واذا ما كان قد علا شان اورلاندو الفارس

البطل الذى حقق انتصارات عظيمة فى جيوش الامبراطور شارل الاكبر

حتى اصبح اسمه اسطورة يتغنى بها فى كل مكان حتى فى ايطاليا ، فربما

أراد شاعرنا الايطالي تخليد اسم سادة مدينته « عائلة ايست »وكان

يعمل سفيرا من قبل هذه العائلة الحاكمة لمدينة فيرارا ·

فلا عجب اذا ما نسب اريوستو اجمل الصفات واقوى البطولات حتى الى « برادامانتى » الجميلة الرقيقة

التى تتقمص ثوب الرجال وهى تناضل بجوار حبيبها « روجيرو »·

ويحكى لنا اريوستو فى كتابه ان الساحر « اتلانت » اذ يخشى على حياة روجيرو فى ميدان القتال

واذ يعمل على الابقاء على هذا البطل العظيم الشأن يخفيه داخل قصر

مسحور ··· تفتقده برادامانتى ولا تكف عن البحث عنه بين الفرسان ·

ويحدث ان تلتقى بامرأة قال عنها شاعرنا « امرأة روحانية » ·

تلتقى اذن ، برادامانتى بالساحرة « ميليسا » التى تقودها نحو قصر

« اتلانت » وترشدها للطريقة التى تمكنها من اخراج روجيرو من سجنه، فتشرح لها كيف تستطيع الحصول على الخاتم السحرى « الذى يخفى

الاجسام عن الابصار وهو فى حوزة « برونيلو » حارس القصر ،

وبعد ان تعطى ميليسا لبرادامانتى اوصاف الحارس حتى تتعرف عليه

بسهولة ، تناشدها ان تباغته لتقتله قبل ان يخفى نفسه عن عينيها تقول لها : « ··· فسيختفى عن

عينيك ، فور ان يضع الخاتم المقدس فى فمه »·

هكذا يستطرد شاعرنا فى شعره القصصى يصور لنا مشاهد روايته

العديدة المتشابكة · واذا ما تبعناه لتهنا هنا وهناك ، وعلى مدى الرواية كلها ، بمواقف ومشاهد واحاديث يحركها عالم السحر ، سواء كان هذا ممثلا فى الاشخاص التى تدين به وتمارسه كالسحرة

والعرافين والمنجمين والمشعوذين مثل « اتلانت » ، « التشينا « ميليسا » او فى الوسائل التى تطوعه « كالكتاب السحرى » « والخاتم السحرى » « والنبع

السحرى » حتى الاماكن نفسها لم تخل من السحر فهو يتحدث عن جزيرة التشينا السحرية ، وقصر اتلانت الساحر ، ويتناول هذه الاماكن بوصف دقيق مشوق ·

ونجد انفسنا محاطين بجو خيالى عجيب مسحور ، واذا بشاعرنا يبتسم مازحا وراء ابيات شعره ··

لقد تناول موضوعا طالما تناولته اقلام الكتاب والشعراء وهو موضوع الفروسية وما كان لها من شأن فى

العصور الوسطى ، الا انه يتناوله بشىء من المزاح اللطيف ، لم يعد شاعرنا — وهو المعبر عن العقلية

الايطالية فى عصر النهضة — يهتم بمثل فقدت وزنها من زمن ، وغدا ذكرها وكأنه خرافة ·· كالسحر تماما ·

ربما اراد شاعرنا — كما سبق وذكرنا — تخليد ذكر حكام مدينته ، فاختار هذا الاطار ، وربما ترفع شاعرنا عن ان يقحم نفسه فى لون

من الوان شعر الحماسة التقليدى الذى قد لا يتناسب وطبيعته فهو قبل كل شىء شاعر غنائى· لذا ارتفع فى شعره بالأحداث والشخصيات

التاريخية وتخطى بها الحدود الجغرافية والزمنية ، فما يرويه ويتغنى به فى قصيدة لا يختص بفرسان الامبراطور شارل الاكبر أو

بعاهلى عائلة « ايست » فحسب ، ولكنه يشد انتباه اى قارىء ، يقرؤه فيفهمه ويتأثر له ، فهو نابع من عمق انسانى لا يؤمن الا

بالانسان ، فلا ريب اذن لو اختلطت الاحداث التاريخية بالخرافة ،

والواقع بالخيال لدى شاعرنا « اريوستو » الذى كان يؤمن بالفن كوسيلة وغاية ·

عاطف مصطفى

السحر في عالمنا المعاصر

حوار مع لفيف من العلماء والمفكرين



الشيخ احمد حسن الباقورى

حول السحر والسحرة تدور مناقشات كثيرة . تختلف الآراء وتتباين ، وتثور المناقشات وتحتدم ، وعلى الرغم من ورود السحر فى القرآن غير مرة ، فان الفقهاء يدعون بوجه عام الى تركه ، لما فيه من اساءة الى الناس وتعريض حياتهم الى المخاطر نتيجة الوهم الذى يصيبهم لوقوعهم تحت تأثير أنواعه المتعددة .. الدجل ، والشعوذة ، « والعمل » ، والاحجبة والرقى .

وفى هذا اللقاء يتحدث لفيف من علمائنا ومفكرينا حول السحر فى عصرنا الحديث ودلائل وجوده علميا ، لنضع الامور فى نصابها الصحيح ، ولتتسم حياتنا بالعلمية دون ان نوغل فى الخيال ، ونجرى وراء الاوهام .

موجود يقينا ولكن !

يقول فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى : أما ان السحر موجود حقيقة ويقينا فهذا ما لا يستطيع احد أن ينقضه ، فالنصوص الواردة فى الدين الاسلامى أو غير الاسلامى تعترف به ، وتؤكده ، وتنهى عنه ، وتحذر منه ، ويروى لنا القرآن رواية المؤرخ والمحذر والمنذر صورا من السحر عند قدماء المصريين فى سياق رواية لمعجزة موسى فى ابطال سحر سحرة فرعون .

وثمة فى القرآن سورة صغيرة هى سورة « الفلق » تستعيذ بالله من شر ما خلق ، ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد .. اى الساحرات ينفثن فى العقد سموم التعاويذ المجهولة ويبغين بها الشر المستطير .

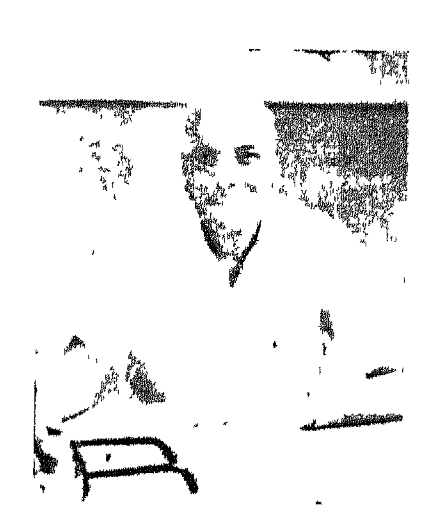
فالذى ينكر السحر يتصدى لمعاندة القرآن بلا حجة ، ولست أرى فى العلم الحديث ما يمنع من قبول هذا ، اذا لاحظنا حقيقة يقرها الواقع ولا يشك فيها احد ، وهى أن بعض البلاد تكتشف فيها احجار منقوش عليها نقوش غامضة معينة ، وما دام هذا الحجر مدفونا فى منطقته التى هو فيها تحت الارض وبحالته التى هو عليها فلا يدخل هذا البلد عقرب ، حتى اذا وقع الحجر او كسر ، امتلأت البلد بالعقارب ، وهذه واقعة رايتها فى بلدى فلا اكذبها ، الا اذا كذبت نفسى ، وهى موجودة فى صعيد مصر فى مدائن حول البلينا كما أخبرنى بذلك الاستاذ الدكتور محمد قناوى استاذ اللغة العربية فى الجامعة الاسلامية فى المدينة المنورة الآن .

فاذا ثبت هذا ، وهو عندى ثابت. فبماذا أعلل عدم دخول العقرب اذا كان فيه حجر، ودخول العقارب اذا خلا البلد من هذا الطلسم ؟

فاذا انت قبلت هذا حياك الله ولابد من قبوله مع عدم وجود أمر مادى ملموس فيه فلن يسعك أن تنكر السحر ، وقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من الشرور وفى ذروتها السحر والحسد ، وكان يعوذ الحسن والحسين وكل من يتقدم اليه من أبناء المسلمين والمسلمات .

وفرق بين السحر والتبرك أو التفاؤل أو التطير ، ثم فرق بينه وبين التعاويذ والتمائم وايات القرآن التى يحتفظ بها بعض الناس على سبيل البركة ... على أن الاحتفاظ بالقرآن كله أو ايات منه ان لم يكن على سبيل الوجه ء الله

د. سعيد عبده



السحر في عالمنا المعاصر

والاستفادة منه وتلاوته ، فهذا مالا فائدة فيه ، فالقرآن انزل ليقرأ لا ليستخدم تمائم واحجبة .

ثم يبقى بعد ذلك موقف العلم من السحر ، والعلم يرتكز على المادة ، والدين يعتمد على تغلغله في الروح ، ومنهج العلم غير منهج الروح ، فالروح لا تنقلب الى مادة ، كما أن المادة لا تنقلب الى روح . وهذا هو السبب في ان هناك فارقا بين منهجين ، والواقع أن كلا منهما يمثل شارعا او دربا قائما بذاته ، فالسائر في احدهما لا يمكن ان يسير في نفس اللحظة او المكان في الاخر .

فالعلم الذي وصل بالصواريخ الى القمر قائم على أمور مادية ملموسة ومدروسة ، أما السحر فانه موصول بمعان روحية ، فمن الظلم أن تكلف المعاني الروحية ما كلفته المعاني المادية . ومهما يكن من أمر الايمان المطلق بالاسلام ، يتضمن الايمان بكل ما نص عليه القرآن ومنه السحر ، وان كان السحر مكروها ، بل ان الساحر واجب قتله شرعا لأن الساحر يفسد عقول الناس ويقتحم حياتهم وينكد عيشتهم .

السحرة كانوا يحرقون !

والدكتور مهدي عبده لا يؤمن لا بالسحر ولا بالسحرة ، والاشياء المنسوبة الى السحر والسحرة هي دعايات يقوم بها أشخاص لانفسهم ويقع في الايمان بها أشخاص جهلة أو متجاهلون ، أو مرضى . ولعل في هذا الايمان ما يستطيعون استقلاله كل فيما يهمه . فالمريض مثلا من ايمانه بالسحر ، ومن تصوره لساحر ما يستطيع أن يفيده ، قد يجد فائدة فعلية في هذا الايمان ، وهذه هي الطريقة التي كانت سائدة في عهد مصر الفراعنة حيث كان الاطباء هم الكهان ، وكان هؤلاء الكهان يهيئون المريض للعلاج عادة بشيء من السحر أو من التراتيل والصلوات ، وبشيء من التمائم والتعاويذ ثم يصنعون له مع ذلك الدواء الذي يرونه حسب معارفهم في ذلك الوقت .

وكانت السكينة التي تغرسها هذه الطرق كلها في نفس المريض تؤدي وظيفة هامة فعلا في الشفاء ، شأنها في ذلك شأن ما يستطيع الطبيب الآن أن يمهد به نفس مريضه لعلاجه الحديث بالكلمة الطيبة والوجه المشرق ، والامل الذي يبدو من كل كلمة يقولها أو تعبير يظهر على وجهه .

اما عن الجهلة فاغراؤهم بالسحر ميسور تماما ، فانهم سريعو التصديق بكل ما يخرج عن دائرة معارفهم ، وما الزار في الوقت الحاضر الا صورة من صور هذا الجهل الذي استطاع أن يستعبد اتباعه واشياعه ويجعلهم فرائس سهلة في ايدي مجموعة من الدجالين والمشعوذين ...

ولعل امر السحر من حيث المرض ومن حيث الجهل شيء يمكن تفسيره . انما الذي لا يمكن تفسيره بحال من الاحوال هو امر العلماء المتجاهلين الذين يبغون استثارة الناس بما يقولون او يكتبون في

هذا الشأن مستترين به الانتباه او التعظيم او الاعجاب والتقدير ، أو المخالفة للنواميس العامة بقصد الشهرة عن هذا الطريق .

واعتقد ان السحر الذى ذكر فى القرآن كان له هدف آخر غير الاهداف التى نفهم بها السحر فى الوقت الحاضر ، ولعل ذلك السحر كان يتبنى على قوة الشخصية ، وشيء مما يمكن ان نسميه بالتنويم المغناطيسى الذى يستطيع بقوة هذه الشخصية ان يجعل من هم اضعف منه يرون ما يراه .

وفى قصص القرآن الكريم آيات كثيرة تشير الى السحر بالنسبة للانبياء ، والواقع انه بالنسبه للنبوة فان الاعجاز الذى يصدر عن الانبياء والخوارق التى يمكن ان تتم على ايديهم فهذا امر تختص به النبوة دون سواها .

والعلماء والاطباء القدامى الذين كتبوا تاريخ العلم والطب لم يبد من اى منهم ايمان بما تحدثوا عنه فى هذا الصدد . واذا كان السحر قد اتخذ فى القرون الوسطى ، قرون الجهل والكلمة طابعا معترفا به من مجتمعات هذا الزمان، فاننا لا ننسى على الاطلاق أن االسحرة

كانوا يحرقون ، وكان يمثل بهم شر تمثيل ، وليس هذا مما يدعو الى اى اطمئنان لما كان يروى عنهم من معجزات لا يمكن أن تتفق مع العقل ولا مع الناموس العام .

العلم اقوى من السحر

يقول الدكتور مصطفى محمود حول مدى تصديق الجوانب التنفيذية فى المشاهد السحرية التى يراها : اننى لا استطيع ان افتى فى هذا الموضوع برأى قاطع ، لانه يحدث أن أرى أمامى حروقا من السحر . ولا أستطيع أن أجزم بصدقها ، ومن الجائزاننى مخدوع بخفه يد الساحر أو بمسائل غيبية لا أستطيع أن أراها مثل الذين يقومون بتحضير الجن وتسخيرها وتفسيرها ومن أين اتى بهذا الجزم فيما أراه كائنا وحقيقة ...

قد يجيء ساحر ويأخذ منى ورقة مالية قدرها عشرة جنيهات ويحرقها ثم يعيدها مرة ثانية فهل هذا صحيح أو استبدلت بأخرى بطريقة خفية ، وماأحرق فى الحقيقة هو الورقة ذات العشرة جنيهات .. فخدع هؤلاء كثيرة ومتشعبة .

وان الذين يزعمون بتحضير الجن يعترفون فى النهاية صراحة بأن ما يحرق اثناء الجلسة يكون مواد مستبدلة وليست هى الورقة الصحيحة .

والمسألة كلها عماء فى عماء ، وأنا ارى أمامى خوارق ، ولكن هل الخوارق لها أصل فى الحقيقة أم هى خدع ؟.. اننى لا أستطيع أن أجزم بهذا .

وهذا القول لايعنىأننى أطعنفىوجود الجن أو الغيب أو السحر ، فالسحر نفسه حقيقة وردتفى القرآن الكريم، لكن أساليب السحر وهو علم قديم اندثر ، وأكثر الذين يدعونه مشعوذين .

العلم نفسه اندثرت أصوله والذى يعرفه قلة نادرة قد تصل واحد فى المليون ، وهذه القلة القليلة كانت تعيش فى بابل ، اما الكثرةالموجودة الان فهم مدعون ومشعوذون ، ولا

اشجع احدا بالجرى وراء السحر والسحرة . فنحن فى عصر العلم اعطانا وسائل اقوى بكثير من

السحر • فالعلم اعطانا الصاروخ الذى نصل به إلى القمر ، فأى سحر من الممكن أن يوصلنا الى أقصى مسافة ممكنة •

ولا اعتراف ابدا بأن هناك سحرا الى جانب ما اعطانا الله من علم ، فلا يصح أن نشجعه ابدا ، والله سبحانه وتعالى يقول : « لا تقفوا ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا »•

ومعنى هذا ان نؤمن بالواقع البين المحسوس ولا نجرى وراء الغيب ، وانا لا اطعن فى الغيب « الملائكة والجن » فهى حقائق ثابتة ، لكن الله نصحنا ان نسير وراء المعلوم ونترك المجهول ونستثير حواسنا المتعددة التى وهبها الله لنا « السمع والبصر والفؤاد »•

وحتى على فرضان بعض السحرة صادق فيما يفعل فيجب الا نؤمن بهذا لاننا نملك الوسائل الاقوى •• ومادام الله قد اعطاها لنا « العلم ومستحدثاته » فيجب ان نؤمن بالواقع ونبتعد عن الغيبيات •••

دجالون لابتزاز المال !

يقول الدكتور رءوف عبيد : ان هناك اشخاصا كثيرين يؤمنون بالسحر والسحرة ، ومنهم علماء ولا تخلو بعض المراجع العلمية من اشارات عن ظواهر غريبة يعجز عن تعليلها العلم المادى ، وهذه الظواهر سجلها كثيرون من الرحالة فى بلاد اواسط افريقيا وفى الهند ايضا ، خصوصا عند فقراء الهيمالايا وتثبتوا من حدوثها مثل سير بعض الاشخاص على النار دون ان تلحقهم بأى اذى ، وقد شاهدت فيما مضى « حاويا » معروفا كان يعيش بمدينة الاقصر يدعى موسى الحاوى كان يأمر العقرب بالحركة فتتحرك او بالوقوف فتقف ، وقد كتب عنه عدد من السائحين العلماء فيما كتبوه عن زيارتهم للاقصر •

واذكر ايضا ان المرحوم حبيب جاماتى عندما زار الهند منذ حوالى ثلاثين او اربعين عاما سجل ظاهرة وقوف الحبل العادى منتصبا الى اعلى كالنخلة تحت تأثيربعض فقراء الهنود وتسلق احد الصبية الصغار هذا الحبل كما يتسلق الناس نخلة بالضبط ولكى ينفى خداع الحواس التقط عدة صور لهذه الظاهرة ونشرها فيما اذكر مع وصف دقيق فى احدى المجلات المصرية •

فهناك ظواهر كثيرة يعجز العلم المادى عن تعليلها ولا يمكن رفضها متى ثبتت بالادلة المثابرة الناقدة •••

ولكننى اضيف حقيقة هامة فى موضوع السحر حتى لا يضطرب فى عقول الناس ••• فالسحر مستقل تماما عن موضوع الظواهر الروحية ، وصلته بها كصلته بعلم النفس او الاجتماع او بأى علم اخر من العلوم الانسانية لدرجة ان جميع المراجع الروحية خالية من الحديث عن السحر ، ولكن هذا لا ينفى ان الظواهر الروحية بدورها غير



د. مصطفى محمود



د. رءوف عبيد

مألوفة وان كانت مستقلة تماما فى مصدرها وفى تأصيلها وفى تحليلها وفى آثارها عن ظواهر السحر أن وجدت والقول ان وجدت لأن الظواهر الروحية لم يعد مشكوكا فيها واصبحت محل دراسات جادة فى جميع الهيئات العلمية فى الخارج تحت اوصاف شتى مثل « البارا سيكولوجى » وما وراء الروح وعلم الروح . اما ظواهر السحر فهى لا تزال محل نفى واثبات ، ولا تزال محتاجة الى دراسة كافية لكى نثبت او ننفى وجودها بطريقة حاسمة ونهائية . ومع العلم بأن العلم الحقيقى لا يصح أن يهرب من دراسة اية ظاهرة غريبة قد يمر بها الان الظواهر الغريبة مهما بلغت تفاهتها اذا كانت صادقة وبعيدة عن الشعوذة او الخرافة قد تكشف عن حقائق خطيرة تمس المعطيات السائدة فى دوائر العلوم المادية وما وراء المادية .

ومما استرعى انتباهى وانا اقرأ مئات المراجع الاجنبية عن الظواهر غير المألوفة .. اننى لم أجد اشارة واحدة لشىء اسمه « العمل » أو الكتابة أو الحجب بالمعنى الشائع فى بلادنا ، ومما لا ريب فيه أن هناك فى مصر دجالون كثيرون يشعوذون على السذج والبسطاء ويبتزون اموالهم باسم عمل «حجاب» أو «كتابة» أو ما أشبه ، وللاسف الشديد فهذا الموضوع يجد فى بلادنا رواجا غريبا ، وتصديقا شائعا ، ولكنى لا أعتقد أنه يستند الى اى اساس من الواقع وأن الموضوع كله عبارة عن ابتزاز لاموال الضحايا ، وقد انتشر الاعتقاد فى « العمل » فى بلادنا لعوامل كثيرة منها انتشار الجهل والسذاجة والخرافة ، ومنها للاسف العظيم انتشار الاحقاد ، وعدم بلوغ الاخلاق الى المستوى المطلوب فى كثير من الحالات ، ولا ريب أن كل أفعال عمل الحجب والتمائم وما أشبه تخضع لاحكام قانون العقوبات بوصفها من صور الاحتيال المعاقب عليه ولا ريب أن كل مجتمع راق علميا وخلقيا ينبغى أن يدين مثل هذه الامور والا يسمح لها بالانتشار ، وكم لها من ضحايا .

وقد يعتقد الناس أن بعض صور « العمل » أو السحر تنتج أثرا فعالا عند الشخص المقصود بهذا العمل .. وردى على هؤلاء :

لتعزيز الايمان بالله تعالى وبالاعتقاد الديني في انقى صوره ، وايضا في تأييد النشء في اسلوب الفلسفة الوضعية للوصول الى حقائق الوجود وفك بعض الغازه واسراره وكل هذا مستقل تماما عن دعاوى السحر وما يرتبط به من امور .

لنفرض جدلا ان « عملا » عمل مثلا لكي يمرض الشخص المقصود ، ومرض فعلا هذا الشخص المقصود ، فكيف نثبت وجود رابطة السببية او ارتباط العلة بالمعلول بين الامرين . ان كل الناس عرضة للمرض ، وكل شخص لا بد ان يمر بأدوار متعاقبة من الصحة والمرض فلا يوجد دليل علمي مقبول على ان هذا « العمل » هو العلة الحقيقية للمرض ، فمحتمل اذن ان يكون الامر محض مصادفة بل محض مصادفات وعندما تتحقق بالفعل يذهب الناس في تأويلها مذاهب شتى قد يخدم بعضها للاسف العظيم انتشار الخرافة والشعوذة .

واحب ان اؤكد مرة اخرى ان موضوع الروح والدراسات الروحية التي جرت والتي تجري الآن مستقلة كل الاستقلال عن موضوع السحر ويعنيني ان اؤكد هذا بوجه خاص لان موضوع الدراسات الروحية لا يزال محوطا بسوء الفهم عند بعض المثقفين حتى الآن . فالظواهر الروحية ليست اكثر من ظواهر نفسية كان يهرب فيما مضى علم النفس القديم من تحقيقها ، ولما خضعت للتحقيق اقتنع بها صفوة العلماء والفلاسفة في الغرب ووجدوا فيها ضالتهم المنشودة لاثبات روحانية الانسان والكون وبوجه خاص لاثبات دوام الحياة بعد الموت وخلود الروح الانسانية ووجود نواميس خلقية طبيعية ، ووجود اسانيد لا حصر لها

الجن .. ورؤية غير المنظور !

ويضيف الدكتور مصطفى الديواني قائلا : ان الحديث عن السحر يشدني الى عالم الارواح والى أسطورة الجن والجان ، والجان هو أبو الجن، كما ان آدم أبو البشر ، وليس ادل على وجود الجن من تكرار ذكره في القرآن الكريم ، ولنقرأ سويا الايتين ٢٦ ، ٢٧ من سورة الحجر اذ يقول سبحانه وتعالى: « ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون ، والجان خلقناه من قبل من نار السموم » اي انه سبحانه وتعالى خلق الجان «اي أبو الجن » قبل آدم عليه السلام « وهو أبو البشر » ثم انظر الى الايتين ١٤ ، ١٥ من سورة الرحمن « خلق الانسان من صلصال كالفخار ، وخلق الجان من مارج من نار . فبأي آلاء ربكما تكذبان » ثم اقرأ الايتين ١ ، ٢، من سورة الجن ، والايات ٢٩ ، ٣٠، ٣٢ من سورة الاحقاف ، والاية ٣٩ من سورة النمل التي تقول« قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك » .

والجن عالم من العوالم المستورة مكلفون كالبشر باتباع الرسل ومنهم المؤمنون ومنهم الكافرون . الم تركيف يأمر الله رسوله في سورة الجن : «قل أوحي الي انه استمع نفر من الجن» اي قل يا محمد للناس انك أخبرت بالوحي من الله تعالى اي ان محمدا

اسرار هذا الكون وما وراءه مهما أوتي من العلم الا ان يصدق أو لا يصدق ٠

السحر عند العرب القدامى

ويحدثنا الدكتور أحمد كمال زكى عن وجود السحر فيقول : السحر كما يقرر العلامة فريزر صاحب الغصن الذهبي مرحلة حضارية لابد من تقديرها وأساسها علم لم يكن يملكه الا جماعة خاصة ، والاصل الحقيقي لنشأة هذا العلم ضاع في ضباب الازمنة الموغلة في القدم ، ولكن يمكن الاعتماد على بعض القصص الخرافية التي يؤازرها أصحاب « علم الانسان » أو الانثروبولوجيا ، ويرونها تنتمي الى تلك الطائفة الضخمة من الاساطير التي صيغت كي تفسر احدى الشعائر الدينية المخصصة للتسلط على ظواهر الطبيعة ٠

وقديما صور الحيوان على جدران الكهوف لامتلاكه كي يقضي عليه ، وبمقدار ما تضمن هذا النقش من قوى سحرية صار للكتابة القدرة على التأثير في كل الكائنات ٠ وكان شرط الاحتفاظ بمهابة الملك القديم أن يكون الملك ساحرا ٠ كاهنا ٠ وقامت الواجبات الكهنوتية على علم خفى لا يعرفه سوى الملك ، وهذا العلم هو السحر ٠

وحين نقول ان الملوك القدماء كانوا كهنة وفي الوقت نفسه كانوا على علم بأسرار السحر ، فاننا لا نستثنى العرب الاولين ، وعرفت الجزيرة العربية أكثر من مركز توارثه ملوك كهان وحكموا شعوبهم على أساس الجمع بين السلطتين الزمنية والروحية وقاموا بواسطة سحرهم باستمطار السماء ، واخماد النيران أو اشعالها ، وشفاء المرضى ، وتنبأوا ، ومنهم من



د. مصطفى الديواني

صلى الله عليه وسلم نفسه لم يرهم وهم يتناسلون ويطعمون ، ولهم القدرة على الخروج من صورتهم الى صور أخرى ، والشياطين منهم يوسوسون للناس والبشر ويستطيعون أن يدخلوا جسم الانسان ويجروا منه مجرى الدم وينفردوا بالسيطرة على تصرفاته ، ويهبوه القدرة على رؤية غير المنظور ، بجانب قدرات أخرى ٠

ولقد صادفت في حياتي اشخاصا يعدون على الاصابع لديهم القدرة على الاتصال بهذا العالم الشاسع وهم الذين يقال عنهم انهم قد آخوا الجن ومن خلال ذلك يقومون بأعمال تثير الدهشة ولا يتطرق الشك الى كونها في غير مقدور البشر العادى ٠ ويمكنك ان تسمى هذا سحرا اذا شئت ٠ ولكنى مهما حاولت ربطها بالفكر العالمي المعاصر الذى يحاول احيانا الترفع في تحد عن تصديق هذه الاساطير فانى متمسك دائما بأبى المساتير جمعاء ٠ القرآن الكريم والذى تحدث عن الروح والجن ، وليس امام ابن آدم العاجز عن ادراك



د. أحمد كمال زكى

عاش قرونا تقدم لهم القرابين كالهة قادرين .

وقبيل الاســــلام كان هؤلاء مناط أرواح العرب فى طلب السعادةوتحقيق الراحة النفسية ، ولعل هذا ما دفع المستشرق مارجليوث الى أن يقرر أن نظرية الانساب العربيــة قامت على تأليه الجد الاول ، ومن لم ينتسب اليه كشق وسطيح ـ وكانا ساحرين ـ جعل مستشارا للملك الذى يحكم . على أن بعض الكهنة الرؤســاء تمكن بسحره وبمسحوعاته الغامضة من أن يجبر قومه على عبادته ، فكاهن بنى أسد يخاطب عشيرته فى « يوم حجر » بيا عبادى ! وكان نصــحهم بالايقتلوا أبا امرىء القيس الشاعر . وجاءت قبيلة بكر فى يوم « الزورين » بساحر معمر وجعلوه الاها ، وتاليه المعمرين السحرة ارتبط بفكرة طــول العمر حتى لقد رجع بعضهم بميلاده الى عهد عاد وارم ، يقول الشاعر :

جاءوا بزوريهم وجئنا بالاصم
شيخ لنا من عهد عاد وارم

وثمة السحـــــر التشـــــاكلى أو أو سحر المحــاكاة ، وهو ضرب من التعاويذ والاحجية أو التمائم أساسها ما سماه فريزر بالسحر الاتصالى ومن قبيله نقش صورة الحيوان أو رسم دمية لعدو ، ويغرس الدبابيس فيهـا يعجز عن ايذاء القائم بالسحر ، ولكن من مهمات السحر التعاطفى أيضـا المحافظة على موارد الطعام واستنزال المطر أيام الجفاف .

اننا لا نريد أن ندخل فى متاهات هذا العلم الذى يعــــترف به الانثروبولوجيون وبخاصة عنــدما يسخر لصالح الجماعة والافراد ، وجعل من هنا بداية الفلسفة ، وقيل انه بتشكيله لمجموعة ضـــخمة من الاساطير القديمة يعتبر دائما منطلقا للبحث عن بدايات الحضـــــارات وانتشارها . غير انه بمرور الزمن وبارتقاء الفكر الانســـانى تقلص سلطان السحر وانسحب الى أركـان المشعوذين وكتائب الدجــالين ... وظلت له « طقوسه » اذا صـــح هذا الاستخدام فالبخور وتدقيق النظر فى السماء ، وببعض التعازيم الغامضة يتسلط ساحر اليوم على الجهال لينال منهم مايريده ، وأحسب أن راسبوتين كان سيد سحرة العصر ، واكثر دجالى الريف فى عصرسدنته ، وقراء الطالع والكف يستندون الى مخلفات تقــوم على فكرة « القوة الخفيـــة » وراء الكلمة ، والارادة غير المحدودة فى استحضار الارواح . وكل ذلك هباء ، وما احسب أن عقولنا اليوم تقبل ان يقف غينا متكهن ساحر ينادينا بقوله « يا عبادى ... اذهبوا الى الجحيم »!



فى

العدد القادم

صالح جودت

يلتقى بقرائه فى «رحلة الشهر»
كما عودهم كل شهر....

من روائع القصص العالمي

عراة على الشاطئ

للكاتب الإيطالي الكبير

البرتو مورافيا

ترجمة :

محمود عزت موسى

تركا السيارة في ارض فضاء تتلخمها الاشجار تحت ظلال شجرة صنوبر ، وسارا بين كثبان الرمال نحو البحر ، وكانت تتقدم زوجها سرجيو وهي تعدو فرحة منتشية فوق الرمال المحرقة ، بينما كان سرجيو يتبعها عن كثب حاملا سلة الطعام وحقيبة لوازم البحر ..

واختفت زوجته فجاة وراء تل رملي صغير .. وكان سرجيو يتبعها مسرورا ، اذ بدا له ان السعادة تشتملها ، وكان متاكدا انه عندما يصلا الى قمة التل ، سيراها مندفعة لتوها للاستحمام في البحر ، بيد انه عندما تطلع الى القمة ، تبين له ان زوجته قد توقفت في سيرها ، وان الشاطيء لم يكن مقفرا ، كما كان يامل بل كان هناك رهط من الناس وجماعة من الصيادين نصف عراة وبينهم رجل في بزة عسكرية يقف وسطهم في حالة من الارتباك ... وعن يمينه ، وبين اغصان بعض الاشجار التى غرست في الرمال ، كان يبدو شيء ابيض .

واتجه سرجيو ببطء نحوهم ، وعندما اقترب من غصون الاشجار المغروسة سال زوجته : « ماذا ؟ » وتطلع سرجيو ... كانت الاغصان قد اذبلتها حرارة الشمس للتو ، وقد ارخت اوراقها الذابلة فوق مستطيل ملفوف في ملاءة فتذكر الجثث الفرعونية المحنطة في المتحف .. ولم تكن الملاءة تلف جسد الميت لفا محكما ، بل كانت تنم عن ملامحه من قدميه الى راسه ، حتى يمكنك ان تتبين ركبتيه وذراعيه مضمومتين على صدره ، وذقنه منحدر الى اسفل ، وخارج الملاءة لم يكن يبدو سوى شعره الاسمر المصقول وهو لا يزال حيا نديا .

وقال الرجل ذو الزى العسكرى ، وهو مفتش الشرطة ، بينما يرفع قبعته مجففا العرق عن جبينه : لقد غرق منذ ساعة تقريبا .. ولسنا نعرف من هو .. اذ لم نجد معه اوراقا .

وبعد ان القى سرجيو نظرة اخيرة على الجثة ، مضى هو وزوجته نحو البحر . ولاحظ انها تسير ببطء نحو المياه الضحلة القليلة الغور ، وقد غشاها الوجوم . بينما تدلت ذراعاها مسترخية ومستقبلة ببطنها مياه البحر التى تبدو كما لو انها تغلى تحت اشعة الشمس اللاذعة .

- كانت تلك اول مرة



في السنة يذهبان فيهـا الى البحر ..

وكانت كلارا بيضـاء البشرة ، باردة البياض .. وكان سرجيو يدرك انها سريعة الانفعال حتى لتتحول في لمح البصر من صفائها الى انفعال مروع ، فينقلب بياضها الى احمرار قان دفعـة واحدة ..

ولم تكن كـلارا على اكمل تكوين ، اذ كانت مضمومة الفخذين ولكن لها ساقين مكتنزتين ، وكتفين نحيلتين، ورأسا كبيرا .. ومع ذلك فان هيئتهـا كانت تنم عن خشـونتها وتحفظها وطباعها المستريبة .

اما سرجيو فقـد ابتسـم ، وهو يبدو متعلقا بها ، واندفـع يجرى وراءها ليمسك بها ، ولكن بينما كان يعدو علي الرمال، تعثر في العشب البحـرى وسقط عليها مرتطما بها فوقعت، بيد أنها نهضت لتوها وقالت له بخشونة « انني لا احب مثـل هذه الالاعيب في الماء »

فأجابهـا سرجيو : « انني آسف ... فقـد تعثرت »

فقالت له موبخـة : « أرجو الا تكرر هـذا ثانية » .

وكبح سرجيو جماح نفسه وهو يرقبها وهى تتباعد عنه ...

كانا قد تزوجا منـذ ستة اشـهر فقط ، بيد أن زواجهمـا لم يكن سعيدا ... وكان التوتر يشوب علاقتهما ، الا أن سرجيو كان يعـزو شرودها الى عدم توافر التفـاهم بينهما لحداثة العهد على معيشتهمـا معا ، ، راجيا كل يوم أن يذلل نفورها .

ومضيا في السباحة صامتين، وهى تتحاشاه وقد سادهما جـو من الانقباض ، وهما تحت اشعة الشمس الحارقة ، والمياه الضحـلة تبدو راكـدة ... ومع ذلك فقد كان الشاطىء يظهر من البحر جميلا ، مقفرا على مدى البصر ،ممتدا في اتجاه واحـد حتى يرى من بعيد شبح برج سـاعة اثرى ومن الناحية الاخرى كانـت المياه تبدو متعـرجة مخـترمة الشـاطىء الصخرى الذى تكتنفـه الغابات

وكان الهواء الحـار الخانق المشبع بالرطوبة يحجب الافق بسـحابة رملية ، وكـانت غابات الصـنوبر فوق الرمال الصفراء تتخللهـا

موعد عند الشاطئ

وتتغلغل فيها على هيئة ضباب ...

وقال سرجيو فجأة قاطعا حبل الصمت : اليس هذا مثيرا رائعا؟

فاجابته زوجته في رنة عابسة : انه يبدو لي مروعا ...

فقال: ولكنك انت التي رغبت في الحضور الى هنا ...

فقالت : حسنا .. وماذا في ذلك ... لقد اخطأت ، وهذا كل شيء ولكن هذا لا يبدل الحقيقة بان المكان ليس جميلا على الاطلاق !

فالتزم سرجيو الصمت اذ راى انه مهما يقول فان زوجته ستعارضه .

واخيرا خرجا من البحر وتوجها الى مكان على الشاطىء كانا قد تركا فيه حوائجهما على مسافة قريبة جدا من الجثة ... وكان الشاطىء الان مقفرا ، ولم يكن هناك احد سواهما والرجل الميت الذي تجلله الاغصان ، وكان الصيادون ومفتش الشرطة قد مضوا خلف الكثبان الرملية .

وكانت هيئة كلارا تعبر عن الاشمئزاز والقرف وهي تجفف ذراعيها وساقيها .. وقال سرجيو: الا يمكننا أن ننسحب قليلا .. فالمكان واسع رحيب ، فاننا ملاصقين للرجل الميت ...

فقذفت بمنشفتها سخطا واجابته : ان الموتى لا يبعثون في نفسي الاشمئزاز ! ..

قال لها سرجيو متحديا : الاحياء فقط هم الذين يبعثون اشمئزازك !

فاجابته زوجته في قسوة : لماذا تريد دائما أن تتحرش بي وتخلق مشاحنة ؟ ... لقد قدمنا الى الشاطىء للاستمتاع . ولكن لا .. بالمرة ، فانك دائما تبدأ الشجار ... وانت الان تجعلني اقول لك انني مشمئزة ... قرفانة منك !

فقال سرجيو قانطا : كنت افضل ان تقولي العكس !

فاجابته : حسنا ... على اية حال انك في الحق تقرفني .. عندما تبدأ تعارضني من اجل أن تناقضني فحسب... انك تقرفني اكثر من اي رجل ميت .. الان هل رضيت ؟!

فاثر سرجيو الصمت وقد غمرته دهشة عارمة من حديثها الحاقد ...

بينما تمددت كلارا منكفئة الراس وهي تلم حاجاتها ، طامرة صدرها العارى وبطنها في الرمال الملتهبة ،ولم تكد تفرغ من ذلك حتى سالت بصوت متضجر : « لماذا .. كم الساعة ؟» بدلا من ان تقول «: كم الساعة ؟ » . كما بدا ذلك لسرجيو متعجبا ... فاجابها: « انها الحادية عشرة » فكانت اجابتها الداوية المعقبة : « ليس هذا ممكنا ! ... » اما سرجيو . فساله دون أن ينطق بكلمة وضع معصمه الذى فيه ساعته امام عينيها - فقالت بصوت حزين: « حسناء حسنا ... » بينما استفاضت دهشة سرجيو من جديد .

كان منظر الرجل الميتتحت ستر الاغصان التى تداريهيثير الغثيان في نفس سرجيو ... احس أن سرا يتوق أن يتكشف وينتزع الملاءة التى تلف جسده ، وتحت الاغصان التى تظلل الجثة كان يبدو الجو اشد قيظا من اى مكان اخر حتى ليمكنك أن ترى نسمة مرتعشة تهب من الابخرة المتداعية ... واتجه تفكير سرجيو صوب تلك الحشرات الخضراء والذهبية التى كانت تحوم حول الجثث ابان

الحرب ... فضاق ذرعا ، وقال مغضبا ، « فى الحقيقة .. اريد أن أعرف لماذا نظل هكذا ملاصقين لجثة رجل ميت ! » .

وجاءت اجابتها وهي تخفى وجهها متوسدة ذراعها : « اذهب بعيدا حيث تشاء .. وساظل هنا ... اذ لا يوجدالى جواره احد لحراسته ... سابقى هنا على الاقل » .

وتجمد الموقف ، وكانت الشمس تضرب باشعتها الحارقة كل شىء تحتها ، وكان توهج الرمال يغشى البصر ...وظل سرجيو بلا حراك فترة قصيرة وهو يحس بالمرارة ، بيد أن الامر كان فوق احتماله فانتصب على قدميه وجرى نحو الشاطىء ملقيا بنفسه فى الماء . وقد انعشته هذه الغطسة ، وان كان الماء قد بدا له أشد سخونة عن ذى قبل .. وعندما انتصب واقفا مرة اخرى، رأى زوجته قد نهضت هى الاخرى وانها تحوم فى حذر حول الاغصان التى تظلل الرجل الميت .

عندما رآها عن بعد استماله واستهواه من جديد قوام زوجته ... وراقت له فكرة أن يبدى لها لونا من الوداد والتقدير .. مسائلا نفسه : لماذا يمضى زواجنا على نهج سيىء لماذا ؟ اننى سأمضى لفورى اداعبها واغازلها كما كانت فتاة عندما قابلتها ... لا بد أن افعل ... وساقيم لها مأدبة حافلة هذا المساء ...

وراودته الابتسامة على هذا المشروع الذى طاف بذهنه وخرج فى بطء من الماء .

أما زوجته فانها بعد أن طافت حول جسد الرجل الميتبعض الوقت عادت ورقدت علىرمال الشاطىء مولية وجهها الى جانب حقيبة ملابسها ، وتمدد سرجيو الى جوارها واضعا ذراعه حول خصرها هامسا لها : « اعطنى قبلة ! »



فأجابت زوجته دون أن ترفع رأسها : «لماذا؟ ... ماذا جرى لك ؟ .. هل أنت مخبول ؟ »

فقال : « تعالى ، تعالى ... الا يمكننى أن أسألك قبلة ؟ »

فقالت : « كلا ... ليس الان ، وليس هنا »

فأجاب: «ألسنا زوجا وزوجته ؟ »

فقالت « ولكن هذا يعتبر علانية هنا ... وعلى اى حال فلا بد أن تقيم اعتبارا للميت!»

فقال سرجيو : « أوه .. يا للجحيم .. الم اسألك أنننأى بعيدا ؟!»

فقالت فىصوت مفعم بالحزن دون أن يبدو فيه الغضب: «لن أذهب بعيدا ... يمكنك أن تذهب أنت ، وساظل هنا ! »

ورقد سرجيو باسطا جسمه وظل كذلك تحت الشمس نحو عشرين دقيقة ، صامتا ثم نظر الى ساعته فوجد أنها قد أزفت الثانية عشرة والنصف. فقال مغتصبا الابتسامة مقتربا من سلة الطعام مقترحا عليها : « ماذا لو تناولنا شيئا من الطعام ؟ » .

فصاحت زوجته وهى تخفى وجهها بين ثنية ذراعها « ولكن لميحن الوقت بعد .. »

وفي هذه المرة كان صوتها مفعما بالعبرات

وكما فعل سرجيو من قبل ، لم يرد بكلمة، سوى أن وضع معصمه أمام عينيها ، فتطلعت الى ساعته وقالت : « تناول طعامك أنت اذن ... أما أنا فلست جائعة ! »

وفتح سرجيو الربطة، واخرج قطعة اسطوانية من اللحم المجهز ، وبينا يأكل بشهية طيبة فوق تلك اللحظة ظهر موكب صغير عند قمة الكثبان الرملية .. كان مفتش الشرطة في المقدمة ، ووراءه رجلان يحملان محفة ، ثم لفيف من النساء والرجال وعدد من الاطفال ... وكان الموكب يدنو من التل فوق المنحدر الرملي متجها الى الرجل الميت، فقال سرجيو وفمه ممتليء بالخبز والسجق :« لقد حضروا لاخذه» وانتصب واقفا وسار هو ايضا نحو الجثة ، وبسرعة فائقة قفزت زوجته وعدلت ثيابها وحذاءها الخفيف وجرت في اعقاب زوجها .

ووصل الموكب الصغير الى غايته أمام اغصان الشجر التي تظل الجثة وتوقف حاملا المحفة وانزلاها على الارض ، واصدر المفتش الذي كان يضيق ذرعا من فرط القيظ والملل ، اوامره : « هيا اذن القوا جانبا هذه الاغصان ، ثم ارفعوه ... اثنان عند الذراعين واثنان عند القدمين ... وضعوه على المحفة ، هيا ! » ..

وتساءل أحدهم : « هل نرفع الملاءة ؟ » فأجاب : « لا .. اتركوا الغطاء عليه »

واستبد حب الاستطلاع بسرجيو ، وظل يرقب المنظر وهو لا يزال ممسكا بيده ببقية لفافة اللحم الاسطوانية .. مشرد الذهن لتصرفه هذا غير اللائق ، ولم يكن بوسعه أن يعيد الطعام الى السلة بعد فوات الوقت . وابتلع السجق الذي في فمه بدلا من مضغه في لقمة واحدة ... أما زوجته التي كانت تحوم مضطربة حول حاملي المحفة ، فانها مالبثت أن اتجهت نحو احدهما وسألته بصوت أجش : « هل يمكنك ان تخبرنا من هو ؟ »

فقال الرجل الذي اقتلع بعنف اغصان الشجر المغروسة في الرمال دون أن يلتفت اليها : « لا نعرف ... فليس معه أية أوراق تنم



عن هويته .» فقالت : « ولكن كيف حضر الى هنا ؟ »

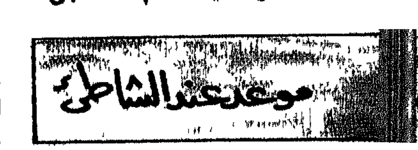
فقال : « توجد دراجته البخارية عند الاجمة هناك .. »

ولم يستطع سرجيو الا ان يقول منفعلا من تصرفات زوجته : « يبدو أنه كان شخصا طائشا ! » فقالت زوجته صارخة في وجهه : « لا تكن أحمق ! »

وسمع أحد حملة المحفة تعقيبها المهين وادار بصره فيهما متعجبا .

وقال المفتش : « هيا واحملاه » .

وقام اربعة من الحمالين كل اثنين عند طرفي المحفة يرفعون حملهم الابيض ، واودعوه فوق المحفة ، بيد أنه في اثناء ذلك



المصدر رأس الميت ، فانكشفت بعد ان أنزاحت عنها الملاءة ورأى سرجيو وجهه قاتما ، بديع القسمات بيد أنه يبدو عاميا ، فى نحو سنه تقريبا ...

وجرت زوجته مدبرة نحو حقيبتها والقت بنفسها ووجهها فى الرمال منتحبة .

وتحرك الموكب فى الاتجاه والترتيب الذى قدم منه .. المفتش فى المقدمة ثم حملة المحفة ، ثم رهط من الصيادين والنساء والاطفال .

وكان سرجيو لا يزال ممسكا بلفافة اللحم ، واتجه نحو زوجته التى كانت تنتحب ووجهها مغمور فى الرمال ، وقال :

« لماذا يا كلارا ... اننى ادرك تماما ان المنظر قد ضايقك ، ولكن مع ذلك فانه رجل غريب عنا » ..

وعندئذ صدر صوتها المحطم من بين ثنية ذراعيها التى تحجب وجهها : « انك لن تفهم اى شىء ... انك لن تفهم شىء ! »

فقال مبهوتا : « ماذا ؟ » فقالت : « كان كل منا يحب الاخر ! .. وفى هذا الصباح اتفقت معه على موعد للقاء هنا .. وهو الان ميت ! »

القصة والكاتب ......

ولد عام ١٩٠٧ وكان والده مهندسا معماريا ..

عانى البرتو مورافيا فى طفولته منذ التاسعة من عمره حتى شبابه الباكر بعض الامراض وتعلم الفرنسية والالمانية والانجليزية فى حداثته ، وفى عام ١٩٢٥ عندما بدأ يكتب أولى رواياته كان يعمل مراسلا لبعض الصحف الايطالية فى لندن وباريس وغيرهما .

وفى أواخر الحكم الفاشى بايطاليا صودرت كتبه ، وكان يكتب موضوعاته باسم مستعار ، وفى غضون الاحتلال الالمانى لايطاليا اختفى فى الجبال حتى حررت ايطاليا فى مايو عام ١٩٤٤

ويعيش البرتو مورافيا متنقلا بين روما وكابرى ، ويعتبر اليوم فى طليعة كتاب القصة فى العالم

من اشهر رواياته وقصصه حكايات رومانية ، وامرأتان ، وامرأة فى روما ، وشبح فى الظهيرة ، وامرأة ثرية جدا ، وحياة عائلية ، والرقيب ،والحلم والخلاص ، والحجرة ، والشارع والشاعر والطبيب والحياة فى غابة وغيرها من عشرات الروايات والقصص القصيرة .

وفن مورافيا يمتاز بالواقعية، وهو يعد من أبرع كتاب القصص فى تحليل وبسط غرائز المرأة ونزواتها ، ويمتاز اسلوبه برقة وصف الاشياء — وخاصة الطبيعة — وعباراته القصيرة المركزة ، معالجا مشاكل العصر الحديث من خلال قصصه الاخاذة .

وهذه القصة التى نقدمها تعد من روائع نماذجه فى فن القصة القصيرة .

القلب الذي غنى لنا..

حسين خريس

تحية وفاء إلى زكي مبارك في ذكراه

يا أميرَ العشقِ يهنيكَ الهوى
والعيونُ الخضرُ واللونُ الخضيبْ
والغوادي والشوادي والشذا
والمجالُ الخصبُ والأفقُ الرحيب
والنجومُ الزهرُ في آفاقِها
والسواقي فوقَ مخضرِ الكثيب
كلُّها تهنيك يا شيخَ الهوى
قلبُه من محضِ إحسانٍ وطيب
كم فؤادٍ طالما واسيتَه
ولكم أجريتَ من دمعٍ صبيبْ
كنتَ في دنياكَ لحناً ساحراً
تبعثُ الفرحةَ في القلبِ الكئيبْ
وتواسي كلَّ مجروحٍ وآنْ
عزَّ في دنياكَ إلفٌ وحبيبْ
أيُّ عينٍ ما همتْ من وجدِها
أيُّ قلبٍ لم يساورْه وجيبْ
أيُّ نجمٍ لم تهدهدْه على
لهفةِ الأشواقِ في الدهرِ العصيبْ

أيُّ فــوح لمْ تُنَشِّره عَــلَى

هضــبات كلّمــا رفَّ رطيبْ

مالِلَيْــلاكَ التى ناجَيْتَهــا

بالنَّثيرِ الحُــلوِ والنَّظْم العجيبْ

لا تجيبُ اليــومَ نجــواكَ فَكَمْ

كُنتَ للقــاصى وللدانى مُجــيب

أيُّهــا القلبُ الذى غنَّى لَنَــا

فغنينــا عــنْ دواءٍ وطبــيبْ

أيُّهــا العقــلُ الذى طافَ بِنــا

كُلُّ أفقٍ وتحــدَّى كُــلَّ ريب

أيُّهــا الروحُ الذى ظــلَّ عَــلى

ظامىءِ الأرواحِ يهمِى ويَصُــوب

فى سَــبيلِ الحــقِّ مالاقيْتَ مِن

عَنَتِ الدَّهــرِ ومنْ خَصــم مُريب

فى سَــبيلِ الشَــرب كانتْ رحلةٌ

لكَ ما بَــينْ شرُوقٍ وغــروب

فى ســبيلِ الهــدفِ الأسمَى الذى

صُــنتَهُ بالروح والعمــرِ الخَصيب

أيها الشيــخ الذى دُســتورُه

أنْ تعيشَ العمــرَ حُبّــاً وحَبيبْ

كنتَ فى دُنيــاكَ فرداً واحــداً

تَتَــأبَّى الظّلم لا تَخشَى الخُطــوبَ

فلتعشْ فينا حُضُــوراً مُطْلقــاً

شــمسَ فــكرٍ عن دُنانا لا تَغيب

أنـــور
الجندى

مالك بن نبي

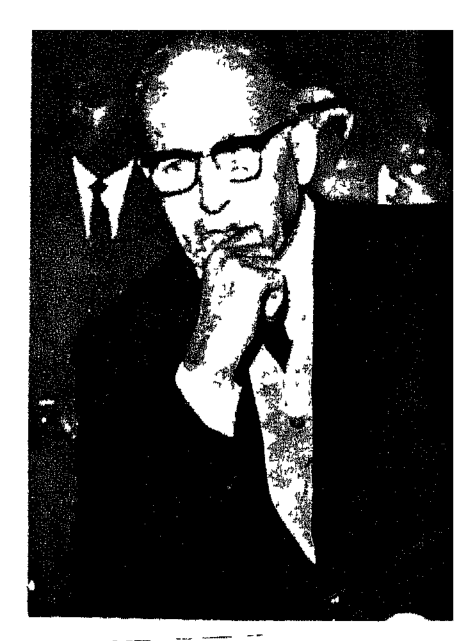
المفكر الإسلامي الذى قدم الإسلام إلى الفكر الغربي

وصاحب نظرية.. الإنسان والتراب والوقت

* اما تمثل حياة مالك بن نبى نموذجا خاصا فريدا في حيوات المفكرين والباحثين والنوابغ فى العالم الاسلامى من حيث خطتها ونموها ، ومن حيث التحديات التى واجهتها ، ومن حيث روح الصمود على الحق الذى امن به واعتقده دون ان يراود ذلك النفس الكبيرة التردد ازاء مطامع الحياة ومطامح النبوغ ، ذلك أن مالك بن نبى هو ثمرة تلك الاروقة الجزائرية العربية الاسلامية التى تتميز بالاصرار العنيد ازاء ما تعتقد ، وقد تمثل هذا منذ اللحظة الاولى التى عبر فيها مالك ابن نبى البحر من شاطىء الجزائر الى شاطىء فرنسا حيث كانت الجزائر قد أمضت يومذاك تسعة اعوام بعد المائة تحت نير الاحتلال الفرنسى الذى لم يكن يعتبرها مستعمرة فحسب ، بل كان يعتبرها حسبما ورد فى الدستور الفرنسى : « فرنسا الجنوبية » .

ولكن مالك كان قد عرف كل شىء واستوعب كل شىء وتجاوز الازمة لانه منذ نشأ فى رحاب قسنطينة كان يعرف الطريق الى كسر هذه القيود كما رسمه أمام الجزائر وقائدها الفكرى الاكبر :عبد الحميد بن باديس منذ عاد من الشرق ومن مكة ومن الازهر عام ١٩١٣ ومنذ صدع بدعوته فى رحاب الجزائر وفوق منابر مساجدها سنوات طوالا حتى اعلن دعوته فى العام الثلاثين بعدالتسعمائة والالف ، فى نفس الوقت الذى كانت صيحة الاستعمار تردد كلمتها الحاسمة : نحن نحتفل بمرور مائة عام على احتلال الجزائر .. الجزائر التى « تفرنست » ، هناك قال ابن باديس : اللهم لا ، بل استيقظت الجزائر كيانا مستقلا هو غير فرنسا ، عقيدة ولغة ووطنا ..

ولقد عايش مالك بن نبى منذ صباه هذه المعركة حتى اوفى على الثلاثين وعبر الى فرنسا ليؤكد ان الشخصية الجزائرية العربية المسلمة قادرة على ان تصل الى أعلى درجات العلم التجريبى فدرس الهندسة والتكنولوجيا



سنوات طوالا حاول خلالها الاستعمار أن يختبره أو يحتويه ولكنه عجـز أمام ذلك الاصرار العجيب ، الذى لم يكن يبالى شيئا ازاء تمسكه بايمانه بدينه وامته ووطنه . ومن ثم لقى من العنت الشىء الكبير ..

ولما اتم دراسته وأحرز اجازته وعاد ، كانت تنتظره تلك الصورة القاتمة المظلمة ، حيث اغلقت فى وجهه كل أبواب التدريب والعمل جزاء على أنه لم يستسلم ولم يمض لركاب الاستعمار حيث يشاء .. وما أبعد الفارق بين هذا وبين اولئك الذين استسلموا وتابعوا بالولاء والعبودية لاوطانهم وانفسهم وحصلوا من بعد على أرقى الوظائف وأعلى الدرجات، اما مالك بن نبى فقد عزل وعزل والده عن كل نفوذ ...

ولم يكن يملك التردد أو يحاول أن يغير أسلوبه لذلك كله فى نظره فتات تافه لا اهمية له ، وانما هوتعلم ودرس ليكون صاحب أداة قادرة على أن يقدم الاسلام الى الغرب بلغة يعرفونها وباسلوب رفيع يهز نفوسهم ..

وكذلك انتقل مالك الى مكة فاعتكف فى البيت الحرام يدرس الاسلام فى أصوله الاصيلة ويستقصى قيمه ومفاهيمه ، ثم يبدأ كتاباته التى كانت فتحا جديدا فى بابها ليس للغربيين فقط ، وانما لابناء وطنه المسلمين أيضا ، فلم تلبث هذه المؤلفات أن ترجمت واعجب بها الباحثون .واليوم وقد انتهت تلك الحياة العريضة الخصبة ،لا نقول أن الانسانية فقدت أو أن يد المنون اختطفت وانما نقول كما علمنا الاسلام أن رجلا آتاه الله علما وقد أوفى الى الغاية وقدم ما عنده وأتم الله له النعمة ، وانتهت رسالته مع اخر انفاسه . وقد قدم الكثير والخصيب ، وقدم نموذجا من الحياة هو أعظم أثرا ومثلا للذين يؤمنون بالقيم ويضعونها فوق كل المغانم والاهواء ..

ولقد هزت كتابات مالك بن نبى الكثير من المثقفين الغربيين ،وخاصة كتابه «الظاهرة القرانية» الذى وصف بانه اوقد شرارة فى أعماق الفكر الاوربى ، وانه فتح نافذة اطل منها العديد من المثقفين والقراء الفرنسيين على القرآن الكريم وعلى الدين الاسلامى ثم اعلنوا اسلامهم مسجلين فضل مالك بن نبى ، ومن هؤلاء الدكتور على سليمان بنوا المسلم الفرنسى الحائز على درجة الدكتوراه فى الطب حيث يقول فى شرح العوامل التى قادته الى اعتناق الاسلام :(١)

« اما مركز الثقل والعامل الرئيسى فى اعتناقى الاسلام فهو القرآن الكريم الذى بدأت قبل أن اسلم فى دراسته بالعقلية الغربية المفكرة النافذة، وانى مدين بالشىء الكثير للكتاب

---

(١) صحيفة الندوة (١٧ شوال ١٣٩٢)

مالك بن نبي

العظيم الذى الفه المفكر مالك بن نبى وسماه « الظاهرة القرانية » «والذى اقنعنى بان القران كتاب وحى منزل من عند الله » .

دعوة الى الثقافة الاسلامية

ويحمل مالك بن نبى فى تضاعيف انتاجه دعوة الى انشاء الثقـــافة الاسلامية التى تتشكل فى قالب تربوى وتتضمن قيما أربع هى :

القيمة الاخلاقية ـ القيمة الاجتماعية ـ القيمة العملية ـ القيمة التكنية .

ويقـــرر مالك بن نبى أن القيمة الاخلاقية هى عامل أساسى فى مختلف المجالات وان فقدانها من شـأنه ان يدمر النظام الاجتماعى كله ويحول بينه وبين الصمود والاســتمرار والتقدم .

ويقرر مالك بن نبى أن العـــالم الاسلامى اليوم يعيش مرحلة (ما بعد الحضارة) وأن المسئولية الملقاة على الجيل الاسلامى المعاصر هى العودة بالمجتمع الاسلامى الى (عالم الحضارة) بحسبان أن المسلمين امة رسالة وأمة مسئولة تجاه نفسها وتجاه الانسانية ككل . ويرى ان القضية اليوم تنحصر فى ايجاد الدوافع والمبررات الجديدة التى تجدد فى المسلم شعور الطموح والرسالة : شعورا يجعله ينظر الى نفسه كصــاحب رسالة والى نبيه كمنقذ ، ذلك لانه يرى ان الانسانية فى سيرها الحاضر انما تتجه نحــو الايمان أكثر من اتجاهها نحـــو الالحاد .

ويوضح هذا المعنى حين يقول : « لقد تبين لى من خلال ما نشاهده اليوم من مظاهر الحيرة والقلق فى نفوس الشباب فى البلاد المتقدمة ان المستقبل لن يحقق اســتقرار الجيل المقبل الا بمراجعة القضية الانسانية بحيث ان من المتوقع ان الدراسات والاهتمامات ستتجه أكثر الى الدين والى البحث عن الحقيقة فى الاديان، وان لدى الاســـلام منهجا حيويا متكاملا لتحقيق الخير والعــــدالة والمساواة للانسانية جميعا » .

ويرى مالك بن نبى ان المذاهـــب والايديولوجيات التى تحاول أن تعالج المشكلة الانسانية من الجانب المادى وحده قد عجزت وستعجز عن أن تحقق مطالب الاجيال الحاضرة والمستقبلة .

ولذلك فان الاسلام وحده هو أمل الامم والشعوب اليوم بعد أن فقدت هذه الامم آملها فى الايديولوجيات الغربية بشطريها .

يقول : أرى أن الامة الاسلاميـــة مختفية اليوم ، اما مســتقبلا فان المستقبل لها لانها الامة التى تحمل فى صدرها وأرواحها تجســيد وعد الله : «وكان حقا علينا نصر المؤمنين» .

ويرى مالك بن نبى أن رسالة المسلم اليوم ، وبوجه خاص المسلم المثقف ليست رسالة علوم ولكنها رســالة اخلاق .

ويرد مالك بن نبى عوامل الضعف القائمة الان فى العالم الاسلامى الى عوامل عدة اهمها :

أولا : اننا فقدنا الصلة بيننا وبين ثقافتنا الاصيلة .

ثانيا : ان طليعتنـــا المثقفة لم تذهب للجامعات الاجنبية لتستكشف آفاقا ثقافية ، وانما ذهبت من أجـل العودة بشـهادات تحقق لها مراكز اجتماعية مرموقة ، هذا على احسن تقدير ـ أو لتجد فى اوربا فرصــا ومناسبات للتسلية بكل انواعها ،هذا على اسوأ تقدير . وفى كلا الحــالين فان الطالب المسلم اليوم محروم من

ثقافة ماضيه ، غير متصل بالثقافة الغربية الاصيلة

نظرية الانسان والتراب والوقت

ويقرر مالك بن نبي أن الحضارة تبنى من عناصر ثلاثة هى الانسان والتراب والزمن ... ولكن هذه المواد لا تستطيع ان تلتئم وتحقق عملها الا اذا تحركت فى اطار الدين فهو الذى يربطها فى الحركة ويعصمها فى نفس الوقت من الانهيار .

وقد رأى مالك بن نبى فى القرآن الكريم النص المبدئى لتكوين الامم والمجتمعات وذلك فى قوله تعالى : (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

ويستطرد فى توضيح مفهومه للحضارة فيقول « من المعلوم ان جزيرة العرب لم يكن لها قبل نزول القرآن الا شعب بدوى يعيش فى صحراءمجدبة يذهب وقته هباء لاينتفع به لذلك فقد كانت العوامل الثلاثة: (الانسان والتراب والوقت) راكدة خامدة ، وبعبارة اصح مكدسة لا تؤدى دورا ما فى التاريخ حتى اذا ما تجلت الروح بغار حراء ــ نشأت من بين هذه العناصر الثلاثة المكدسة حضارة جديدة ، فكأنما ولدتها كلمة (اقرأ) التى ادهشت النبى الامى واثارت معه وعليه العالم ، فمن تلك اللحظة وثبت القبائل العربية على مسرح التاريخ حيث ظلت قرونا طوالا تحمل للعالم حضارة جديدة وتقوده الى التمدن والرقى ..

« ومما هو جدير بالاعتبار ان هذه الوثبة لمتكن من صنع السياسيين ولا العلماء الفطاحل بل كانت بين اناس يتسمون بالبساطة ورجال لا يزالون فى بداوتهم ، غير ان انظارهم توجهت فى هذه اللحظات الى ما وراء افق الأرض او الى ما وراء الافق القريب ، فتجلت لهم ايات فى انفسهم وتراءت لهم انوارها فى الافاق

ومن هنا ندرك سر دعوة القرآن الكريم المؤمنين الى التأمل فيما مضى من سير الامم وذلك حتى يدركوا كيف تتركب الكتلة المخصبة من الانسان والتراب والوقت » .

وينطلق مالك بنبنبى فى دراستهلازمة الفكر الاسلامى المعاصر من واقع الجزائر ومن قضية كبرى ذات خطر وهى مدى قدرة الجزائر على التحرر من القالب الحديدى ، والدائرة المغلقة التى حاول الاستعمار الفرنسى ان يفرضها عليه ويصهره فيها . وقد استطاعت دعوة ابن باديس آن تكسر هذا القيد باسلوب مختلف عن الاساليب التى عرفتها الامم ، فقد كانوا يقولون ان اللغة هى منطلق القدرة على استعادة الذات والكيان ولكن تجربة الجزائر خالفت ذلك واثبتت ان العقيدة هى اقدر وأقوى واشد عزما ونفاذا وأن اللغة تابعة لها .

ان صدق مالك بن نبى فى فهم الاسلام : دينا ونظام مجتمع وفهم القرآن كرسالة شاملة للبشرية ، وعمق ايمانه بقدرة الاسلام على تجديد هذه الامة ، ومقدرة القرآن على اعادة صياغتها من جديد ــ هو وحده الذى حفظ مفاهيمه من ان تنصهر فى مفهوم التغريب الذى سيطر على الكثيرين ، وبالرغم من ان دراساته لم تكن فى معاهد الدين اول الامر فانه كان خيرا ممن درسوا فى هذه المعاهد ، ثم جرفتهم زيوف التبشير والاستشراق ، فبرروا مفاهيم الغرب وحولوا مفاهيم الاسلام الى ما هويبعد عن اصالته ومنابعه الاصيلة .

ويبدو مالك بن نبى قريبا فىمنهجه من محمد اقبال ، فكلاهما واجه مفاهيم الفكر الغربى والفلسفات الاوربية وحاول ان يكشف عن ان ما فى الاسلام اصدق منها واعمق منها ، ليس للمسلمين وحدهم ولكن للبشرية كلها .

الشاعر

قالت : سمعت الزهر فوق غصونه
بالامس يبعث باللحـــون ســواحرا
حـركن ما بى من صـــدى متعطش
وتركنني في الليـــــل حلما حائرا
فاجبتها .. كان النســـيم معطـرا
يسرى .. فيرتسم العبــير خواطرا
قالت .. ففيم اذن يـكون تعجبى ؟
انى سمعت القول ســمحا سـافرا
الحرف فيه تجســدت خفقـــاته
كلمــات حب ، ينتفضن تحـــاورا
فاجبت حسبك ليس ما ترويـنـــه
لغزا .. فانك قد سمعت الشـــاعرا

***

وبدا الصباح رؤى تموج مفاتنـــا
فكان ســـاحرة تحاور ســـاحرا
وانا .. وعينـــاها تـكاد تضمنى
واكاد اعتنق الحنــان النـــاضرا
ارنو ، فيسبح بى الخيــال الى مدى
لم الق فيه الكـــون الا خاطـــرا
فتعيـــدنى بجفـــونها لتقـــول لى
الشـعر فى عينى ؟ ام فيمــا ترى ؟
يا حلـوة العينين ، رب قصـــيدة
نمت عن السر الخـفى ســتائرا
ان الذى ابتـــدع الخليقـة قـــادرا
قد صاغ جوهرها : فكان الشـــاعرا

***

وتالقت شمس الضحى .. فتلالات
زمـــر ابين الحسن الا ســــافرا
اقبلن فى مرح الطيـــور ورحن فى
نسق الزهور ، وجئن فنـا باهـــرا
وهتفن باللحن الابى ... فلم اعـد
ادرى .. احمل خافقـــا ام طائـــرا

يروين قصـة امـة مغـلوبة
ثارت فاودت بالطغـاة جبـابرا
حتى حسبت دمي ، وقد أنسـيته
لهبا .. تدفق ، في عروقي ثـائرا
واذا بصاحبتي .. يحلق همسـها
في مسمعي .. مرحي وجدت الشاعرا

***

وجلسـت اقرا والخـريف يظلني
والبحر من حولي يدمدم هـادرا
فشهدت ثمة زورقا متارجحـا
فوق العباب يكاد يقفـز طافـرا
ورايت ثمـة عاشـقين به على
اصفى الشراب تساقيا وتسـامرا
حتى اذا انتشـيا تفلت منهمـا
المجداف فانقلب الامـان مخـاطرا
ورايت ظل المـوت مد جناحـه
فصرخت : ويحكما ..افيقا ..حاذرا
واذا اصابعهـا تـداعب جبهـتي
فعرفت اني : قد صحبت الشـاعرا

***

وافقت . فاتجهت الى تقـول لي
ماذا جرى ؟ فاجبتها ، ماذا جـرى ؟
قالت .. لقد غرب الشعاع وانت في
سـنة : واعولت الرياح مواطـرا
والزهر جف ، ونكست اغصـانه
فوق التراب .. وكن قبل فيـائرا
والطير غلف بالدمـوع نشـيده
من بعد ما ملأ الصـباح بشـائرا
ارايت كيف طوى الشعور كتـابه
وارتد منزوف الملامح حـاسرا ؟
فهتفت والشـجن الملح يذيبني
رفقا .. فانك قد نعيت الشـاعرا

عبد العليم القباني

لم يشعر بنفسه عندما اخذها بين ساعديه بكل رفق ، وطوقها بذراعيه فى حنان ، وقد فاضت مشاعره ، واحس كل منهما انه مرتبط بالاخر وملتصق به ولا يريد ان يفلته من بين ذراعيه ...

وبغتة اعتدلت فى جلستها ، وغطت وجهها بيديها ، وقالت فى ضيق :

— لم احتقر نفسى من قبل ، كما احتقرتها اليوم ...

ومضت لحظات وهو معتصم بالصمت يديم اليها النظر فى تأمل ، ثم قال بعد ان المته حالتها التي عكستها من النقيض الى النقيض :

وكانت

قصة



ـ اعتذر لما سببته لك ان كان عذري هذا يرضيك ويعيدك الى ما كنت عليه ..

فبادرته ودموعها

ثم نهضا معا ، وفي اعتدالهما تعانقت نظراتهما ...

ودهش عندما رآها قد خبأت وجهها في

النهاية..

تنهمل على وجنتيها دون ان تتغير من وضعها :

ـ خل عنك هذا ، واطو الموضوع واعتبره كأنه لم يكن ! .

وسكتت .. وسكت هو ايضا ، ولفهما

صمت ثقيل ، وامتد بهما الوقت وهما على

هذه الحال ، ثم راح يرقبها وهي تضغط

بانامل في عصبية على سوارها الذي

يلتف حول معصمها ، وانفرطت حباته

البيضاء ، وتبعثرت على الارض ، وسرعان

ما انحنى هو على ركبتيه ، كما انحنت

هي ايضا ، يجمعان ما تبعثر من الحبات ،

منديلها ، فسألها عما بها ، فاجابت وهي تجاهد في اخفاء ما بها ، وقد تغير صوتها وازداد توهج وجنتيها :

ـ لا شيء .. لاشيء!

ثم عاد يسألها وهو يحتويها بنظرة حانية :

ـ سألتك ما بك ؟ لماذا تنكرين الامك ؟ صارحيني ...

فامسكت عن الجواب هنيهة ، ثم رفعت عينيها الى وجهه ، وقالت في نبرات حزينة :

ـ ارى ان يكون اليوم هو فصل الختام لعلاقاتنا ! ..

صكت هذه الكلمات سمعه ، فعرته دهشة ،

رستم كيلاني

وتعجل قائلا وعيناه تتشبثان بعينيها :

ـ أفهم من حديثك هذا اننا لن نلتقي بعد اليوم ... اليس كذلك؟

قالت في اقتضاب ، وقد التمعت عيناها ببريق الدموع :

نعم كذلك ... لابد من نهاية .

فقاطعها هامسا وكانما يحدث نفسه ، وعيناه شاخصتان الى عينيها السوداوين اللتين تظللهما اهداب طويلة :

ـ صدقت ، ان لكل شيء نهاية ، ولكن انت لم تحسني اختيار الوقت المناسب لهذه النهاية ، انا لا اصدق ان ....

فقاطعته بحدة :

ـ حاول ان تنسى كل ما مر بنا . حاول ، لا بد ان ندفن كل ما حدث في غبار النسيان ...

ونظر اليها طويلا ثم أطرق برأسه ، ومرت دقائق ، ثم رفعه واعاد النظر اليها ، وقال :

ـ كما تشائين ... والامر لك ، لقد نسجت البداية ، ثم تعجلت النهاية ، هل

نسيت ؟ هل اصبحت علاقتنا سرابا ؟

فاومأت اليه بالايجاب وهي مطبقة الجفنين ، تفرك اصابعها بعصبية

.. واعتراه الدهش ، وأحس بالضيق ، ثم تابع حديثه في صوت متخافت ، ساهم النظر وهو يعتصر احدى يديه بالاخرى :

— اما انا فلن انسى ما حييت انك كنت بالنسبة لي الانسانة الوحيدة التي استطاعت ان تمسح عن نفسي الامها ، وما دمت تصرين على هذه النهاية ، فلك عندي امانة حتم علي ان اردها اليك ، فها هي ذي صورتك التي اعطيتني اياها ذات يوم ...

فقالت على الاثر :

— اذا لم ترغب في حفظها معك فمزقها ..

وامسك عن القول ، وحنا راسه في قنوط واغتمام ، ساترا وجهه بكلتا يديه ...

وغشيتهما سحابة صمت كثيفة ، واستغرق في التفكير في كلماتها ، وانسرحت به الافكار لحظات ، وتواردت المشاهد على مخيلته ...

وهمس في نفسه على غير توقع منه .. الم يكن يعيش بين اسرته الصغيرة العدد ، الكبيرة المشاكل ، وهبها شبابه دون مقابل ، بل لم يكن يفكر في هذا المقابل ، لان كل ما كان يدور في خلده ، ويملأ عليه فكره ، ويشغل وجدانه ان يسعد والديه بكل شيء ، ولو كان على حساب نفسه ، وقد شاءت له الاقدار ان يكون وحيدا بين اختين كل منهما مشغولة بنفسها ، وباسرتها دون ان يحظى منهما باي شيء يعيد اليه معنى الحياة المطمئنة .

بل ربما كانتا وسيلة لارهاق نفسه وانشغاله بامورهما دون ان يلتفت الى نفسه بشيء . كان يحاول ان يرضيهما ، ولكن لم يظفر برضائهما

لقد رضي بما قسم له ، واغلق ابواب قلبه ، حتى دفع القدر بها الى طريق حياته ، فاحبها واستوثقت بينهما المودة ، واصبحت بالنسبة له كل شيء ، وانه لا يستطيع الاستغناء عنها ، كان يريدها له وحده ، يريدها ان تكون زوجة له ، رغم انها قالت له ذات يوم وهما يسيران جنبا الى جنب ، ويدها في يده :

« ثق انني لا اوافق على الزواج ممن احب حتى لا تتغير صورته في قلبي بعد ان تلقي الحياة اعباءها على كل منا ... »

وتملكته دهشة طاغية وهو يصغي لحديثها ... ولم يصدق ما تسمعه اذناه ...

وعلى مر الايام حاول ان يقنعها بما استقرت عليه نفسه من الاقتران بها حتى وافقته ...

***

وعرض الامر على مجلس الاسرة فكانت النتيجة رفضا ، واصرارا ، وعنادا ، ولما سئل عن اسباب الرفض ... اجابه

وكانت النهاية

والده أنه تم الاتفاق مع عمـــه لان يكون زوجا لابنته حفاظا لما تقتضيه عادات الاسرة وتقاليدها ، ولما حاول الهرب من هذا الزواج، افهمه والده أن هــذا الموضوع قد انتهى وقت المناقشــة فيه ، فلقد عوده والده منذ صغره الامر والطاعة العمياء ، ووصل الامر في النهاية الى التهديد بالحرمان من الميراث ، بل والقسم ان هـذا امر لا رجعة فيه ...

واصــبحت حياته دوامة من الفكر والحزن العاتي ، وسأل نفسه لماذا يتحكم ابوه في كل كبيرة وصـغيرة من شئونه ؟ .. انه لم يعد ذلك الطفل الصغير ؟ لماذا ؟ لماذا ؟؟

ووقف وقد لاكتنفته الحيرة بين شقيها ، واقضت به الى صمت يتكلم في داخله ، ويهز كيانه هزا ...

« فهل يضحي بما الفه من الطاعة لوالديه، او يجرفه العصيان فيطـاوع قلبه فيمن أرادها ؟ » .

وعقد العزم على ضم



تلك الانســانة التي كانت بالنسبة له الجنة التي يتنســم فيها اللحظــات الحلوة من حياته ، والتي رسـم معها مسـتقبله بأحلام وردية زاهية ...

وحينما افضى اليهـا بدخيلة نفســه ، وانه سـيعلن زواجه دون اعلان أهله ، لم تشاركه الراى في هذا لانهـا ترى ان أسرتهــا لن ترضى هي الاخــرى بذلك ...

وقــالت له وفي صــوتها رنة حسرة واخفاق ، والالم ينطق من وجهها :

ـ انني متأكـدة من شعورك نحوى ، ولكن هذا هو القدر ، وليس لنا الا ان نرضـخ لحكمه ، فسوف يرقى حبنا ، فسوف يصير صداقة طاهرة خالصة حتى ولو لم نلتق بعد اليوم ...

واتفقــا أن يتركا نسيهما للقدر يفصـل في قضيتهما ، فحكمه لا مرد له ...

ولم يحدث فراق .

واتصلت اســباب المودة بينهمـا ، حتى تم هذا اللقاء الخاطف وفي نتيجتــه الخاطئة حكم القــدر ، واعلن نتيجة الحكم الذى لا نقض فيه ولا ابرام ...

***

وأفاق من غيبوبته ، فاذا هي تقــول في صوت لين النبرات :

ـ لتكن ايامنــا الماضية التي طويناها ذكرى والهاما ...

ولما مدت اليه يدها مودعة ، امسـك بها يضغطها متشبثا بها ، وسألها وهو يطيل فى محياها النظر :

ـ اما زلـت مصرة على الا أراك ثانيا ؟

فجذبت يدها بلطف وتحركت شفتاها تقول في صوت مختنق :

ـ وانى لمصرة ... وافترقا ... كانمـا لم يلتقيا !

ألحان لغوية

إبراهيم علي الكرار

● يقولون لقد بلغت شهرته عنان السماء بكسر العين ، وهذا لحن لغوي ، صوابه عنان السماء بفتح العين ، والعنان الذى بلغته الشهرة : السحاب مفرده عنانة بمعنى سحابة ...

اما العنان بكسر العين فهو لجام الفرس ، وجمعه اعنة ، وجمع لجام لجم ، على وزن كتب ...

● ويقولون : خطر ماثل للعيان ، وكان شاهد عيان ، بفتح العين ... وهذا لحن ، صوابه : عيان بكسر العين ، مصدر عاين الشيء عيانا ، راه بعينه ولم يشك في رؤيته ...

● ويقولون : عطانا كذا ، وعطاهم مما عطاه الله . وهذا لحن ، صوابه : اعطانا واعطاهم مما اعطاه الله . فالفعل اعطى يعطى اعطاء ، بمعنى قدم عطاء .

اما الفعل عطا يعطو عطوا ، فهو عكس أعطى في المعنى . ومعناه اخذ وتناول ، ومنه التناول برفع الرأس واليدين كما تفعل الشاة او الماعز ، ترفع راسها ويديها لتتناول أوراق الشجر .

قال الشاعر العربي ارقم اليشكري:

ويوما توافينا بوجه مقسم　　كأن ظبية تعطو الى وارق السلم

ويوما تريد مالنا مع مالها　　فان لم ينلها لم تنمنا ولم تنم

اى فيوما تأتينا بوجه جميل كأنها ظبية تتناول اوراق شجر السلم ، ويوما تأتينا بوجه عابس ، تريد المال فان لم ينلها ما تطلب اذتنا وارقتنا وارقت نفسها .. والكاف هنا حرف جر وتشبيه ، وان زائدة ، وظبية مجرورة بالكاف .

ذكرت احدى الزميلات ان شوقي امير الشعراء نشأ في حي الحنفي ، وكان لابيه جار صديق اسمه « عطا بك » وله شقيق اسمه « حسيب بك »

عنده مكتبة نادرة ، يستعير منهـا الصبي شوقي الطالب بالمدرسـة الخديوية ويروي ظمأ نفسه بالقراءة٠

وفوجيء الصبي شـوقي بالعم « حسيب بك » يسترد الكتب المعارة خوفا عليها من التلف في يد هـذا الصبي ، ففجر الغيظ شاعرية الفتى الكامنة ونطق ببيتين ، كانا اول نظم له ، وهما :

حسيبت حسيبا زاده الله رفعة ... لما نظرت عينـاى فيه اخا عطا

فخـالف ظني ما رأيت فانه ... لكالدهر خلاب من الناس ما عطا

وما عطا هنا من « الفتى » شوقي لحن صوابه ما أعطى ٠٠٠ والخروج عن بعض قواعد اللغة وأصولها يجيزه النحـويون في الشعر ، ويعدونه من الضرورات مراعاة للوزن ٠

وهو يقبـل من « الفتى » شوقي صبيا ، وأمير الشعراء كهلا ٠٠٠

ويسيغه مراعاة الجناس التام بين عطا العلم ، وعطا العقل ٠ والتورية في اخا عطا ٠٠٠ والتورية لفظ له معنيان ، ويراد أحدهما ٠ وقد أراد الصبي « شوقي » باخا عطا : العطاء لا حسيب بك اخا عطا بك ٠٠٠

● تردد خلال انعقاد مؤتمر القمة العربي بمدينة الرباط في اكتـوبر ١٩٧٤ ذكر الرباط وبعض الاذاعيين اذاعها الرباط بفتح الراء المشددة ، وبعضهم اذاعها بكسر الراء المشددة٠ والرباط بتشديد الراء المفتوحة لحن والصواب : الرباط بالكسر والتشديد

والرباط الذى سميت به المدينـة واحد الرباطات التي تبنى في الثغور وتربط فيها الخيل ، وتعد للقتـال، وصد الاعداء ، او يقام فيها الجنود ايضا مرابطين ، ملازمين ، مجاهدين ٠٠٠ فالرباط ياتي بمعنى البنـاء ، وياتي بمعنى المرابطة والمثـابرة والمدافعـة « يايها الذين آمنـوا اصبروا ، وصابروا ورابطوا » ٠

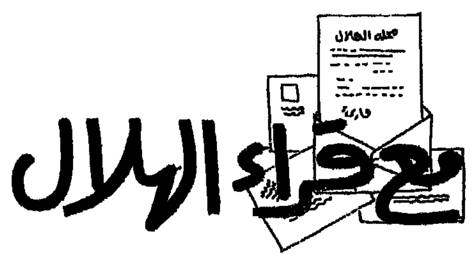
والرباط أيضا الحبل الذى تربط به الدابة ، أو تشد به القربة ،، وجمعه ربط أو ربط بسكون الباء وضمها ٠ وفي جميع معانى الرباط ،٠ بالكسر والتشديد ولم يرد الفتح والتشديد٠

● جاء في العدد الماضي ●

« آجداد النور عرب قح »، والصواب الذى لا يحتمل جدلا « عرب اقحاح » ٠٠

و « حانة » وقمة السارى » والصواب « وحانت »

« أن الاناث من الخنافيش تمخض » والصواب « يمخض »



... والصحافة المصرية ترسى قواعدها ، متفتحة على حياة المجتمع النامى ، فى حقبة الثلاثينات وما تلاها - لم تكن تخلو صحيفة أو مجلة من « بيان - هام » تنشره فى كل عدد وفى مكان بارز يستلفت اهتمام القارئين والكاتبين - معلنا :

« الرسائل والمقالات لا ترد لاصحابها سواء نشرت ام لم تنشر » ...

ولقد تأكد مفهوم البيان فى اذهان الجميع حتى اصبح بديهية وعرفا ، وتقليدا سائدا فى علاقة القارىء والكاتب بالصحيفة... بعدها ، وعلى مر الايام ، فقد نشر البيان الهام أهميته !

ولان الدنيا تدور ، واختلاف النهار والليل ينسى - فان صحفنا اليوم ، وبعد السنين الطوال منذ الثلاثينات حتى الان - تتنكر ما كان ، وتفكر فى اعادة نشر مثل ذلك « البيان الهام » !

ان تغير الاجيال ، وديناميكية العصر ، وزحام العيش - قد اضاف الكثير الى الروابط الوثيقة بين الناس والصحف !..

والبريد اليوم ، يكاد ينوء بما يحمل للصحف كل يوم من رسائل حافلة بهموم الناس واهتماماتهم ، بالمشكلات ، بالقصص ، بالشعر والمقالات ! ...

وفى غمرة هذا الزحام البريدى العظيم ، يتوافد من الشباب ومن القدامى ايضا ، من يطالب غاضبا باسترداد قصة أو قصيدة أرسلها منذ شهور طويلة !

وللشباب فى ذلك عذره ... فان احدا لم يقرئه « البيان الهام » اياه : الرسائل والمقالات لا ترد لاصحابها ، سواء نشرت أو لم تنشر ... ولم يلفته احد الى أن ذلك تقليد معمول به ايضا فى الصحافة العالمية ...

... ليت الشباب الان ، والكبار ايضا ، يحتفظون منذ الان بصورة اخرى مما يكتبون ويبعثون للصحف من عطاء مواهبهم فى القصيد ، والقصة قصيرة وطويلة ...

... اما ما يكتبون ويبعثون به اسئلة ، واقتراحات ، وشئونا ادبية وثقافية - فهنا هذا الملتقى ، والتعارف ، والحوار ولكل سؤال جواب - تحت هذا الشعار العريق ، المتجدد ، الجديد : « مع قراء الهلال »

و ... مع اجمل المنى ، والملتقى ...



● نصر الدين ... ●

تحية ... لقارىء عظيم

... في رحلتي الى الواحات ، وانا قارىء قديم للهلال ، سمعت ، ولم يتح لي أن اقرأ ماجاء في «الاخبار» تصريحا، او حديثا للرئيس الجزائري الكبير هواري بومدين ، عن حرصه على قراءة « الهلال » ... هل تقدمون ملمحا من نص هذا الحديث ، تلبية لرغبة قارىء قديم ، وتحية ... مني ومن « الهلال » لقارىء عظيم ؟

مهندس : علي فوزي

ـ كان ذلك في الرباط حيث ينعقد مؤتمر القمة العربي السابع ... وقبيل بدء الجلسة الافتتاحية ، وكما كتب الاستاذ اسماعيل النقيب ـ كان يقف في الصالون الملحق بقاعة المؤتمر ، الرئيس الجزائري هواري بومدين بقامته المديدة الواثقة ، ويقف



بجانبه الشيخ زايد بن سلطان ،رئيس دولة الامارات ، ومحمود رياض ، امين الجامعة العربية ، والدكتور سيد نوفل الامين العام المساعد .

وقال الرئيس بومدين، يسأل الدكتور سيد نوفل : « متى تجد الوقت الكافي لتكتب مقالاتك في مجلة « الهلال » التي أحرص على قراءتها دائماً ؟ » فيرد الدكتور نوفل مبتسما : « مثلما تجد انت يا سيادة الرئيس الوقت الذي تقرأ فيه » . ثم تطرق الحديث الى مناقشة الوان الكتابات والقراءات والمفاضلة بين السياسة والادب ..

سحر الغجريات

● انتظر بالشوق عددكم الخاص من « الهلال » الذي اعلنتم انه سيكون عن « السحر والسحرة » ... وبالمناسبة ، اسالكم : انا رئيس حسابات ، واهوى الصحافة والادب ، ولكن غجرية بارعة تنبأت لي اخيرا بانني سأكون وزيرا ... ما رأيكم ؟ ..

● علي عبد القادر ●
● الاسكندرية ●

ـ لا تصدقها ! .. فمنذ عشرين عاما تنبأت غجرية مثلها في فرنسا للصحفي الفرنسي المعروف « ريني موري » بأنه سينتقل قريبا الى رحمة الله ! .. وأراد الرجل أن يتفرج على الدنيا

قبل الرحيل،فبدأ القيام بسلسلة من المغامرات والرحلات الصحفية عبر المغرب العربي والشرق الاوسط وافريقيا والهند الصينية ، استمرت عشرين عاما !

وقد احتفل « رينى مورى » اخيرا بهذه « المناسبة » فالف كتابا صدر هذا الشهر فى باريس عن مغامراته وذكرياته خلال عشرين عاما من نبوءة تلك الغجرية « البارعة » بقرب وفاته !

ملحمة بنت العشرين

● اين اجد الكتاب الجديد « ملحمة بنت العشرين » الذى قرات انه صدر اخيرا للشاعر الجزائرى الكبير مفدى زكريا ؟ ...

● سعيد شوقى ●
● اداب المنيا ●

— « ملحمة بنت العشرين » ليست كتابا ، انها قصيدة كبرى يتجاوز عدد ابياتها مائة وثلاثين بيتا ، نظمها الشاعر الجزائرى الكبير ، تحية للذكرى العشرين لثورة الجزائر المجيدة ... وسنقدم فى أعدادنا القادمة مختارات من هذه الملحمة

مع الجمال والجلال ...

● اقترح أن تتبنى « الهلال » دعوة لانشاء مؤسسة عربية كبرى ، تسمى «مؤسسة القرآن » تكون لها فروع فى كل عواصم الوطن العربى ، لتشرف على طبع المصاحف وتصحيحها وتوزيعها وتنظيم مسئولية الحماية الواجبة لكتاب الله ، ضد مفتريات الصهاينة والملحدين ، ومؤامرات الدس والتزييف ...

ويشرفنى بهذه المناسبة أن أرفق برسالتى هدية لمكتبة « الهلال » ، هى مصحف جديد نادر صدر اخيرا عن الدار التونسية للنشر ، نقل بالتصوير عن مخطوط طريف مزين بالالوان البديعة والنقوش الفريدة ... وهو برواية حفص عن عاصم ، يتميز عن سائر المصاحف المطبوعة بجمال الخط ، والرسم البديع ، والضبط الدقيق ، كما يمتاز بصدوره فى ستين صفحة، كل حزب فى صفحة واحدة ، ومع ذلك فالخط واضح تماما ، يقرأ بسهولة ويسر ...

وفى هذا المصحف الانيق ، اشير الى حرف الالف باللون الاحمر والى الهمزة القطعية بنقطة ذهبية ، والى الهمزة الوصلية بنقطة زرقاء وفى «الطرة» اشارات الى اوائل الارباع والانصاف ونهاية

الاحزاب بالحروف التاليــــة « ر » للربع ، « ن » للنصف ، « ح »للحزب ...

انه ، وكما ترون ، تحفة نادرة ، جديرة بما تضم بين دفتيها من الجمال والجلال في كلمات الله وقرآنه المجيد ...

ليت من يقتنون مخطوطات وتحفا قرآنية نادرة كهـــــذه يقدمونها للطبع والنشر .

● الاخضر بن حميده ●
● تونس ●

● رءوس موضوعات ●

يبدو أنه ...

كان نسران واقفين على قمة شاهقة ، فمــرت في السماء طائرة نفاثة ، يتطاير من وراء محركاتها شرر اللهب ...

فقال النسر الاول : ... يبدو أنه مستعجل !

أجاب النسر الثاني : وأنت ماذا كنت تفعل لو اشتعلت النار في ذنبك ؟!

البلبل والليل

بعد ليلة مؤرقة قضاها المثال الشهير « بريو » ــ وكان فاتر الاهتمام بتذوق الموســـيقى ــ كتب في مذكراته : « كان البلبل ينبح طول الليل » !

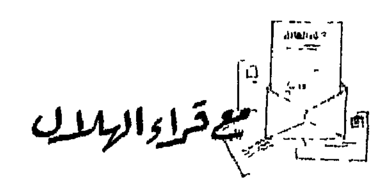
التاريخ والاسعار !

● أسوأ مافي التاريخ أنه في كل مرة يعيد نفسه ، تزداد الاسعار ارتفاعا !

عبء عظيم !

« قل لى يا مستر راسل » ... هكذا قال شاب صغير ، يسأل الفيلسوف الانجليزى برتراند راسل : « ... ما هو أكبر عبء يحمله الانسان في هذه الحياة ؟ »

بعد لحظات تفكير ، اجاب الفيلسوف الكبير : « ... عندما يشعر الانسان يا بنى أنه لا يحمل عبئــــا على الاطلاق ! ... فالفراغ هو اضخم عبء في حياة الانسان ، اى انسان ، رجلا كان أم امرأة ! »



ثلاثون ألف سهرة !

● احتفلت اخيرا الاوساط الثقافية والفنية بالذكرى المئوية الثالثة للكاتب المسرحي العظيم « موليير » الذي تعرفه جماهير المسرح المصري عندنا ، ولا يخلو موسم لفرقنا المسرحية من احدى روائعه المترجمة الى العربية ...

تمنيت لو أن « الهلال » قدم لقرائه في ذكرى موليير العظيم ، ولو كلمات عن حياته ومسرحياته ..

● فؤاد لحود ●
● بيروت ●

— توفي « موليير » في سنة الثانية والخمسين ، منذ ثلثمائة سنة ... وهو ينفرد بين جميع المؤلفين الكوميديين بالرقم القياسي في عدد المرات التي مثلت فيها مسرحياته ، لا في فرنسا فقط بل في العالم أجمع ...

وفي دار « الكوميدي فرانسيز » بباريس ، أو « دار موليير » ، مثلت مسرحياته ثلاثين الف مرة ، وكانت مسرحية « طرطوف » أو المنافق ، أروج مسرحياته ، ثم يليها مسرحية « البخيل » وكذلك « طبيب رغم أنفه » ...

وقد نقلت مسرحيات « موليير » الى ٢٧ لغة ، وبلغ عدد طبعات مجموعة مسرحياته خمسمائة طبعة مختلفة ، وصدرت عن حياته ومسرحياته مؤلفات يزيد عددها على ثلثمائة كتاب ..

من مأثورات « موليير » عن المسرح الكوميدي ، قوله « : ليس أصعب على الانسان من اضحاك الناس بغير اسفاف ولا ابتذال ... »

● محمد عثمان محمد ـ ايديال »

— الحديث عن جوائز السينما ، فات أوانه ...

وانتاجك القصصي تقرؤه لجنة الفحص في « الزهور » ...

● أحمد بسباس ـ تونس :

ـ باكورة انتاجك : مقطوعة « احبك » ، متواضعة بالفعل كما وصفتها فى تقديمك لها .. وتحمسك لتقليد ذكرى عميد الادب العربى الدكتور طه حسين جدير بالتقدير والاهتمام ..

● السيدة جميلة هوارى ـ الجزائر :

ـ سوف نرسل لك ما طلبت ، صورة فقيد الشعر العربى عزيز اباظة ...

● حسن محمد على ـ سوهاج :

ـ لم تصلنا الرسائل التى تتحدث عنها ، ومرحبا بانتاجك ومقترحاتك

● نوار الامين ـ دمشق :

ـ الحق مع استاذ اللغة عندكم بالنسبة للقصيدة « عود بلا وتر » ... والقصيدة الثانية ـ من بحر المتدارك ، وبعنوان لمن » ـ ليست جيدة ، ولكنها محاولة واعية ...

● سالم البحبازى بلزرت :

ـ نعم يا اخى .. يمكنك ، ويمكن لمن يشاء من قراء « الهلال » ان يسأل من يحب ويؤثر من الاساتذة كتاب « الهلال » عما يعن له مما يتصل بشئون العلم والفكر والادب ... كما يمكن بالطبع ان ينشر اى سؤال والجواب ، فى هذا الباب ...

● سمير عزت ـ القاهرة :

ـ انه شاعر الهند الكبير طاغور والترجمة الاصح لتلك المأثورة من خطراته الشعرية الرقيقة ، كما يلى :

« ... فى صباح يومشمس ، سمعت صخرة تقول لموجة البحر : انك تطوفين العالم كله ، تشاهدين كل شىء ، وتتمتعين بكل شىء ... لكنك تضربينني قبل أن تذهبى وتضربينني عندما ترجعين ! ... »

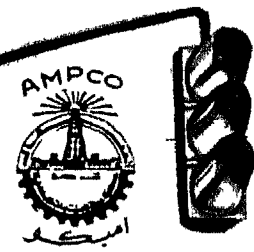
● محمد احمد كشك ـ كفر الشيخ

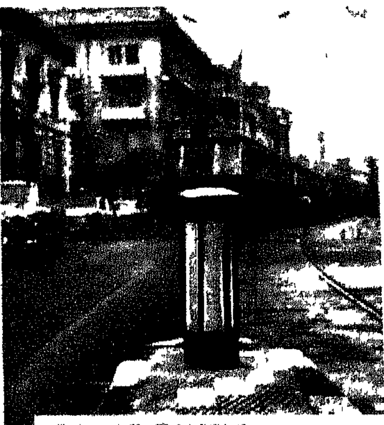
ـ ليس هناك ما يدعو لتساؤلك حول اختيار « كثير ـ عزة » موضوع المقال الدكتور احمد كمال زكى فى عدد الشهر الماضى من « الهلال » .. ولو أن هناك سرا ، فهل تعرفه ؟ ..

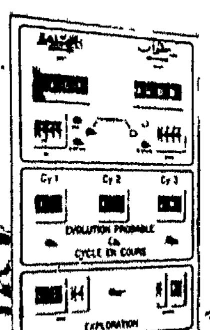
اما « الفقاعات الثلاث » التى تقول انها تطفو على السطح وتريد أن تفرغها بمجدافك ـ فأرجو أن تعيد النظر فيها متمعنا ـ وانت ماجستير فى الادب العربى ـ وسوف ترى أنها مما يدخل فى باب التعليق والملاحظات .

● عزت محمدياسين ـ الزقازيق:

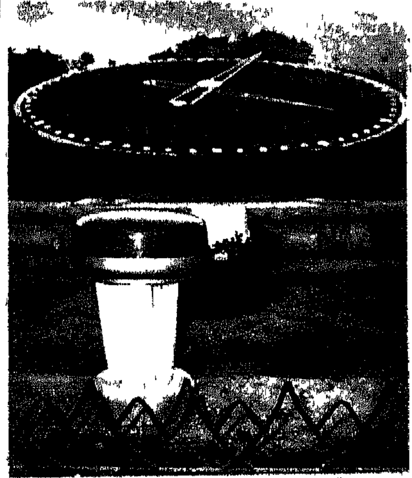
ـ الرأى ، كما تطلب « بصراحة وان كان مؤلما ... » انها ـ القصة ـ محاولة اولى، فيها كل عيوب المحاولات الاولى ! ..



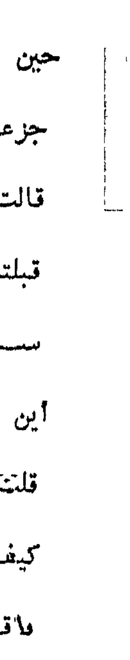




جهاز تحكم الكتروني لتنظيم المرور



أجهزة تحذير ضوئية



حين أهديتها على الغصـــن وردا
مستعيرا من خـدها الارجـــوانا
جزعت أن تشـــمه ــ وهو عطر ــ
ومن الورد ما يروع الحســـانا
قالت النـــار فيه ــ أم ــ فيه قلب
يبعث النار ؟ .. ثم مالت حنـــانا
قبلتــــه . فقـــلت كان زمـــانا
ذلك الورد ... ثم صـــار مكانا
ســـالت : ان حملته ــ كيف يلقى
حاملُ الاحمـــر المثـــير أمانا ؟
أين يحيا بين العـــذارى ؟ أليست
تهمـــة أن أضـــمه ــــ وامتهـــانا ؟
قلتَ : يحيـــا ما بين نهـدَين زادا
هذه الأرض في الهـــوىَ دورانا
كيف تنسين أن خديكِ أشـــهى
من ورود الدنيا واعتى افتتـــانا ؟
واقبـــلى الورد . انه مســـتمد
منك روحا ، أو ملهم خفقـــانا
واقبلى القلب . انه حقـــلُ حب
اى حب لا ينبت الايمـــــانا ؟

● سليم الرافعي ●

((السحر)) .. لوحة بريشة الفنان : عفت حسني ..

● التلاقي الأول ●

● التلاقي الأخير ●

التمائم كانت من وسائل الزينة عند الفراعنة ، تتوسد الصدور وتتدلى حول الأعناق وتتوج لباس الفراعنة

